جيرارد جاليانـد

شعب بدون وطن

الكرد و كردستان

ترجمه الى العربية:
عبدالسلام النقشبندي





منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

شعب بدون وطن

الكرد وكردستان

جيرارد جاليAند

شعب بدون وطن

الكرد وكردستان

ترجمه الى العربية

عبدالسلام النقشبندي



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان - اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
الهاتف: 35 49 224 66 (0) 00964
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

جيرارد جالياند
شعب بدون وطن - الكرد وكردستان
ترجمهُ الى العربية: عبدالسلام النقشبندي
منشورات اراس رقم: ١٢٤٧
الطبعة الاولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ١٦٠٠ نسخة
مطبعة اراس - أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٤٠ - ٢٠١٢
الاخراج الداخلي: زياد طارق
الغلاف: آراس أكرم
التصحيح: أوميد البنا

ردمك:
ISBN: 978-9966-487-00-3

فهرست الكتاب

كلمة أولى

في أواخر آذار ١٩٩١ هرب اكثر من ١.٥ مليون كُردي عبر الجبال المكسوة بالثلوج بحثاً عن الملاذ من قوات صدام حسين. ولولا شبكات التلفاز العالمية لهلك هؤلاء او تحولوا الى لاجئين بائسين خارج العراق، لقد قامت محطات التلفاز بنقل محنة هؤلاء الى داخل البيوت في كل من اوروبا و امريكا، إنه سخط وحنق الناس العاديين على هجوم صدام حسين وعلى لامبالاة الحلفاء الذي جعل الحكومات الغربية تسرع الى توفير الحماية للكُرد داخل العراق.

خلق التلفاز صورة قوية لكُردستان في اذهان الجماهير في الغرب و بشكل لم تستطع الثورات الكُردية المتعاقبة في تركيا وايران والعراق القيام به، عندما استخدم العراق الغاز ضد الكُرد في ١٩٨٧ و ١٩٨٨ لم تكن هناك تغطية تلفزيونية كافية مؤثرة لتحريك الرآي العام، وحتى بعد مأساة حلبجة في آذار ١٩٨٨ والتي هلك فيها اكثر من ٥٠٠٠ كُردي وبعد الهجوم العراقي في نهاية آب تجنب اعضاء مجلس الأمن والدول اتخاذ مواقف خشية أن يلحق الضرر بمصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية في المنطقة. وعندما اعلن الكُرد في ١٩٨٩ أن أكثر من ٣٠٠٠ قرية كُردية تم تدميرها و تسويتها بالارض من قبل قوات النظام العراقي قوبل ادعاؤهُم بالريبة و الشك كما لو أن الغرب لايستطيع التحقق من صحة الخبر من خلال الاقمار الصناعية، وعندما تمكن الصحفيون الغربيون في ربيع ١٩٩١ من السفر إلى كُردستان إنكشفت لهم صحة

الادعـاء الكُردي ومنذ ذلك التـأريخ اعطى الغـرب قـدراً من المصـداقيـة لأقوال وادعاءات الكُرد حـول اختفاء نحو ٢٠٠,٠٠٠ كُردي في حملات الانفال السيئة الصيت التي جرت في كُردستان العراق بين عامي ١٩٨٧ و ١٩٨٨.

ومع أن الكُرد يتمتعون بحماية الحلفاء لهم فانهم يفتقرون الى ضمانات لمستقبلهم. إذا رفضت تركيا تجديد اتفاقية الستة اشهر لرستخدام قاعدة انجرليك فإن الكُرد سيفقدون هذه الحماية وسيشجع ذلك صدام على الهجوم عليهم.

ومع مرور الوقت وفتور حماس الجماهير فان الكُرد سيكونون اكثر عرضة للهجوم. بدون اهتمام الجماهير فإن الحكومة لن تشعر بالحرج في الانسحاب من هذا الموقف الذي يعتبرونه مستنقعاً سياسياً، وخاصة إذا علمنا أنّ الحكومات الغربية كانت منذ البداية مترددة في التورط في هذه الكارثة الكُردية إنها لا تريد أن ترى وحدة تركيا او العراق مهددة.

هنالك جملة اسباب تجعل من المهم جداً الابقاء على الرآي العام معبأً و متواصلاً مع المسألة الكُردية و يقظاً ازاءها. على المستوى الانساني هنالك مسؤولية معنوية تقع على عاتق جمهور الناخبين في الديمقراطيات البرلمانية لضمان تجاوب حكوماتهم مع البعد الانساني للمسائل الدولية. سكوت الجماهير هو الذي يفسح المجال للحكومات المترددة للتغاضي عن مسؤوليتها الدولية. إن رأياً عاماً مسموعاً وعلى دراية بالامور هو القادر على دفع الحكومات المترددة الى العمل.

وهناك مسألة القانون الدولي وقواعد السلوك ، سمح الغرب للعراق أن يخرق بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ الخاص بالاسلحة الكيماوية والإعلان العالمي لحقوق الانسان وميثاق جنيف لعام ١٩٤٨ حول الإبادة الجماعية

فيما يتعلق الأمر بالكُرد، عندما لاتحظى المواثيق والقواعد الدولية بالدعم الدولي الضروري فإن هذه المواثيق والقواعد تفقد مصداقيتها وتضعف. على الحكومات أن لا تتواطأ مع الذين يخرقون هذه القواعد والمقاييس، وهكذا وعندما تفشل الحكومات في القيام بمسؤوليتها ازاء حماية واحترام القانون يأتي دور الجماهير في دفعها للقيام بذلك. إن قصة كُردستان ومثلها قصة فلسطين توضح النتائج المأساوية المترتبة على مثل هذا الجمود.

واخيراً هنالك البعد السياسي ، الكُرد يطالبون بحق تقرير المصير سواءً أيد الواحد منا فكرة قيام دولة كُردية مستقلة او حكماً ذاتياً للمناطق ذات الاغلبية الكُردية فانه من الاهمية بمكان ان يقوم المجتمع الدولي بإيجاد معادلة سلمية ومفيدة يكون بمقدور ٢٣ مليون كُردي لعب دور في تطوير الشرق الاوسط.

في مؤتمر السلم الذي انعقد في ١٩٩١ اعلن احد كبار الموظفين البريطانيين وببصيرة ثاقبة و برؤية خبير عالم ببواطن الامور، أن الفشل في التعامل مع المسألة الكُردية سيترك جرحاً يهدد السلم في الشرق الاوسط بشكل دائم. لم يكترث احد بتحذيره و تحققت نبوءته بشكل كارثي. هل يمكن معالجة هذا الاحتقان الأن ؟ في تركيا سخط عشرة ملايين كُردي يهدد بنشوب نزاع داخلي مدمر إلاّ اذا بوشر بعملية تصالحية و عمل ترتيبات سياسية. التشجيع الآتي من الخارج امر في غاية الاهمية. في العراق الفشل في مساعدة الكُرد و الحكومة على التعايش بسلام يهدد بحدوث مآسي اكبر من تلك التي حصلت في السابق، إن الإعتقاد أن الكُرد سيستطيعون حل مشاكلهم مع حكومة تخلف رحيل صدام أمر مشكوك فيه. إن ازمة الثقة بين الطرفين هي

قديمة ومعقدة و المشاكل القائمة بين الكُرد وحكومات كل من العراق و تركيا و ايران لايمكن حلها بمجرد التنديد بها.

وإذا استطاع المجتمع الدولي وضع حلول لهذه المشاكل فان ذلك يعني أن المسألة الكُردية اصبحت مفهومة بشكل افضل و على نطاق اوسع.

كتاب

«شعب بدون وطن- الكُرد وكُردستان»

لمحرره جيرارد جالياند

يعتبر جيرارد جالياند واجداً من أهم وأقوى أصدقاء الكُرد الذين سلطوا الأضواء عليهم وجلبوا إنتباه العالم المتمدن إليهم وأظهروا حجم وبشاع المأساة التي عاشوها في ماضيهم وحاضرهم والويلات التي حلت بهم على أيدي الحكام الطغاة المستبدين.

الكتاب يبحث أسس الحركة القومية الكُردية وبداياتها ويشرح مطالبهم العادلة في الحرية والإستقلال بعد حرب الخليج وكيفية إقامة الملاذ الآمن لهم ويتناول بالبحث والتحليل وضع الكُرد أيام الإمبراطورية العثمانية وحالتهم في تركيا والعراق وإيران وسوريا وبلدان الإتحاد السوفيتي السابق وهو يوجه إهتماماً خاصاً للتاريخ الكُردي ويقدم شرحا لعملية توفير الراحة وكيف أن الولايات المتحدة والنظام الدولي لم يفلحا في التجاوب مع أزمة الكورد بعد حرب الخليج ومن ميزاته إجراء مقارنة بين سياسات الأنظمة الحاكمة في بغداد وطهرات وأنقرة ودمشق أزاء الأكراد القاطنين في دول المنطقة هذه.

أشترك في كتابة مواضيع الكتاب نخبة من الكتّاب المعنيين بالشأن الكُردي من أمثال جيرارد جالياند وديفيد ماكدووال والمفكر السياسي الكُردي الإيراني المعروف عبدالرحمن قاسملو وليندال نزان وعصمت

شريف وانلي وكاميران قرةداغي ومصطفى نازدار وبيل فريليك وأرشي روزفيلد والكاتب الإنكليزي الخبير بالقضية الكُردية ديفيد ماكدووال صاحب كتاب الكُرد وكُردستان وكذلك الكاتبة أليزا ماركوس ولا ننسى مترجم الكتاب الى الإنكليزية السيد مايكل پاليس Michael Pallis

الناشر

نبذة عن حياة المترجم

هو عبدالسلام محمد رؤوف النقشبندي المولود في ١٩٣٨ في قرية بامرني التابعة لقضاء العمادية ، اكمل دراسته الابتدائية في مدرسة القرية والثانوية في دهوك. في ١٩٥٧ التحق بكلية التربية "دار المعلمين العالية" وتخرج منها عام ١٩٦١ . ليعمل في حقل التربية والتعليم مدرساً وادارياً ومشرفاً اختصاصياً الى ان أحيل على التقاعد عام ١٩٩٤ عمل لفترة معداً للاخبار الانكليزية في تلفزيون «گةلي كُردستان» وبعد ذلك في تلفزيون «حقوق الإنسان». سافر الى الولايات المتحدة وهو يعيش اليوم في ولاية كاليفورنيا. سبق له ان ترجم كتاب «المأساة الكُردية» و«أقوياء قوة جبالهم » و«كُرد العراق- آلام وآمال» وهو مستمر في الكتابة.

الناشر

مقدمة

أقليات بدون حقوق

منذ أن حُسمت مسألة المستعمرات في العالم ظهرت مشكلة معينة وخاصة في البلدان الافرواسيوية. انها مشكلة الاقليات المضطهدة. الاقليات العرقية واللغوية والدينية تطالب بحقها في حكم نفسها بنفسها وتقرير مصيرها. انها تصر على تذكيرنا بأنها الأغلبية في مناطقها وعند تشتتها تطالب بحماية هويتها.

في الاجتماعات الدولية يثار حق الشعوب في تقرير مصيرها ولكن بشكل غامض. من حيث المبدأ هذا الحق مكفول بموجب القوانين الدولية ولكن مضامينه غير موجودة وتعتمد على توازن القوى الذي يقاس على مبدأ القوة المسلحة، الناس في تجمعات لهم حقوق هي اقل من حقوق الافراد اذا كانت هذه التجمعات البشرية لا تشكل دولة.

ان الشعوب بكل ما تعنيه هذه الكلمة ظهرت اثناء القرنين الثامن عشر و التاسع عشر في الغرب عندما ارتبطت المجتمعات التأريخية سياسياً واقتصادياً عن طريق الدولة القومية. لقد جرى تبنّي هذا الشكل من الدولة القومية في كل مكان عندما انهارت الامبراطوريات الاستعمارية وان قومية الاغلبية و الميل الى المركزية في الحكم نجم عنهما قمع الاقليات وهذه ميزة تأكدت من خلال حقيقة أن البلدان حديثة الاستقلال فهمت الوسائل القمعية للدول المعاصرة بسهولة اكبر من التأكيد على حقوق المواطنين .

ويظهر قمع الاقليات بصور واشكال مختلفة منها : التمييز العنصري: ويعني به عدم قبول اولئك الذين ينتمون الى مجموعة معينة.

الاضطهاد الثقافي: ويعني حرمان الاقلية من حقها في استعمال لغتها في التعلم في المدارس وفي الطبع والنشر او اثناء التعامل مع دوائر الدولة.

الاضطهاد الاقتصادي: وهو التحيّز المنتظم ضد مصالح الاقلية.

الاضطهاد البدني: وهو غرس القومية الغالبة او الاستحواذ على منطقة الاقلية عن طريق الترحيل.

الابادة الجماعية: ويعني بها محاولة اخفاء الاقلية.

وبما ان المشكلة متشعبة فانها تتطلب حلولاً متنوعة. وتبدأ هذه الحلول من الاستقلال الى الحكم الذاتي والى حماية الهوية. ولكن حتى الحقوق الثقافية والتي تمثل الحد الادنى لحقوق الاقليات لاتمنح عادة في كثير من الدول وخاصة في الدول التي كانت مستعمرات في السابق. في الحقيقة واثناء العقود الثلاثة الماضية كان من الاسهل على قطر من الاقطار الحصول على استقلاله من دولة استعمارية من ان تحصل اقلية من الاقليات على قدر من الحكم الذاتي في دولة من دول العالم الثالث. عشرات الملايين من البشر لايستطيعون استعمال لغتهم او ان تكون لهم هويتهم الخاصة بهم.

لقد اصبح امراً ملحاً تعريف مجموعة من الحقوق يكون الدفاع عنها بالقانون الدولي وتشمل هذه الحقوق حق عدم التمييز وحق الثقافة والتعلم بلغتهم واستعمال هذه اللغة في الاذاعة والنشر وفي التعامل مع دوائر الدولة وحق حماية الهوية القومية لهم.

ان المؤسسات الدولية لاتزال غير كاملة وهي غير فعالة وخاصة في

الامور التي تتعلق بالشؤون الداخلية للدول.

القومية هي آيديولوجية تدعي تمثيلها للقيمة العليا للدولة وهي بذلك تبرر قيامها بإرتكاب المظالم ضد الاقليات مهما كانت هذه المظالم شديدة.

إن معظم الدول الافرواسيوية قد حققت استقلالها ولكن من المؤسف ان لدى معظمها نزعة الى الاستبداد حيث أن تولي السلطة غالباً يكون عن طريق العنف والقوة، والانتقاد السياسي يقابل بالقمع. من الصعب تصور أن حقوق الاقليات يمكن الاعتراف بها عندما تكون الغالبية في هذه الدول تعامل معاملة الاطفال من قبل الحكام المستبدين.

الرأي العام والأقليات

في الغرب الاوروبي الناس المتفتحون عقلياً بشكل عام وخاصة في البلدان الاسكندنافية و الانكلوسكسونية يؤيدون او على الاقل يعّبرون عن تعاطفهم للنضال ضد الاستعمار الاوروبي و ضد سياسات الولايات المتحدة في البلدان مثل فيتنام، ولكن عندما تكون المشكلة في بيافرا او في جنوب السودان او كُردستان او اريتريا اي في دولة من دول العالم الثالث فان هذا القسم من الرأي العام يميل الى ملازمة الصمت. اما السبب في هذا السكوت والتردد فهو الافتقار الى المعرفة الاساسية بالمسألة ولفعالية الدعاية التي تقوم بها الدولة في المحافل الدولية ووسائل الاعلام.

الكُرد هم المجموعة العرقية الوحيدة التي يبلغ عدد نفوسها اكثر من١٥ مليون نسمة ! ولاتملك دولتها الخاصة بها رغم نضال عقود من الزمن. إن المسألة الكُردية كانت بشكل مستمر مدار البحث في المحافل الدولية

منذ سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى وتقسيم منطقة الشرق الاوسط. ومنذ ذلك الحين قسم الشعب الكُردي بين تركيا وايران والعراق و سوريا مع وجود اقلية منهم في الاتحاد السوفيتي. في كل من تركيا وايران وسوريا هم محرومون من أبسط الحقوق ومنها حق التعلم بلغتهم وحق حماية هويتهم. اما في العراق فأنهم معترف بهم كقومية متميزة ويتمتعون بحقوق ثقافية معينة.

الكُرد من الاقوام الجبلية واقتصادهم يعتمد على /(اليوم يبلغ نفوسهم حوالي ٣٥ مليون نسمة) المترجم/ الزراعة وحرفة الرعي وتربية الاغنام. لقد استوطنوا المنطقة منذ القدم وعرفت باسم كُردستان. ان هذا المصطلح الجغرافي الذي يؤشر منطقة جبلية تمتد من جنوب شرق تركيا وتعبر شمال العراق لتصل الى شرق ايران انما تغطي جزءً من المناطق التي يسكنها الكُرد. هنالك كُرد من منطقة جبال طوروس الى الهضبة الغربية من ايران وفي جبال ارارات الى الهضاب المشرفة على سهول ميسوبوتاميا.

الكُرد يتكلمون لغة من اصول اندواوروبية مثلها في ذلك مثل اللغة الافغانية والفارسية وهي جميعاً جزء من مجموعة اللغات الايرانية. على عكس الفرس الكُرد في غالبيتهم مسلمون سنة، اول وثيقة مكتوبة بالكُردية يعود عهدها الى القرن السابع والاعمال الادبية اللاحقة كانت غزيرة وذات نوعية عالية وخاصة رائعة احمدي خاني في القرن السابع عشر «مه م و زين» وابتداءً من القرن الحادي عشر عندما دبَّ الضعف في جسد الخلافة العباسية ظهر عدد من الامارات الكُردية. ومع أن مساهمتها في الثقافة الاسلامية لم تكن كبيرة فإنها ايضاً لم تكن بالتافهة في بداية القرن السادس عشر وفي محاولة من الباب العالي

للتصدي لنفوذ الفرس الشيعة فأنه حاول كسب تأييد الامارات الكُردية له.

اندحرت جيوش الشاه في جالديران واصبح الامراء الكُرد يتمتعون باستقلاليتهم وامتيازاتهم لقاء حماية الحدود الشرقية للامبراطورية واستمر هذا الوضع الى بداية القرن التاسع عشر. في القرن الاخير حاول الباب العالي جعل الامبراطورية الهرمة مركزية الادارة، وفي محاولة منها (الامبراطورية) ممارسة اكبر قدر ممكن من السيطرة على اقاليمها عمدت الى اخضاع الامارات الكُردية لسلطتها، كان رد فعل الامراء على انتهاك امتيازاتهم شديداً وجاء على شكل ثورات في ١٨٢٦ و ١٨٣٤ و (١٨٥٣ – ١٨٥٥) و ١٨٨٨، احتفظت هذه الثورات بطابعها التقليدي وهو مقاومة نفوذ الدولة ضد حقوق قائمة منذ زمن بعيد، انها ثورات لم تحركها ايديولوجيات القرن التاسع عشر في اوروبا، لم تكن لديهم مطالب اكبر من الاحتفاظ بإمتيازاتهم ولم تكن لدى هؤلاء الامراء رؤية سياسية عصرية.

ظهرت الصحافة الكُردية في ١٨٩٨ وفي اعقاب ثورة الشباب الترك بدأت هذه الصحافة بالتطور وفي اسطنبول ساهمت في مناقشة المشاكل القومية ولكن النخبة الكُردية المؤلفة من عناصر مدنية كانت لاتزال صغيرة. بعد سقوط الامبراطورية في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ اعلن الرئيس وودرو ويلسن مشروعه المتضمن اثنتي عشرة نقطة. احدى هذه النقاط تؤكد على وجوب حصول الاقليات في الامبراطورية على الحكم الذاتي، المواد ٦٢ و ٦٣من معاهدة سيفر الموقعة من قبل الحلفاء وتركيا في ١٠ أب ١٩٢٠ اشترطت حصول الكُرد على حكمهم الذاتي. هذه المعاهدة المجحفة بحق تركيا لم تجد طريقها الى التنفيذ لأن حرب الاستقلال التي خاضها كمال اتاتورك بمساعدة الكُرد غيرّت الاوضاع

ومكّنت كمال من فرض شروط مغايرة في معاهدة لوزان الموقعة عام ١٩٢٣، في هذا الوقت ألحقت بريطانيا ولاية الموصل الكُردية بالعراق الذي كان تحت الإنتداب البريطاني للسيطرة على حقول النفط الموجودة فيها. وعندما رسمت الحدود بين تركيا وسوريا الحقت ثلاث مناطق مأهولة بالكُرد بسوريا، التي تخضع للانتداب الفرنسي لقد تم تقسيم الشعب الكُردي بشكل تام.

وفي ١٩٢٤ اصدرت الحكومة التركية قانوناً يمنع تدريس الكُردية في المدارس واشترط قانون اجازة الاحزاب المرقم ٨٩ عدم ذكر وجود اقليات في الجمهورية لأن من شأن ذلك تقويض الوحدة القومية للبلاد، وسحقت الحكومة الكمالية ثلاث ثورات متعاقبة في ١٩٢٥ و ١٩٣٠ و ١٩٣٥ وجردت الكُرد من جميع حقوقهم واطلقت عليهم مصطلح «ترك الجبل» وفي نفس الوقت جرى ترحيل مئات الالوف من الكُرد الى وسط وغرب الاناضول واصبحت كُردستان منطقة عسكرية ومنع الاجانب من زيارتها حتى ١٩٦٥، وفي الفترة الممتدة بين ١٩٦٠ و ١٩٨٠ لم يرد ذكر للمسألة الكُردية بشكل علني إلاّ مرة واحدة، تلك كانت في ١٩٧٠ عندما اصدر حزب العمل التركي قراراً اعترف بوجود شعب كُردي و بحقوقه المشروعة وعلى الفور فرض الحظر على نشاط الحزب .

وفي ايران ابدى الكُرد معارضتهم لنظام الشاه في صورة سلسلة من الثورات في العشرينيات والثلاثينيات، في ١٩٤١ احتل الانكليز جنوب ايران والسوفيت شمالها وذلك لمنع الشاه الذي كان يتعاطف مع المحور من عقد تحالف عسكري معه. ولعدم وجود سلطة مركزية وحدوث فراغ للقوى بدأ الاذربيجانيون والكُرد بتنظيم انفسهم. وفي كانون الاول ١٩٤٥ اعلن الكُرد عن قيام جمهوريتهم في مهاباد. لم تعمر اكثر من سنة، حيث

اجتاحتها جيوش الشاه واعدمت قادتها، افلح ملا مصطفى البارزاني الذي كان قد التحق بقوات الجمهورية ومعه عدة مئات من اعوانه في شق طريقه عبر الحدود الايرانية التركية الى الاتحاد السوفيتي.

كان الشاه في سياسته مع الكُرد اكثر مرونة من السياسة التركية نحوهم وأن لم يمنحهم عملياً ابسط الحقوق، ومما يجدر بالذكر ان العنصر الفارسي في ايران ليس بالغالب حيث لايشكل اكثر من ٤٠٪ من مجموع السكان.

ان المعاهدة الفرنسية التركية في ١٩٢١ الحقت ثلاث مناطق كُردية بسوريا، وهذه المناطق هي الجزيرة وكُرداغ وعين العرب، في ١٩٦٢ بوشر العمل بخطة لتعريب اجزاء من الجزيرة وتم التخلي عن الخطة رسمياً في ١٩٧٦ ولم يطبق الحزام العربي الذي كان سيطبق على طول الحدود مع تركيا ولكن ليس للكُرد حقوق حتى الآن في سوريا.

العراق المشكل اصلاً من ولايتي البصرة وبغداد استقطع من جسم الامبراطورية بعد الحرب الاولى. كما ان بريطانيا قطعت ولاية الموصل الكُردية الغنية بالنفط. في ١٩٢٢ اعترفت بريطانيا ومعها العراق بحق الكُرد في اقامة حكم ذاتي لهم داخل الدولة العراقية على الرغم من الانتفاضات الكُردية في ١٩١٩ و ١٩٢٣، قررت عصبة الامم إلحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية مع توصية بمنح الكُرد قدراً من الحكم الذاتي وحقوقاً ثقافية متنوعة، اصبحت المملكة العراقية رسمياً مستقلة في ١٩٣١ ولكنها بقيت تحت النفوذ البريطاني الى ١٩٥٨ حيث اقيم النظام الجمهوري.

وعندما انتهت سلطة الانتداب حاول العراق بسط سيطرته على كل العراق. انتفض البارزانيون في ١٩٢٢ بزعامة شيخ احمد ولكن

الانتفاضة سحقت بإستخدام السلاح الجوي الملكي البريطاني، انتفض البارزانيون في ١٩٤٣ بقيادة ملا مصطفى الشقيق الأصغر للشيخ احمد ولكنه اضطر الى الانسحاب الى ايران لتدخل السلاح الجوي البريطاني مرة اخرى والذي قام بإسناد القوات العراقية المهاجمة، وحال وصوله الى مهاباد انضم الى قوات جمهورية مهاباد بزعامة قاضي محمد.

في ١٩٥٨ اعلن ان العراق مكون من شعبين هما الشعب العربي والشعب الكُردي. عاد ملا مصطفى البارزاني من الاتحاد السوفيتي ولكن علاقته مع قاسم سرعان ما تدهورت وفي ١٩٦١ بدأ حربهُ التحررية لإقامة حكم ذاتي داخل الدولة العراقية. ادى الصراع المسلح الى سقوط اربع انظمة بين ١٩٦١ و ١٩٦٨ في ١٩٧٠ وقّع نظام البعث اتفاقية مع الكُرد تعهد بموجبها منح كُردستان حكماً ذاتياً يشمل جميع المناطق ذات الاغلبية الكُردية حسب ما تقرره عملية احصاء تجرى لهذا الغرض غير ان العملية هذه لم تجرى واندلعت المعارك من جديد في ١٩٧٤ عندما قرر نظام بغداد تطبيق قانون الحكم الذاتي من جانب واحد وبصيغته المعدلة. انتهت الحرب التي كان الكُرد يتمتعون فيها بدعم ايراني وامريكي عندما وقّعت ايران والعراق اتفاقية ٦ آذار ١٩٧٥ في الجزائر. اوقفت ايران دعمها واغلقت الحدود في وجه الكُرد واختارت القيادة الاستلام والإنسحاب الى ايران.

منذ الستينيات كانت الحركة الكُردية تتلقى المساعدة من ايران والغاية من هذه المساعدة كانت اضعاف العراق. مقابل هذا الدعم عملت القيادة الكُردية على تجميد ولجم انشطة الحركة الكُردية في ايران ووصل بها هذا التعاون الى درجة قيامها باعدام بعض من قادة الحركة الكُردية

الايرانية وتسليم عدد آخر منهم الى السلطات الايرانية.

أما الادارة الامريكية فانها قدمت مبلغ ١٦ مليون دولار الى الكُرد لا لمساعدتهم لإقامة حكم ذاتي بل من اجل اضعاف صدام حسين حليف الاتحاد السوفيتي الذي تربطه معه معاهدة تعاون وصداقة منذ ١٩٧٢.

بعد اتفاقية الجزائر كثّفت الحكومة العراقية من اجراءاتها ضد الكُرد واسرعت في تطبيق سياسة التعريب في المناطق النفطية والحدودية مثل كركوك وخانقين وسنجار وغيرها.

تم ترحيل مئات الألوف من الكُرد الى الجنوب والوسط او الى مناطق في الحكم الذاتي التي تقلصت كثيراً. وجرى نقل الموظفين الكُرد الى المناطق العربية وحل محلهم موظفون عرب موالون للبعث، كما تم تبديل أسماء القرى والبلدات الكُردية واصبحت هيئة الحكم الذاتي مؤلفة من اناس تعيّنهم بغداد والمجلس التشريعي يتلقى توجيهاته من بغداد وتخضع قراراته لموافقة الحكومة المركزية. ولكن وعلى الاقل بقيت بعض الحقوق الثقافية . سرعان ان انطلقت حرب العصابات في صيف ١٩٧٦ ولكن تأثيرها كان معنوياً ولم تؤثر على وضع الحكومة.

بعد كارثة انهيار الحركة الكُردية كان ولابد ان يحدث الانشقاق في صفوفها. انقسمت الحركة الى الحزب الديمقراطي الكُردستاني «القيادة المؤقتة» والديمقراطي الكُردستاني «اللجنة التحضيرية» وكان هناك الاتحاد الوطني الكُردستاني.

عناصر الضعف لدى الحركة الكُردية

انهارت الحركة الكُردية في السبعينيات والثمانينيات لا لأنها عقدت تحالفات غير طبيعية مع اطراف اقليمية واجنبية بل لأن هذه القيادة لم

تأخذ في الحسبان الغموض الذي اكتنف هذه التحالفات وانها لم تسعى الى تأمين استقلاليتها السياسية كما جاء ضعفها من تقييدات الحركة نفسها. رغم أنها حركة قومية اصيلة فإنها لم تستطع الارتقاء بنفسها الى مصاف الحركات الراديكالية لتقوم بتطوير علاقة عضوية بين الجماهير وبين جيشها الشعبي الذي يحمل فكراً ثورياً قومياً، ان العقلية العشائرية وتفسخ الكادر العسكري والاداري ساهما في استمرارية وبقاء العلاقات التقليدية، صحيح ان كثيراً من الحركات في ذلك الوقت كانت تعاني من نفس العيوب ومع ذلك فانها نجحت ولكن وضع الحركة الكُردية الخاص بها تطلب وجود شيء مختلف تماماً، ان ايديولوجية ثورية ونوعاً من التجديد كانا امرين تفتقر القيادة اليهما وهما شيئان ارتبطا بالجيل الذي ينتمي اليه القائد.

على مدى قرون من الزمن اظهرت الحركة القومية الكُردية انها دائماً متخلفة عن ركب الحركات المعاصرة لها والموجودة في المناطق المحيطة بها. وهذه الخاصية مرتبطة بالمستوى الاقتصادي والثقافي والسياسي والاجتماعي للمجتمع الكُردي، كون الكُرد من سكنة الجبال فهم مثل غيرهم من الاقوام الجبلية متأخرون، فيهم نخبة صغيرة جداً لذا سبقتهم وسحقتهم شعوب لهم حكومات هي عريقة وعميقة الجذور في التاريخ مثل الفرس والترك.

وعند نشوب الحرب الاولى كان الكُرد جداً متأخرين في التطور مقارنة بالحركات الاخرى ضمن الامبراطورية وخاصة تلك التي في منطقة البلقان وشرق الاناضول وبان عجز الحركة الكُردية السياسي بشكل كبير في استثمار الفرصة التأريخية التي اتيحت لهم في فترة الفراغ السياسي التي اعقبت الحرب من ١٩١٨ الى ١٩٢٠ بعد سقوط

الامبراطورية. على مدى نصف قرن بقيت الثورات الكُردية انتفاضات تقليدية سهل القضاء عليها.

اما في العراق فقد كانت الظروف مختلفة وحتى عام ١٩٧٠ واجه الكُرد دولة حديثة التكوين لم تكتمل بعد هياكلها، ولكن اختلف الأمر بعد مجيء صدام حسين ويمكن وصفه ومعه البريطانيون بأنهم مهندسو الدولة العراقية، بالاضافة الى ذلك الكُرد في العراق يشكلون نسبة سكانية مرتفعة مقارنة بأعدادهم في ايران وتركيا اذ انها الخمس في تركيا والسدس في ايران في حين انها اقل من الربع في العراق.

اما الموجة الثانية للقومية في الشرق فقد جاءت بعد الحرب الثانية. و رغم فشلها فقد كانت تجربة جمهورية مهاباد تعبيراً عن هذه الموجة، ايدولوجية الجمهورية بقيت تقليدية وخاصة في الناحية الاجتماعية، واخيراً ولأسباب عديدة انهارت الجمهورية بدون مقاومة، الحركة الكُردية في العراق في الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٧٥ بقيت مرآة تعكس تأخر المجتمع الكُردي.

لم تجهد القيادة نفسها في أن تضع نصب اعينها هدف الارتقاء فوق مجتمعها حاملة معها هذه الجماهير على النحو الذي نجحت فيه قيادات اخرى. هذه المعوقات الجغرافية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية مضافاً اليها تأخر الصفوة فيها والتوارث التأريخي لهذا التأخر جميعها اثقل كاهل الحركة واثر على تحديد مصيرها. الذهنية والقيم والسلوك التقليدي القديم لم يتغير شيء منها. القيم البالية لازالت هي السائدة- خداع تكتيكي بدلاً من تحليل سياسي و مناورات في الولاء بدلاً من التعبئة السياسية و شعارات ثورية قليلة بدلاً من ممارسات راديكالية.

الحركة الكُردية في النصف الثاني من القرن العشرين كانت تفتقر

الى الطليعة البرجوازية العصرية وحتى وإن وجدت مثل هذه الطليعة فقد كانت عاجزة عن عمل شيء، عليها أن تؤسس لنفسها ستراتيجية تعمل في الاتجاهين الاقليمي والدولي وعلى مستوى الدول الأربع ذات الصلة بالموضوع الكُردي.

الفصل الأول



الكُرد في ظل الامبراطورية العثمانية

لانستطيع فهم وضع الكُرد في الوقت الحاضر مالم نحط علماً بواقعهم التأريخي وعلى الاخص في ضوء الاحداث التي وقعت في فترة المائة سنة الماضية من الشمولية العثمانية الى القومية.

بدأت الامبراطورية العثمانية بالتمزق في القرن التاسع عشر بعد عجزها في مجاراة الثورة الصناعية وبعد ان نخرت في جسدها التناقضات الداخلية للاحتفاظ بجيش ضخم ، وسيطرة الدولة على ادارة الاراضي الأمر الذي عرقل التطور نحو الرأسمالية وبعد ان انتهى الصراع الطويل مع الامبراطورية النمساوية و روسيا القيصرية الميالة الى التوسع على حساب الامبراطورية الهرمة. كما أن الحكم الاستبدادي المطلق وعدم تقبله للفكر العلمي والفلسفة المنطقية عجلا من هذا التفكك والاضمحلال.

ابتداءً من عام ١٨٧٨ اصبحت مالية الامبراطورية المدينة والمفلسة تحت هيمنة المجلس الاوروبي المؤلف من ممثلية للدول الدائنة وهي بريطانيا و فرنسا و المانيا و النمسا وايطاليا. حصل البنك العثماني الذي هو مؤسسة خاصة، يعمل برأسمال انكليزي وفرنسي على امتياز اصدار العملة. كما ان استغلال المعادن و سكك الحديد والتجارة الخارجية جميعها اصبحت بيد الاوروبيين و اصبح اللورد ستراتفور كاننغ السفير البريطاني مشرفاً على تنفيذ الاصلاحات المقررة وأصبح بوسعه إقامة حكومات او الغائها. أما شعوب البلقان التي وجدت في

الامبراطورية اداة للقمع وجمع الضرائب فقد بدأت في استغلال الفرصة الناجمة من التوازن الجديد للقوى و باشرت بالنضال التحرري، وعلى الطرف الاخر من الامبراطورية فقد بدأ الكُرد من جانبهم بالتململ.

وكرد فعل على هذا التدفق والزحف الاستعماري على الامبراطورية التي لم تعد هياكلها الادارية والمالية مناسبة لهذا العصر والتي بدأت تنسف من قبل قومية محافظة ذات صبغة عثمانية، ابتداءً من ١٨٦٥ بدأ المتشبثون بالنظرة القومية العثمانية هذه من امثال كمال و زياد باشا الذين عرفوا بالعثمانيين الجدد يسألون عن كيفية تحديث الامبراطورية و القضاء على البؤس والفساد المستشري في جسد الامبراطورية و النأي بأنفسهم من جور السلطان و حكمه المطلق اعتقد هؤلاء ان تبني دستور جديد يكفل الحرية و المساواة لجميع شعوب الامبراطورية كفيل بانهاء النزعة الانفصالية لدى تلكم الشعوب إن مثل هذا الدستور في نظرهم سيكون قادراً على تحقيق مستوى حضاري يضاهي المستويات التي حققها الغرب الاوروبي.

جندت الحركة الدستورية هذه انصارها من بين صفوف الضباط و المثقفين و اصبحت تعرف باسم «حركة الشباب الترك». كانت البرجوازية العثمانية التي شكلت القاعدة الاجتماعية للحركة غريبة في خواصها ومنقسمة على نفسها بسبب تضارب و تباين مصالحها وكانت مؤلفة من:

١- التجار المسيحيين اليونانيين و الأرمن و كانوا اصحاب الامتيازات ومرفهين وكانوا وسطاء للبريطانيين والفرنسيين.

٢- الطبقة البيروقراطية وهم العسكريون و المدنيون المنتفعون من اعمال السمسرة ولهم روابط وثيقة مع المصالح الغربية.

٣-البرجوازية التجارية التركية التافهة التي سفهت مصالحها بعد

خضوعها المذل للقوى الاجنبية وضمت عدداً من اليهود،

في ١٩٠٢ أدت التناقضات الموجودة في جسمها الى حدوث انشقاق في حركة الشباب الترك. وجدت طموحات المجموعتين الاولى والثانية للحرية السياسية التعبير عن نفسها في التيار الذي تجمّع حول الامير صبحاتين Sabbhatine ذلك التيارالذي اصبح في نهاية المطاف حزب الحرية و الإئتلاف وبدأ الحزب حملته في الدعوة الى خلق تركيا متحررة برعاية بريطانية وحيث تكون السلطة بايدٍ كفوءة بغض النظر عن العرق والعقيدة وفي الظرف الحالي السائد يمكن القبول بهيمنة البرجوازية العامة غير الاسلامية.

اما بخصوص مطالب البرجوازية الاسلامية فإنها محصورة في اقتصاد وطني ودولة دستورية، تبنّى جناح الاغلبية في الحزب هذا التوجه الذي احتفظ باسم الحزب الاصلي والذي رفضه انصار الامير انهم جماعة الاتحاد والترقي التي طالبت بمؤسسات ومصانع وبنوك اسلامية مثّل هؤلاء الاتحاديون قومية مصبوغة بصبغة اسلامية حلت محل القومية العثمانية وكانت المرحلة التالية في العملية هي ظهور القومية التركية. سعى الاتحاديون الى الابقاء على وحدة الشعوب الاسلامية في الامبراطورية واهتموا بالوحدة القومية ورفضوا التدخل الاجنبي.

وانضم عدد كبير من المثقفين العرب والكُرد والألبان الى جمعية الاتحاد والترقي وتوصل هذا التنظيم الى إتفاق مع الارمن والبلغاريين للإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني الذي كان رمزاً للاستبداد و باجراء انتخابات لمجلس نيابي يقوم بسن دستور جديد يضمن الحريات والمساواة بين جميع شعوب الامبراطورية.

لعدم ايمانه بفضائل المساواة التوحيدية بين الشعوب فضل السلطان الرابطة الاسلامية التي في اعتقاده تستطيع جمع الخليط الاسلامي الذي تتكون منه الامبراطورية ولغرض التصدي للخطر المسيحي تطلب الأمر اتحاد المسلمين كافة تحت سلطة الخليفة الذي هو السلطان. أيدت المانيا هذا التوجه الاسلامي للسلطان وكانت ترنو الى مد نفوذها الى الاناضول و ميسوبوتاميا.

في ١٩٠٨ وصل الاتحاديون الى الحكم بعد انقلاب دشن بداية مرحلة جديدة للثورة البرجوازية التركية والتي لم تأت على نهايتها الا بعد ١٥ سنة صاخبة مليئة بالأحداث تُوجت بظهور وانتصار مصطفى كمال أتاتورك في ١٩٢٣، في مراحلها الاولى اثارت حماساً كبيراً وكانت محل اعجاب جميع القوميات التي هللت لها مستبشرة بقدوم عهد جديد وبعد مضي ٥ اشهر جرت الانتخابات وانعقد البرلمان و منحت حريات للقوميات غير التركية بمافيها حقوق النشر والتعلم. هذه الفترة من الحرية النسبية الجديدة على الامبراطورية كانت سريعة الزوال حيث تم سحق الحركة الالبانية التي نادت بمجلس الباني للحكم الذاتي.

وبدأ المثقفون من القوميات الاخرى التي عملت بكل تفانٍ وحماس من اجل ما اعتقدوه انه ثورة تنادي بالمساواة بترك صفوف الاتحاد وبدأوا مسيرة الاستقلال لشعوبهم. حاز الالبان والبلغار على استقلالهم ابان حرب البلقان ١٩١٢ – ١٩١٣ وبدأت شبه جزيرة العرب بالتململ.

أظهر الدستور والروح الجديدة (انهما) غير فعالين وحطم التطور الوحدة العثمانية، تبنت حركة الاتحاد والترقي نهجاً متصلباً وفرضت حظراً على كل المطبوعات والاتحادات والمدارس غير التركية، الآن وبما أن الحركة برمتها مشكلة من القوميين الترك فانها اعلنت توجهاً طورانياً

كآيدولوجية لها. وفي الحقيقة كانت الحركة تطبق هذا النهج المتعصب وهذه الايدولوجية قبل الاعلان عنه وقطعت كل ارتباطات لها مع القوميات الاخرى.

الحركة وهي تستلهم من الحركة الالمانية فقد سعت الى إقامة الامبراطورية الطورانية التي تمتد من تركيا الى سهول اسيا الوسطى، أما السلطان رشاد الذي جاء الى السلطة عقب الانقلاب الذي اطاح بالسلطان عبدالحميد الثاني صاحب نظرية وفكرة توحيد شعوب الامبراطورية تحت مظلة اسلامية فقد كان يميل الى القوميين الترك والى حلمهم الذي لم يكن متجانساً وعملياً حيث بين تركيا و طورانيا التي هي اذربيجان و اوزبكستان وتركمنستان وقرغيزيا تقع ارمينيا وارض كُردستان المأهولتان بأقوام هي ليست تركية ، عشية الحرب العالمية الاولى وجد الاتحاديون حلهم للمشكلة وهو القضاء على هذين العنصريين بالتخلص منهما جسدياً وان تعذر ذلك فبالتهجير و التشتيت للاقلال من كثافتهما السكانية، الارمن كونهم مسيحيين فقد اعتبروا مستعصين على الصهر والتمثيل، لذلك استوجب الامر القضاء عليهم. أما الكُرد فيجب تهجيرهم وتشتيتهم أو اذابتهم وصهرهم حسب ما يتطلبه الأمر.

بدايات الحركة القومية الكُردية

مع ان فكرة الانتماء الى مجتمع كُردي ظهرت بشكل مبكر بين عدد من المثقفين الكُرد فان تأسيس قاعدة اجتماعية للقومية يعتبر تطوراً حديثاً في كُردستان لأسباب تاريخية منها الوضع الخاص لكُردستان في الامبراطورية العثمانية.

وضع كُردستان

ان تاريخ العلاقة الكُردية العثمانية يعود الى اوائل القرن السادس عشر عندما كانت كُردستان بإماراتها واقطاعياتها في حالة حرب دائمة مع الشاه في ايران الذي كان يحاول ضمها الى امبراطوريته.

اثناء الحرب العثمانية الفارسية في جالديران شمال كُردستان في ١٥١٤ حارب رؤساء العشائر الكُردية الى جانب السلطان العثماني سليم الاول الملقب بالقاسي وكانوا عاملاً مهماً في انتصاره. وتبعاً لذلك عقد السلطان سليم عهداً مع الزعماء الكُرد البارزين. وكون الكُرد سُنّة كان سبباً في وقوفهم مع العثمانيين الذين هم سُنّة ايضاً ضد الفرس الشيعة. اعترف العهد رسمياً بوجود ١٦ امارة كُردية مختلفه الاحجام و ٥٠ إقطاعية كُردية (سنجق) ومنحت الاتفاقية الامارات الجنوبية وضعاً مستقلاً لها كل الامتيازات المتصلة بالدولة من صك النقود جعل خطب الجمعة بأسماء الامراء الكُرد الذين لا يخضعون للمحاسبة من قبل السلطات ولا يترتب عليهم دفع ضرائب وآتاوات. ولكن مقابل ذلك عليهم اطاعة السلطان وعدم التمرد عليه، كما ان عليهم عدم المساس بحدود

الامارات القائمة احتراماً لها. في الحقيقة كان الغرض من الشرط الاخير منع قيام دولة كُردية في حالة اتحاد اكثر من امارة.

المناطق العاصية وحيث تكون السيطرة العسكرية صعبة تركت ادارة شؤونها للأمراء الكُرد وغالباً الى رؤساء العشائر الذين اصبحوا ادوات طيعين بيد السلطان. للامراء مطلق الحرية في اقطاعياتهم وسلطاتهم وراثية. مقابل هذه الامتيازات عليهم المشاركة في الحملات العسكرية للأمبراطورية وخاصة ضد الفرس. السناجق كانت تشكل نحو ثلث مساحة كُردستان العثمانية. اما المناطق الشمالية و مناطق مدنية مثل دياربكر وسيرت و ماردين و قربوط فإنها كانت تدار طبقاً للنمط العثماني للادارة.

كُردستان الإمارات والاقطاعيات

تمتع وضع الامارات الكُردية برضا الطرفين حتى بداية القرن التاسع عشر. كُردستان في شكل إمارات كانت عملياً مستقلة ونتيجة لهذا الوضع ازدهرت الحياة الثقافية والفلكلورية في بلاط الامراء. واصبحت مدن بتليس و جزيرة وهكاري عواصم الامارات الكُردية القومية مراكز ثقافية يأتيها الشعراء والمغنون والموسيقيون حيث يجدون عند الامراء الرعاية والتشجيع ويذهب عدد منهم الى اسطنبول بحثاً عن شهرة اكبر ومن هؤلاء فيض الله ونالي.

أما الامراء الكُرد فكانوا يقيمون مجالساً من الفخامة والابهة والعظمة تضاهي تلك التي تقام عادة في بلاطات الملوك المعاصرين لهم. أما عن الاشاعات التي كانت تنشر في الخارج من قبل بعض المسافرين والمبشرين والتي وصفت الكُرد على انهم اناس بدائيون ، رحل، يحيون

حياة النهب والسلب فانها لم تكن دقيقة بشكل تام، وفي هذه الفترة من النهضة الكُردية في الثقافة والتي هي العصر الذهبي للاقطاعيات الكُردية كان المجتمع الكُردي شبه معزول عن العالم الخارجي المحيط به. الامراء وقد ابتعدوا عن العواصم وهم في مأمن من كل غزو يهدد حكمهم فان افق ادراكهم انحصر في حدود اماراتهم وهم تبعاً لذلك لم يكونوا قادرين البتة على توحيد شعبهم تحت سلطة مركزية واحدة. ان التهافت والتكالب على رئاسة الامارة والتشبث بها جعل الامراء الواحد منهم يقف ضد الاخر. كما أن العهد الذي بينهم وبين الباب العالي يمنعهم من التقارب الواحد من الاخر ومن التوحد.

كما أن السلاطين بدهاء بيزنطيني كبير غذّوا الانقسامات وحالات التنافس ولن يقبلوا بأية تهدئة بين الرؤساء والامراء. ان الخروج على امر السلطان الذي هو ظل الله على الارض كان امرا لا يجوز حتى التفكير به من قبل الامراء الورعين طالما ان السلطان يمنحهم الالقاب والامتيازات. ان شعورهم بمفهوم أمة الاسلام كان اقوى من اي شعور بالقومية الكُردية ان وجد مثل هذا الشعور لديهم أصلاً.

ومع ان وجود مثل هذه العوامل والاطماع الشخصية لدى الامراء وتأثير الدين عليهم لعبت دوراً مهماً في منع نمو الشعور القومي لديهم والذي كان بوسعه ان يعمل كقاعدة لقيام كيان كُردي فان العائق الرئيسي امام تحقيق ذلك كان التركيبة الاجتماعية والاقتصادية لكُردستان نفسها، في هذا الوقت كان السواد الاعظم من سكان كُردستان من الرعاة والفلاحين والتنظيم الاساسي فيها كان العشيرة ورؤساء السناجق كانوا دوماً رؤساء عشائر.

ويصح القول على الكونفدراليات العشائرية التي يتزعمها زعيم قبلي

تقليدي. العصبية القبلية كانت الحاجز الرئيسي أمام ظهور الوعي القومي و القبضة القوية للدين على الشعب الكُردي كانت نتيجة من نتائج العصبية القبلية.

نعتقد بأن هذه الخاصية كانت مسؤولة عن فشل جميع الثورات والانتفاضات الكُردية في القرن التاسع عشر والتي كانت تهدف الى اقامة كيان كُردي مستقل و موحد ولكنها انهارت بسبب الخيانات وتغيير الولاءات وحدوث الانتقامات بين الكُرد انفسهم نتيجةً للتفكير العشائري الضيّق.

حرفة الرعي التي هي اساس الاقتصاد في العشيرة كانت ولقرون عدة النشاط الاقتصادي الرئيسي في المنطقة الجبلية. المنحدرات الجبلية غير ملائمة للزراعة التي كانت تمتهن في وديان دجلة والفرات. ان استخدام المراعي والطرق الطويلة الوعرة وغير المأمونة والحاجة الى حماية القطعان امور أخرى ساهمت في جعل مهنة الرعي نشاطاً جماعياً. حيث تتطلب روابط قوية بين افراد المجتمع، ان الفخذ وتنظيمه المتطور الذي هو العشيرة هو خير من يلبي هذه الحاجات.

مثلها مثل التنظيمات الاجتماعية الاخرى العشيرة لها نظامها الخاص بالقيم التي تطورت لضمان حمايتها، ان مهنة الرعي التقليدية لاتحتاج الى ثقافة والياتها التي تقاوم التغيير لا تتطلب اكتساب اية معرفة، وحتى لو اراد افرادها التعلم فان السفر المستمر يجعل مهمة التعلم هذه عسيرة. ان سكان المدن و مجتمات القرى الزراعية المستقرة في وضع يمكنهم من الانتفاع بمزايا التعليم، العشائر الجبلية لها اتصالات قليلة مع العالم الخارجي ويعيشون في عزلتهم متكافلين مع المحيط، ان افراد العشيرة في مواجهتهم للظروف الصعبة للحياة وقوى الطبيعة التي

لاترحم يحتاجون الى تفسير بسيط للعالم الذي يقدم بعض الامل لحياة اخرى اسهل.

وعندما تتوفر لديهم القناعة فانهم على استعداد تام للتضحية بأنفسهم من اجل الدفاع عن هذه القناعة بذات الحماس الذي يدافعون به عن شرف العشيرة والحيلولة دون تلطيخ اسمها، الايمان بالشيء والثقة صفة ملازمة لهذه الذهنية.

اذا اقتنع افراد العشيرة بأن احداً صادق في اقواله فإنهم يمنحونه ثقة عمياء لايزعزعها اي شيء و يكونون على استعداد للتضحية من اجلها ان من الاثار المؤذية لمثل هذه العقلية العاجزه عن التعامل مع العوامل المعقده والمخادعة احياناً والتي تظهر اثناء الكفاح التحرري القومي وقوف هذه العقلية حجر عثرة امام جميع الثورات والانتفاضات الكُردية ابان القرن التاسع عشر و معظم القرن العشرين.

...ان مفهوم الذات «انا» غير وارد في ثقافة العشيرة ونظام الحياة فيها . «نحن» بمعنى العشيرة هي الفكر السائد. الافراد يتصرفون ويعرفون بأنفسهم ضمن مسميات العشيرة فهو اولاً وقبل كل شيء عضو في هذه العشيرة او تلك ثم هو مسلم او يزيدي او مسيحي. اما ان يكون عضواً في مجموعة قومية كأن يكون كُردياً مثلاً فانه يأتي في المرتبة الثالثة. ان اية عشيرة اخرى وان كانت على نفس الدين او القومية فانها دون عشيرته منزلة ويرى في افرادها اعداءً محتملين لعشيرته.

كتنظيم اجتماعي، العشيرة تأتي قبل الدولة وهي تدير الانتاج وتحافظ على السلم الداخلي وتنظيم الدفاع.

... رئيس العشيرة و كثيراً مايشغل دور الزعيم الديني ايضاً يمتلك سلطة تنفيذية ولأوامره قوة القانون. ان النظام العشائري للقيم يتبناه كل

فرد من افراد العشيرة ويتمسك به. ان تقاليد واعراف العشيرة توحدها و تجعلها رهن اوامر الرئيس. ويعمل الرئيس كحلقة وصل بين العشيرة وعالمها الخارجي ولايمكن لرجال العشيرة القبول بأمر ما إلاّ بعد استحصال موافقة الرئيس.

... ولكن ولسوء الحظ فان الرؤساء منقسمون فيما بينهم وتمزقهم الخلافات حول رئاسة العشيرة واراضي الرعي والثارات القديمة والطائفية ولا يحصل اتفاق بينهم إلاّ نادراً وعندما يشعرون بخطر داهم يهدد الجميع ولا يستمر هذا الاتفاق إلاّ لأمد قصير.

... وحتى ابسط خلاف في الرأي بينهم يمكن له ان يتحول الى مسألة الكرامة و الكبرياء و يسهم في ايقاظ العداوات والاحقاد الدفينة لتعصف بالاتفاق الهش. وفي مثل هذه الحالات تلجأ هذه العشيرة او تلك الى قوات خصم اجنبي كي لاتقاتل في صفوف العشائر التي اختلفت معها و التي تعتبرها العدو الاكبر. تاريخ كُردستان حافل بهذه الخيانات والتمزق ولايزال الامل قليلاً في ظهور وعي قومي يحل محل العصبية القبلية.

إنتفاضات القرن التاسع عشر

وسط بيئة جامدة غير قادرة على الحركة دخل المجتمع الكُردي العشائري المشتت و الممزق القرن التاسع عشر. ولكن و مع بداية القرن هذا دخلت عناصر جديدة في هذا العالم الراكد. واولى هذه العوامل كان التدخل العثماني في شؤون الامارات.

.. عندما ضعفت قبضة الامبراطورية على اقاليمها الاوروبية عمدت الى تجنيد قوات جديدة لدعم الامبراطورية المنهارة، وتوجه الباب العالي الى كُردستان كمصدر اخير غير مستنزف للقوى البشرية وهي في محاولتها هذه تكون قد تجاوزت على امتيازات الامراء الاقطاعيين،

... التغلغل الغربي في هيأة البعثات التبشيرية و القنصليات والمدارس بدأ بالظهور منذ ١٨٣٥، وعلى مدى قرن من الزمن كانت المنطقة الكُردية مسرحاً للحروب التركية - الروسية (١٨٢٨ - ١٨٣٠ و ١٨٧٧ - ١٨٧٨) و كذلك الحروب التركية الفارسية التي جلبت معها الخراب والدمار والنهب والسلب والتي ايقظت في الكُرد مشاعر العداء والكراهية نحو العثمانيين. كما ان التطورات الجديدة مثل الاحتكاك مع الخارج ونجاح محمد علي في مصر وما الى ذلك تركت اثارها على الزعماء الكُرد الذين كانوا مهددين في امتيازاتهم. صلابة الدفاع عن هذه الامتيازات و الممانعة العنيدة ضد دفع الاتاوات او تجهيز الرجال للقتال الى جانب جيوش الباب العالي عملت كقوة دافعة عجلت في قيام اكثر من ٥٠ انتفاضة في هذا القرن.

.. ماهي الملامح البارزة لهذه الانتفاضات؟ أولها أنها كانت تهدف الى خلق كُردستان مستقلة، وانها كانت بقيادات اقطاعية همها الرئيسي كان حماية وتوسيع امتيازاتها، والجدير هنا بالملاحظة انه بإستثناء عدد قليل منها فان جميعها اندلعت في الامارات المستقلة.

ان امارات بل دويلات سوران و هكاري و بهدينان في العمادية و بابان و بوتان التي هي فخر الاقطاعيات الكُردية كانت البادئة بالثورة واذا كانت هذه الثورات قد باءت بالفشل فالسبب يعود الى غياب ستراتيجية عسكرية والحاجة الى المساعدة الخارجية و السبب الأهم هو التفكير العشائري الذي اثار الخلافات والخيانات. دخل الامراء الحرب وهم غير متحدين ووقعوا فريسة سهلة بيد السلطان الذي نجح في تأليب الواحد منهم ضد الاخر لغرض اضعافهم والسيطرة عليهم.

ثورة بابان

اول ثورة كُردية مهمة في القرن التاسع عشر اندلعت في ١٨٠٦ في امارة بابان بقيادة عبدالرحمن باشا. إن الامارة التي انشأها السلطان سليمان الكبير بعد ضم كُردستان الجنوبية قد توسعت وتطورت في القرن السابع عشر ولعبت دوراً هاماً في سياسة وشؤون المنطقة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بابان التي كانت عشيرة محاربة وطموحة وسعت من رقعتها على حساب الامبراطورية العثمانية والفارسية. لقد كان البابانيون بناة مهرة كما تشهد على ذلك المدارس الكثيرة التي انشؤوها وكذلك مدينة السليمانية التي اقاموها لتكون عاصمة لهم ولتبقى شاهداً على عظمتهم، عندما توفي ابراهيم باشا باني مدينة السليمانية انتاب العثمانيين قلق من تزايد وخطورة نفوذ عشيرة بابان عليهم فحاولوا فرض خالد باشا أميراً على الإمارة وهو من عشيرة

اخرى منافسة لبابان. هذا الامير القزم تحدى عبدالرحمن باشا ابن شقيق ابراهيم باشا الذي قام بطعن الحاكم التركي على كويسنجق وتغلب على قوات خالد باشا، وعلى مدى ثلاث سنوات ظل عبدالرحمن باشا يقاتل ضد الجيوش العثمانية والعشائر الكُردية المتحالفة معها بسبب المنافسة، واخيراً مني عبدالرحمن باشا بالهزيمة وانسحب الى داخل ايران في ١٨٠٨.

في هذا الوقت عزّزت القوات العثمانية من وجودها في شمال كُردستان بدعوى احتواء المطامع الروسية، الضرائب الباهظة واعمال السلب والنهب دفعت بالكُرد في القيام بالثورة في مقاطعات ارضروم و وان في ١٨١٥، واشترك الكُرد الايرانيون والأرمن في هذه الانتفاضات للدفاع عن انفسهم. وحدثت موجة جديدة من التمرد اثناء الحرب التركية الروسية من ١٨٢٨ – ١٨٢٩ التي جرت احداثها في هذه المنطقة من كُردستان وتسببت في حدوث المجاعات والدمار للمنطقة. كانت هذه الانتفاضات محدودة و محلية لم يكن لها برنامج مما سهل القضاء عليها.

ثورة مير محمد و محاولته السيطرة على كل كُردستان

ان مركز جاذبية الثورات الكُردية بقي في المعاقل الجبلية لكُردستان الجنوبية، بعد ثورة بابان حاول مير محمد زعيم امارة سوران الواقعة بين الزاب الكبير والحدود الايرانية استغلال مشاكل الامبراطورية العثمانية وخلق كُردستان مستقلة. ولأنه واحد من سلالة صلاح الدين فطموحه ان يستطيع توحيد الكُرد وتحقيق الاستقلال لهم. كان الوقت مناسباً حيث خرج العثمانيون لتوهم منهكين من حرب مع روسيا. كما ان القوات العثمانية كانت في نزاع مع محمد علي باشا والي مصر.

مستلهماً بتجربة محمد علي باشا انشأ مير محمد مصانع السلاح في عاصمته راوندوز لصنع البنادق والعتاد وحتى المدافع التي صنع منها نحو ٢٠٠ مدفع، ويمكن مشاهدة نماذج منها في راوندوز وفي المتحف العراقي في بغداد. وعمل مير محمد على تأسيس جيش نظامي. بعد ان اكمل استعداداته وأعدّ نفسه جيداً انطلق مير محمد للاستيلاء على كُردستان . وفي نهاية مايس ١٨٣٣ (المؤلف ذكر ١٨٨٣) استطاع جيشه المؤلف من ١٠,٠٠٠ فارس و ٢٠,٠٠٠ راجل المدربين تدريباً جيداً من السيطرة على كُردستان الجنوبية ووصل الى حدود امارة بوتان التي يرأسها الامير بدرخان بك الذي كان قوياً هو الاخر، كان هدف الامير توحيد الرؤساء الكُرد و جمع كلمتهم ، كان هؤلاء مستائين من تدخل السلطات العثمانية في شؤونهم، ولكن مع قوة إمارته العسكرية لم يكن مير محمد يرغب في توسيع امارته وفرض رأيه بالقوة على الزمراء من امثال بدرخان. ولتجنب وقوع نزاع مدمر دعا مير محمد الامير بدرخان الى عقد تحالف سياسي ضد الباب العالي ولكن كانت للأمير بدرخان طموحاته واحلامه الخاصة في ان يصبح في يوم من الايام ملكاً على كُردستان فرفض التحالف الذي كان من شأنه لو تحقق ان يضمن لمير محمد الزعامة وللكُرد ربما الاستقلال. ولكن كبادرة على حسن النية ارسل بدرخان الى مير محمد شقيقه سيف الدين. ارسل مير محمد رسلاً الى كُرد ايران طالباً منهم العون في مسعاه هذا.

.. لم يكن الباب العالي غافلاً عن تحركات مير محمد. ارسل السلطان قوات من سيواس بقيادة رشيد باشا والتحقت به قوات اخرى من ولايتي الموصل وبغداد للقضاء على مير محمد. بدأت الحرب واستمرت طوال فترة صيف ١٨٣٤، وصف فون مولتكي Von Moltke الذي كان ضابطاً

في الجيش العثماني الموقف: المعارك كانت شرسة و دموية. والكُرد يبدون مقاومة بطولية وكان على القوات العثمانية القتال لمدة ثلاثين او اربعين يوماً للسيطرة على تلة صغيرة ليست ذات قيمة عسكرية، كانت تدعم قوات مير محمد النظامية وحدات من مقاتلي حرب العصابات، اخيراً انسحبت القوات العثمانية المنهكة والمحطمة عسكرياً ومعنوياً. استغل مير محمد هذه الفترة لتحرير كُردستان ايران وذلك في تشرين الاول ١٩٣٥ وتمكن من السيطرة عليها من اقصاها الى اقصاها و اندفع نحو اذربيجان الجنوبية، في كل مكان كان مير محمد يستقبل بالحفاوة كمحرر للشعب الكُردي. وبعد محاولات يائسة لردع قوات مير محمد استنجدت ايران براعيتها و حاميتها روسيا لتقديم المساعدة لها.

.. في اوائل صيف ١٨٣٦ وردت انباء بقدوم حملة عثمانية جديدة ضد رواندوز ولإدراك مير محمد مخاطر المواجهة مع الامبراطوريتين في آن واحد قرر الانسحاب بقواته الى حصنه في رواندوز وحاول اللعب على وتر تأليب الامبراطوريتين الواحدة على الاخرى أملاً في بث الفرقة بينهما. ارسل مير محمد مبعوثين الى الشاه يخبرونه بأن مير محمد يعترف بالسيادة الايرانية ويقبل بدفع الضريبة اليه اذا وافق الشاه مقاتلة الامبراطورية العثمانية وزود القوات الكُردية بالمساعدات المادية. ولكن البلاط الشاهنشاهي لم يكن لينخدع بهذه السهولة وخلافاتها مع العثمانيين تبدو هينة اذا ما قورنت بالخطر الكُردي ورفض العرض الكُردي.

استؤنفت المعارك وبضراوة اشد عند نهاية ١٨٣٦ لقد حصن مير محمد معقله في رواندوز وعزز من دفاعاتها. وبقيادة احمد بك شقيق مير محمد هاجمت القوات الكُردية القوية البالغ تعدادها ٤٠.٠٠٠ مقاتل

شديدي المراس على القوات التركية واجبرتها على التقهقر، عندئذ عمدت القيادة العثمانية الى اسلوب المكيدة واستعانت بالدين و ناشدت بإسمه مير محمد بوقف القتال بين المسلمين اثرت هذه المكيدة على عدد من الملالي و شخصيات دينية اخرى ضمن منطقة نفوذ مير محمد وحتى بين بطانته المقربة. ضمن لهم تأثير على الجماهير الكُردية المسلمة، وأصدر الملا خاتي Khati فتوى حرم قتال جند خليفة المسلمين، يعتبر ملا خاتي اليوم احد خونة الشعب الكُردي وفيما يأت مضمون فتواه!

«إن من يقاتل ضد قوات الخليفة يعتبر كافراً » أما مير محمد ومع عقيدته الاسلامية الراسخة فان الخدعة لم تنطلي عليه ورفض التفاوض مع الباشا ولكنه لم يجرأ علي الهجوم على رجال الدين الذين انخدعوا بنداءات القيادة العثمانية خشية خسارة تأييد الجماهير له.

في النهاية وبعد أن تخلى عنه قومه استسلم للسلطات العثمانية التي ارسلته مع افراد اسرته الى اسطنبول حيث أثنى عليه السلطان محمود الثاني باسم الاخوة والتضامن الاسلامي. في هذا الوقت كانت قوات السلطان تجوب كُردستان مخلفه وراءها الخراب والدمار وتنشر في الارض الفساد بعد مكوثه في المنفى لمدة ٦ اشهر سمح له السلطان بالعودة الى كُردستان في ١٨٣٧ وقتل مير محمد في كمين نصبه له السلطان في طرابزون.

وهكذا رحل الرجل الاسطورة مير محمد واصبحت كُردستان برمتها مشتعلة تتقد بشرارات المقاومة والثورات في ارضروم وارزنكان وبيازد وفي بتليس وقصفت المدفعية السلطانية عدة قرى ودمرتها بالكامل وتم القاء القبض على زعماء التمرد تيمور بيك ورجب بيك وجرى اعدامهم. بعد القضاء على قادة الثورة انهارت الثورة من الداخل. وفي الشرق

اندلع القتال بين الحكومة والثوار الكُرد في ١٨٣٧ في منطقة دياربكر حيث تم القضاء بشكل مبرم على عشائر رشوكوتان وبيكران.

وقبل الهجوم على بوتان انطلقت القوات العثمانية لحسم الاوضاع بشكل تام في الجنوب حيث اندلعت ثورة بقيادة سعيد بك امير بهدينان واحمد بيك شقيق مير محمد في رواندوز.

ثورة بدرخان بك

ولد بدرخان بيك في الجزيرة عاصمة امارة بوتان عام ١٨٠٢ وكانت عائلته من اقوى العائلات الكُردية الاقطاعية في عشيرة بوختي Bokhti وحكمت الامارة منذ القرن الرابع عشر (بإستثناء فترات غزو تيمورلنك والخروف الابيض) وكان بلاط الامراء في الجزيرة عامراً، تولى بدرخان بيك رئاسة الامارة بعد وفاة والده في ١٨٢١ ونظم العشائر في المنطقة في جيش نظامي وعقد علاقات جيدة مع نور الله بك امير هكاري ومع محمود خان زعيم عشائر موكوس Mukus في وسط كُردستان (انتظر الفرصة السانحة).

هزيمة العثمانيين في نيزيب Nizib اعطته هذه الفرصة وتحرك الامير بسرعة. بحلول نهاية ١٨٤٠ وبسط نفوذه على كُردستان وعقد معاهدات مع بكوات كارسي في اقصى شمال كُردستان ومع الامير اردلان في كُردستان ايران. وحسب وصف «سفر استيان» الارمني فإن بدرخان كان حاكماً عادلاً لا مع الكُرد فقط بل وايضاً مع الأرمن والكلدان والاشوريين. وتمتع المسيحيون في حكمه بالحرية الدينية واقاموا كنائسهم في الجزيرة وغيرها في مناطق الامارة ولم يكن هنالك اي تمييز يمارس ضدهم، كان تقرير هذا الرحالة الروسي مليئاً بالمدح والثناء

للنظام المستتب والعدالة والامن السائد في المناطق التي تحت سيطرته في وقت كان الفساد والظلم والفوضى ضارباً بأطنابها في مناطق سيطرة الدولة العثمانية والفارسية.

نزاهته وعدالته اكسبتاه تأييداً شعبياً مكّنتاه من إزالة كل اثر للخلافات بين المجتمعات الكُردية. لكن ذلك ومع الاسف الشديد لم يكن كافياً لانهاء الانقسامات والصراعات العشائرية في مجتمع اقطاعي. ظهرت هذه الصراعات من جديد عندما دقت ساعة امتحان القوى مع القوات العثمانية التي كانت بأمرة عثمان باشا الأعرج. استمرت الحرب الى ١٨٤٧، وفي نفس الوقت وبطلب من السلطات العثمانية انطلق المبشرون الانكليز و الامريكيون المتغلغلون في كُردستان بتأليب المسيحيين ضد الزعيم الكُردي وفي نهاية المطاف نجح هؤلاء في مخططهم. رفضت العشائر المسيحية المشاركة في القتال ضد العثمانيين وامتنعوا عن دفع الضرائب الى بدرخان الذي كان في ذروة الصراع مع العثمانيين.

دخلت الحرب عامها الثالث دون ظهور بوادر للحسم لأي من الطرفين، دبّ الخوار في صفوف الطرفين بسبب المجاعة والانهاك والاوبئة ولكن الفارق بين الطرفين ان الكُرد على عكس العثمانيين لم يكن باستطاعتهم الحصول على المواد التموينية و التجهيزات العسكرية. ومع تصاعد مدة القتال والمجاعة بدأت الخيانات والانقسامات بالظهور، وبحلول صيف ١٨٤٧ تمكن عثمان باشا الاعرج في اقناع ابن شقيق بدرخان بك المدعو يزدان شير قائد الجناح الشرقي لقوات بدرخان بك بالانضمام الى قوات العثمانيين ضد عمه وبذلك اصبحت الطريق الى الجزيرة مفتوحة. بعد خيانة ابن شقيقه له واخذه معه نصف قوات عمه اصبح لزاماً على

بدرخان مغادرة عاصمته والتوجه الى حصن أرو الذي يمكن الدفاع عنه بشكل اسهل وكانت له فيه الوقفة الاخيرة. واخيراً اجبر على الاستسلام ونفي اولاً الى فارنا وبعدها الى كانديا في جزيرة كريت واخيراً ليستقر به المقام في دمشق حيث مات فيها في ١٨٦٨.

كوفيء يزدان شير على خيانته لعمه وقومه فعين حاكماً على هكاري من قبل العثمانيين، وفي ١٨٤٩ خلع الباب العالي شريف بك أمير بتليس وارسله الى اسطنبول وعين مكانه والياً عثمانياً، وهكذا تم الحاق الامارات الكُردية واحدة فواحدة بالباب العالي ولكن حرب العثمانيين للقضاء على الامارات دامت ٤٠ سنة.

غير أن الكفاح من اجل كُردستان مستقلة لم يأت الى نهايته بسقوط الامارات الكُردية، اندلع هذا الصراع مرة اخرى بعد سنوات قليلة بقيادة يزدان شير الذي دفعه طموحه قبل ذلك الى خيانة عمه بدرخان. وعندما شعر الباب العالي بتنامي نفوذه على اتباعه جرده من سلطاته كحاكم على هكاري في ١٨٥٠.

وفي ١٨٥٣ وعندما دخلت الامبراطورية في حرب مع روسيا رفضت اجزاء كبيرة وشرائح كثيرة كُردية من الاشتراك في هذه الحرب مع ان السلطان اعتبر المشاركة في هذه الحرب جهاداً، وفشل عملاء القيصر الروسي من كسب الكُرد الى الجانب الروسي رغم المغريات المالية التي قدمت اليهم.

يزدان شير « يزدان الاسد»

حاول يزدان شير استغلال انشغال الامبراطورية في الحرب مع روسيا والاستفادة من النقمة الشعبية في إقامة كُردستان مستقلة يكون هو ملكاً عليها.

في ربيع عام ١٨٥٥ بدأ بالتحرك في بتليس على رأس قوة قوامها ٢,٠٠٠ رجل واستولى على المدينة وطرد الحاكم التركي منها وعين بدلاً عنه حاكماً كُردياً وتقدم نحو الموصل التي استولى عليها بدون صعوبة تذكر واستولى على مخازن الاسلحة فيها وغنم منها ما يكفي لتسليح جيش يبلغ قوامه ٣٠,٠٠٠ جندي ثم توجه بعد ذلك نحو (سيرت) حيث المقر الاداري والعسكري العثماني في كُردستان، سيطر عليها بسرعة مذهلة رغم كونها كانت محصنة تحصيناً قوياً وتدافع عنها قوات مشتركة لوالي سيرت وبغداد.

في غضون اشهر قلائل وقعت مساحة شاسعة تمتد من بغداد الى بحيرة وان والى دياربكر تحت سيطرته الأمر الذي أثار امالاً كباراً لدى السكان. وفي كل كُردستان سارع كل من هب ودب شيباً وشباباً الى حمل السلاح والانضمام الى قواته وبنهاية صيف ١٨٥٥ تجاوز عدد رجاله ١٠٠,٠٠٠ مقاتل.

باقتراب فصل الشتاء انسحب الروس الى قواعدهم الشتوية وبذلك اعطوا الباب العالي فترة راحة لاستجماع قواه واعادة تنظيم صفوفه للانصراف لمعالجة التمرد الكُردي.

اما بريطانيا وفرنسا حليفتا السلطان في حرب القرم ضد روسيا فلم يكن لديهما سبب وجيه لمساندة قيام كُردستان مستقلة قد تقع تحت النفوذ الروسي.

المبعوث البريطاني نمرود الرسام انطلق من الموصل وهو يحمل معه مبالغ طائلة و طلب ان يسمح له بالعمل كوسيط في مقر الحركة الكُردية، وبعد زيارة رؤساء العشائر واحداً واحداً وهو يقدم الرشوة على شكل بنادق وهدايا ونقود توجه الى يزدان شير محاولاً اقناعه بضرورة

التفاوض حول استقلال كُردستان مع العثمانيين بوجود وسطاء بريطانيين. قبل بعض الرؤساء الرشوة ورفضوا الاستمرار في الحرب مع يزدان شير، اما فيما يتعلق بشخص يزدان شير فقد يكون رجلاً شجاعاً ولكنه لم يكن دبلوماسياً بارعاً. وثق يزدان شير بأقوال الرسام ونوايا بريطانيا المتمدنة. كما انه لم يتلق جواباً على رسالته التي بعثها الى الروس وهو يطلب منهم تزويده بالمساعدات.

بالاضافة الى ذلك فانه كان يؤمن بأن الاستقلال لايمكن تحقيقه بدون تأييد و دعم القوى الأوروبية وخاصة بريطانيا و فرنسا على النحو الذي حصل مع مصر واليونان، توجه يزدان شير بصحبة رسام الى اسطنبول ليبدأ المفاوضات برعاية بريطانية مع الباب العالي، القي القبض عليه لحظة وصوله الى العاصمة. هام رجاله على وجوههم في الجبال لبعض الوقت واخيراً تشتتوا وانتهت ملحمة يزدان شير وعائلة بدرخان.

ثورة شيخ عبيدالله ١٨٨٠

وآخر ثورة من ثورات الكُرد المهمة في القرن التاسع عشر اندلعت في ١٨٨٠ بزعامة الشيخ عبيدالله و جمعت بين كُرد الدولة العثمانية وكُرد الدولة الفارسية. الشيخ عبيدالله هو ابن الشيخ طه الذي عينته الدولة كزعيم روحي. عندما توفي الشيخ طه خلفه ابنه الشيخ عبيدالله وورث عنه ممتلكاته ونفوذه الديني الذي قوي كثيراً بالطريقة النقشبندية واصبح هو ايضاً زعيماً روحياً في كُردستان.

في كانون الاول ١٨٧٢ طالبت الحكومة الفارسية من السكان في اورمية و خوي دفع الضرائب اليها رفض الكُرد الطلب هذا واعلنوا بأن ضرائبهم هي مستحقة للشيخ عبيدالله حيث حصل والده الشيخ طه على

الامتياز من شاه قاجار عام ١٨٣٦. ارسلت الحكومة الايرانية قوات الجيش لإجبار الاهالي على الرضوخ ودفع الضريبة، اما الشيخ عبيدالله وبعد ان استخف بسلطاته فقد استنجد بالباب العالي للتدخل لدى السلطات الفارسية واستحصال تعويضات منها للشيخ. ارسل الباب العالي والي ارضروم ليتوسط للشيخ في طهران ولكن المهمة لم تكلل بالنجاح.

اظهرت الحادثة مدى هشاشة وضعف قوة الشيخ، على امل ان يضمن الشيخ مساعدة العثمانيين له في نزاعه مع الفرس ارسل قوة صغيرة من رجاله للحرب مع العثمانيين ضد الروس تلك الحرب التي كانت تدور رحاها في كُردستان من ١٨٧٧ الى ١٨٧٨، احدثت الحرب هذه موتاً ودماراً في كُردستان وأدت الى حدوث اسوأ مجاعة عرفها الكُرد منذ قرون.

بدأ الضباط والجنود الذين لم تستطع الدولة دفع رواتبهم يعيثون في الارض فساداً، يرهبون السكان ويأخذون منهم الارزاق والنقود عنوة. اندلعت الثورة في ديرسيم وماردين وهكاري وفي بهدينان. في هذا الوقت العصيب بدأت انظار المريدين ترنو الى الشيخ الذي يجدون فيه الزعيم والمنقذ. ارسل الشيخ مبعوثاً الى اسطنبول يطلب من السلطان وقف اعتداءات الجيش على اتباعه واعطاء تعويضات لقاء الدمار والتلف اللذين اصابا السكان، في نفس الوقت بدأ استعداداته واخذ يعبيء الكُرد على جانبي الحدود وعقد اتصالات مع شريف مكة وخديوي مصر املاً في الحصول على مساعدتهما له وارسل رسلاً الى قناصل روسيا في ارضروم و وان لمعرفة الموقف الروسي من الاحداث في كُردستان. غير أن الروس كانوا قد خرجوا لتوهم من حرب مع العثمانيين وكانوا

منهمكين في اخماد ثورة تركمانية. ومن جهة اخرى جاء نائب القنصل البريطاني من وان لزيارة الشيخ عبيدالله.

بعد زيارته هذه تلقى الشيخ بعض الاسلحة والذخائر من البريطانيين وجاءت تحت غطاء المعونات الانسانية لمواجهة المجاعة وبدون معرفة العثمانيين. في الحقيقة كان الباب العالي على علم بمجريات الأمور ولكنه كان يأمل في تحويل غضب الشيخ لينصب على الفرس.

في آب ١٨٨٠ اجتمع نحو ٢٢٠ رئيس عشيرة في شمدينان لرسم خطة للمعركة، نبذ الشيخ عبيدالله فكرة شن الحرب على العثمانيين والفرس في آن واحد نظراً لما تنطوي عليه الفكرة من مخاطر وقرر الهجوم على الفرس اولاً. بدأ الهجوم في تشرين الاول ١٨٨٠ وتمكنت قواته البالغ عددها ٨٠.٠٠٠ مقاتل من تحرير مهاباد و مياندیا ومرقه وتقدمت نحو تبريز عاصمة اذربيجان. ولكن بسبب انعدام النظام والانضباط وانخداعها بالانتصارات السهلة انشغلت القوات بالنهب ولم تتقدم للاستيلاء على تبريز ذلك المعقل المهم الذي لو سقط بأيدي الكُرد لربما غيّر سقوطه نتيجة الحرب النهائية اما الشاه وقد اصابه الهلع لما حدث فقد اتصل بالباب العالي و طالب بضرورة وضع حد لانشطة الشيخ عبيدالله، ان نجاحات الشيخ السريعة و شعبيته ونواياه في اقامة كُردستان مستقلة اثارت قلق الحكومة العثمانية التي كانت تتصور بأن في استطاعتها استخدام الشيخ كسلاح وورقة ضغط ضد الفرس، واظهر السلطان عبدالحميد الثاني فكره ودهاءه فأرسل الهدايا الى الرؤساء ودعا الشيخ لزيارته وفي الوقت نفسه حشد قواته في كُردستان مع الفرس. وبعد أن حوصر بين قوات الدولتين أمر الشيخ قواته بالانسحاب من المناطق التي احتلتها والخروج من ايران.

ان وصـول الشـيخ عـبـيـدالله الى اسطنبـول اوقـد شـرارة مـعـركـة دبلومـاسـية بين الباب العـالي وطهران. طالب سفيـر الباب العـالي لدى طهران بدفع تعويضـات الى الشيخ للخسـارة التي لحقت به في ١٨٧٠ و ١٨٧٦ و ١٨٨١، امـا طهـران و بـتـشـجـيـع من الروس طـالبت بالمقـابل بتعويضات نجمت عن خسائر في حملة الشيخ في اذربيجان. وسط هذه المعركة الدبلوماسية المحتدمة غادر الشيخ عبيدالله اسطنبول في آب بعد أن اتضح لديه أن لا أمل في تحرير شعبه بواسطة السلطان.

حـاول التـخلص اولاً من نير الاسـتـعمـار العثمـاني بمسـاعدة الروس او على الاقل جعل الروس يقـفـون على الحـيـاد في النزاع القـائم بينه وبين الباب العـالي. ولكن روسيا في هذا الوقت كانت راضـية بالمكاسب التي تجنيها في توفير الحماية لإيران ومن الدور الذي تلعبه في تركيا بحيث انها لم تعد مولعة بالقيام بمغامرة نتائجها غير مضـمونة. علم الباب العـالي بإتصـالات الشـيـخ مع الروس وفـي تشـرين الاول ١٨٨٢ ارسل قوات للقبض عليه. جرى نفي الشيخ مع افراد عـائلته الى مكة حيث مات فيها بعد سنوات قليلة على نفيه.

بإخمـاد ثورة الشيخ عبيدالله يكون عـهد الثورات الكُردية الكبرى في القرن التاسع عشر قد اتى على نهايته.

سلطان عبدالحميد الثاني وسياساته الاسلامية
" السلطان الاحمر "

بعد إسدال الستار على ثورات القرن التاسع عشر غيرت الدولة العثمانية من طريقة تعاملها مع الكُرد وسعت الى اسلوب المجاملة معهم على أمل دمجهم في النظام والمشاركة في الامتيازات، ان عبدالحميد الثاني الذي كان سلطاناً مقتدراً وكفوءاً كان لطيفاً غاية اللطف مع الزعماء الكُرد الاقطاعيين الذين كانوا والى زمن قريب ثائرين ضد سلطته.

استخدم السلطان الدين وبفطنة، وزعً الاوسمة والمكافآت المالية التي تقبلها الزعماء الكُرد بقبول حسن على أساس انها تقدير من السلطان لمؤهلاتهم الشخصية وفضائلهم، عين السلطان بحري بك الذي هو احد ابناء الامير بدرخان مساعداً مقرباً له وحصل ابناء عبدالرحمن باشا بابان على مناصب عليا في الادارة والجامعة. كما ان عبدالقادر نجل الشيخ عبيدالله اصبح رئيساً لمجلس الاعيان في ١٩٠٨ وبعد ذلك اصبح رئيساً لمجلس الوزراء الآن اصبحت ابواب البلاط السلطاني مشرعة امام الزعماء الكُرد المنفيين وحتى الصغار منهم استفادوا من هذا الكرم والنبل السلطانيين حيث انهالت عليهم المكافآت والاقطاعيات.

وجد السلطان عبدالحميد في سياسة ضم الزعماء الكُرد الى النظام ضماناً لسيطرة الارستقراطية العثمانية. كما مكّنت هذه السياسة الدولة في الاستفادة من خصال الكُرد القتالية للوقوف بوجه الاطماع الروسية وبشكل اكبر في قمع الحركات التحررية القومية للأرمن و العرب و

الالبان وحتى ضد بني جلدتهم الكُرد.

وبنهاية التشرين الثاني ١٨٩٠ طلعت الصحف الاسطنبولية وهي تحمل في صدر صفحاتها ارادة سلطانية تقضي بتشكيل قوة فرسان كُردية خاصة تحت اسم «الحميدية» ان افواج الحميدية أُنشِئت اصلاً في المناطق الحدودية مع الروسيا القوقاسية (ارضروم وشمال بتليس و وان) والتي هي مناطق لم يتمرد الكُرد فيها على السلطان. كما ان المنطقة كانت ايضاً مأهولة بعدد من الزرمن الذين كانت حركتهم التحررية في اوج نشاطها. الارادة السلطانية ألزمت كل عائلة في المنطقة المعنية بالامر بتقديم فارس مع فرسه او راجل يخدم في الجيش النظامي. قامت الافواج الحميدية على أسس عشائرية.

وحدات الفرسان هذه تم تسليحها من قبل الحكومة وكان عليها القيام بأداء الخدمة العسكرية لفترة معينة بأمرة ضباط اتراك في كل سنة، وكان عليهم تسليم سلاحهم عند نهاية الفترة ولو ان هذا الشرط لم يطبق ولكنه كان دليلاً على عدم الثقة بهم. واذا ما نشبت الحرب او امر السلطان فان عليهم تلبية النداء والالتحاق بالوحدات.

ان الزعماء العشائريين كانوا مدللين ويتلقون رواتب مجزية وكانوا في حالات عديدة يُعينون بصفة ضباط أو باشوات. وقويت قبضتهم على الفلاحين وسلطتهم اصبحت مطلقة لأن الخليفة والدولة معهم. ومقابل هذه الامتيازات اظهر الرؤساء ولاءهم للمحسن اليهم السلطان عبدالحميد.

تحت أمرة الضباط الترك وعلى الاخص تحت امرة زكي باشا الفاسد الشرير القائد العام للحميدية، دخلت افواج الحميدية المعركة لاول مرة عند قمع حركة الارمن في ١٨٩٤ - ١٨٩٦ التي انتهت بمذابح مروعة

ذهبت ضحيتها عشرات الالوف من الارمن، وفي فترة لاحقة استخدم هؤلاء ضد الكُرد في ديرسيم و جنوب كُردستان عندما ثاروا ضد ظلم السلطان، كما عملوا تحت امرة ابراهيم باشا ضد القوميين العرب.

هذه الافواج بقيت قائمة فترة ثورة الترك الشباب ورغم ارتفاع الاصوات بضرورة حلها فان السلطات ابقت عليها تحسباً للطواريء تحت اسم جديد هو الافواج العشائرية الخفيفة من الفرسان.

بعد تشكيل الحميدية والاعداد لضم معظم الزعماء الكُرد الى النظام قام السلطان عبدالحميد بتأسيس مدرستين عشائريتين في ١٨٩٢ في بغداد و اسطنبول. من اهداف المدارس هذه غرس مباديء الحب والاخلاص للسلطان في نفوس ابناء الزعماء الكُرد والعرب ومع ان هذه المدارس لم تعمر طويلاً فرنها بدون شك كانت مؤثرة حيث ان معظم الخريجين منها احتفظوا بنوع من الولاء للسلطان حتى العشرينيات.

بشكل عام كانت سياسة عبدالحميد نحو الكُرد ناجحة وثورة الشيخ عبيدالله كانت اخر الثورات الكُردية الكبيرة حيث كانت الثورات في ديرسيم و الموصل محلية ومحدودة. كما ان الروح القومية بقيت محصورة في حلقات صغيرة للمثقفين كان الناس في محنتهم يلقون باللائمة لما حل بهم على موظفي الدولة الفاسدين التافهيين لا على الأب عبدالحميد ذلك التقي الورع!.

أولى التنظيمات القومية الكُردية

لم تكن الثورات الكُردية في القرن التاسع عشر تنظيمات سياسية محددة المعالم والإستراتيجية، في العالم الاسلامي وكما كانت الحال عليه في اماكن اخرى عديدة كان تأسيس حزب يقوم بتنظيم وقيادة الجماهيرب فكرة مستوردة من بلاد الغرب من قبل مثقفين تعلموا في مدارس اوروبية.

الطبقة المثقفة الكُردية بدأت بالظهور فقط نهاية القرن التاسع عشر وجميع المثقفين الكُرد كانوا ذوي خلفية ارستقراطية وهم ابناء أمراء وزعماء ارسلوا الى المنفى في اسطنبول او انهم تخرجوا من المدارس العشائرية او من الاكاديميات العسكرية التي فتحت ابوابها منذ ١٨٧٠ امام الكُرد.

كانت اسطنبول عند نهاية القرن التاسع عشر تغلي بالاضطراب القومي الثوري، تعود هؤلاء المثقفون على الافكار البرجوازية الاوروبية وتحولوا الى قوميين كُرد معاصرين. وكغيرهم من مثقفي البلدان الاخرى اسسوا الاتحادات والجرائد بشكل قانوني او سري.

والى زمن ثورة الترك الشباب كان رواد الحركة القومية الكُردية مبعثرين بين مختلف المجموعات وكان عدد قليل منهم اعضاءً نشطين في الاتحاد والترقي وفي نيسان ١٨٩٨ قام ميهاد بدرخان بك بتأسيس الجريدة الكُردية (كُردستان) هذه الجريدة المحررة باللغتين الكُردية والتركية كانت ثقافية وتعليمية بشكل اساس ولكنها كانت تحفز على

الحركة القومية الكُردية وكانت صفحاتها مفتوحة امام الجميع للنشر فيها، وخلّفه في تحرير الجريدة شقيقه عبدالرحمن بك وبعد ان تزايدت الصعوبات أمام المحررين إضطرت الجريدة الى الهجرة. الى جنيف اولاً ثم الى لندن وبعدها الى فوكستون. بعد ثورة الشباب الترك عادت لتظهر من جديد في اسطنبول ومحررها ثريا بدرخان. ولكنها في الحرب الاولى اضطرت مرة اخرى للهجرة وفي هذه المرة الى القاهرة.

أولى ملامح تنظيم كُردي ظهرت بعد تولي الشباب الترك السلطة، ساند الزعماء الكُرد النظام الجديد بقوة وحماس على أمل ان تتحقق مطالب الكُرد، مستفيدين من اجواء الحرية النسبية اثناء ربيع الشباب الترك قام كل من امير على بدرخان والجنرال شريف باشا و الشيخ عبدالقادر نجل الشيخ عبيدالله وكان رئيساً لمجلس الاعيان بتاسيس اتحاد سُمي ب «نهضة وتقدم كُردستان» والذي بدوره قام بإصدار جريدة باللغة التركية يحررها جميل بك واهتمت الجريدة بمشاكل التراث والثقافة واللغة والوحدة القومية ولذلك اصبحت مهمة بين الاوساط الكُردية في اسطنبول.

وفي خريف ١٩٠٨ قامت جمعية كُردية بنشر التعليم ويبدو انها تفرعت من الجمعية السابقة التي أسسها امير علي بدرخان و شريف باشا و الشيخ عبدالقادر، وقامت بتأسيس مدرسة لتدريس اللغة الكُردية في حي شانبرلي في اسطنبول. لم تكن الجمعية والحق يقال تنظيماً سياسياً لها هياكلها الخاصة وستراتيجيتها المحددة جمعت الجمعية عدداً من المثقفين الكُرد من ذوي ميول واتجاهات مختلفة. كان نشاطها في تنوير عقول الطبقات المسحوقة مقدمة لتهيئة الاجواء لظهور حركات سياسية كُردية.

وبعد بداية مشجعة وناجحة بوقت قصير دبّ الخلاف بين القائمين

عليها حول تولي الزعامة فيها، ظهرت المنافسات القديمة الضيقة بين اعضائها من عائلة بدرخان و عائلة الشيخ عبدالقادر ، ونعت كل طرف الطرف الاخر بالخيانة وبدأت الوشايات تعمل عملها، انفصل الشيخ عبدالقادر عنها واسس جريدة خاصة به اطلق عليها اسم «شمس الكُرد». اضعفت هذه الانقسامات الحركة الكُردية بشكل عميق.

استيقظت كُردستان على حياة عصرية جديدة حيث قام المثقفون الكُرد بتأسيس النوادي الكُردية في مراكز المدن الرئيسة مثل بتليس وموش ودياربكر وارضروم والموصل، قام نادي موش مثلاً يعقد اتصالات مع العشائر في الولاية وكان لنادي بتليس عند تأسيسه نهاية ١٩٠٨ نحو ٧٠٠ عضو وفي بحر شهور قليلة ارتفع العدد ليصبح عدة الآف. اتبعت هذه النوادي نظاماً شبه عسكرياً على غرار النظام الذي كان متبعاً في تنظيم الشباب الترك الذين كانوا ينتهجون نهج كاربوناري الايطالي. كانت هذه النوادي ايذاناً ومؤشراً لبدء الكفاح السياسي المنظم في كُردستان وهي باكورة المحاولات لتأسيس تنظيمات سياسية. بعد تمرد آذار ١٩٠٩ والاطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني اعتقد الشباب الترك ان بوسعهم العمل دون الاستعانة بالمثقفين غير الترك والقوا بأنفسهم في مغامرة التطرف القومي. قاموا بحظر جميع المدارس والاتحادات والمطبوعات غير التركية واعتقلوا رموزها البارزين وتم اعدام البعض منهم. وكانت النوادي الكُردية والجريدة والمدرسة في شانبرلي من بين المؤسسات التي تم اغلاقها. كما صدرت احكام بالسجن على عدد من المثقفين الكُرد واختفى عدد اخر منهم عن الانظار وآثر اخرون ومن بينهم بدرخانيون الفرار الى الخارج.

وحتى في عهد الشباب الترك كانت هنالك ثورات كُردية. كانت هنالك

ثورة درسيم والتي استمرت الى ١٩٠٩ وفي الموصل كانت ثورة شيخ محمود البرزنجي الذي بعد عشر سنوات اعلن عن نفسه ملكاً على كُردستان واصبح في حينه مشكلة تؤرق بال البريطانيين وبعد حصوله على تأييد الزيباريين والبارزانيين طالب بخروج القوات العثمانية والموظفين الاداريين من كُردستان.

ارسلت القوة العثمانية الرابعة والسادسة في الجيش وقامت بتدمير نحو ٤٠ قرية ولكنها لم تستطع وقف قوات الشيخ محمود البرزنجي، جرى اتفاق تم بموجبه تعيين احد اقرباء الشيخ حاكماً على المنطقة الامر الذي جلب معه هدوءً قصيراً الى المنطقة. بعد فترة من فرض الحظر على نشاط الوطنيين الكُرد جاء دور البارزانيين في التمرد على العثمانيين بقيادة الشيخ عبدالسلام البارزاني.

ارسلت القوات العثمانية لإخماد الثورة ولكنها منيت بالهزيمة وفي اوائل ١٩١٠ انتشرت الثورة في كُردستان الجنوبية.

واندلعت انتفاضة في بتليس بقيادة سليم علي خليفه وموسى بك. البارزانيون وبعد ان نجحوا في طرد الاداريين والعسكريين العثمانيين فانهم لم يحاولوا توسيع نطاق الحركة. أما ثورة بتليس فانها كانت محلية ومعزولة فقد امكن اخمادها بكل سهولة.

في فترة العمل السري عقدت علاقات بين المناضلين الكُرد والارمن والعرب للنضال المشترك ضد دكتاتورية الاتحاديين، ابدى القوميون الكُرد تعاطفهم مع الانتفاضات التي اندلعت في هذه الفترة في كل من اليمن والعراق العربي (ولايتي بغداد والبصرة) وفي الجبل والجزيرة في سوريا وبدأ مبعوثون من قبل الامام يحيى الزعيم اليمني يتجولون في كُردستان يجمعون التبرعات للحركة.

بعد مواجهة عدة حركات تنتمي الى قوميات غير تركية اضطر الاتحاديون الى تبني سياسة تتسم بالمرونة والليونة تجاه القوميات غير التركية. في ١٩١٢ تمت اجازة جمعية «هيفي» الكُردية التي كانت قد تأسست في ١٩١٠ من قبل مثقفين وطلاب كُرد وبدت وكأنها اول تنظيم سياسي كُردي له هيكلية معينة، كان يترأسها عضو البرلمان العثماني خليل حسن موتكي. اصبح جميع المثقفين الكُرد اعضاءً فيها وكان احد قادتها الدكتور شكرو محمد سكفان الذي انقلب في وقت لاحق الى داعية لصهر الكُرد في البوتقة التركية.

ومنذ ١٩١٣ اسست الجمعية جريدة يومية باللغتين الكُردية والتركية بإسم يوم الكُرد «روزا كُرد» ثم اعيدت تسميتها لتكون «شمس الكُرد» في ١٩١٤، كان من أهدافها تشكيل الفباء كُردية وتثقيف الكُرد ونشر الفكر القومي.

ركزت الجمعية نشاطها بين العمال والشباب الذين قاموا بتمويل انشطتها. وبعد مدة استطاعت ان توسع مجال نشاطها لتصل الى مختلف المدن الكُردية والى الكُرد في المهجر. ولكن نشوب الحرب الاولى وضع حداً لأنشطتها المختلفة.

وفي نهاية ١٩١٢ تاسست جمعية « اصدقاء كُردستان» في اسطنبول لتثقيف الجماهير الكُردية حول المسألة الكُردية وظهر حزب «التجديد» الذي ترأسه النائب لطفي فكري في اواخر ١٩١٢ والذي انشق على الاتحاديين وتضمن منهاجه مبدأ علمانية الدولة « فصل الدين عن السياسة» وجعل حروف الكتابة لاتينية وطالب بحقوق متساوية للمرأة مع الرجل. كانت هذه الافكار متقدمة على عصرها ولم تستطع ان تجتذب إليها إلاّ نفراً قليلاً من المثقفين وجلهم كانوا من قوميات غير كُردية رغم

ان صاحب هذه الافكار التي نشرت في جريدة «الرأي» كان كُردياً، بعد ١٥ سنة من ظهور تلك الافكار يأتي كمال اتاتورك ليطبقها وينسبها الى نفسه.

كانت فترة ما قبل ١٩١٤ بشكل عام تعتبر فترة تدريب ومران للطبقة الكُردية المثقفة التي بدأت رسم طريقها ولكن سرعان ما تبددّ هذا الجهد بقدوم الحرب الاولى.

يقول الطوراني غوكالب «الوطن التركي ليس تركياً أو تركستان. انه شاسع وخالد إنه طوران».

هكذا جر الثلاثي الاتحادي انور وطلعت وجمال الامبراطورية العثمانية الى الحرب على أمل تحقيق هذا الحلم الطوراني. وفي مسعاهم لتحقيق هذا الحلم الطوراني المثالي اندفع الثلاثي الاتحادي الى ابادة اكثر من مليون ارمني و٧٠٠.٠٠٠ الف كُردي ودفع الفلاحون الترك الذين جندهم السلطان رشاد لخوض حرب الجهاد المقدس ضد الكفرة دفعوا هم ايضاً ثمناً باهظاً.

اما عن موقف الكُرد ازاء الحرب فقد استجابوا لنداء خليفة المسلمين لمحاربة الكفرة. ولكن بعض شرائح المجتمع و خاصة في منطقة ديرسيم وفي كُردستان الجنوبية لم يلبوا نداء الخليفة ورفضوا الاشتراك في الحرب. في حقيقة الأمر انضم عدد من العشائر الى الروس ضد العثمانيين، اما المثقفون الميسوري الحال فقد وجدوا طرقاً شتى، للتخلص من التجنيد ولجأ عدد آخر الى روسيا طلباً للامان وفراراً من التجنيد.

كانت روسيا القيصرية تعد الكُرد بمساعدات مادية سخية وغايتها في ذلك كانت الإعداد لضم كُردستان الى روسيا. استغل الروس الكُرد مثلما فعلت القوى الاخرى مثل فرنسا وبريطانيا مع الكُرد والعرب والارمن

لتحقيق مآربها واطماعها الاستعمارية.

في منتصف مايس ١٩١٦ وقّع وزراء خارجية كل من فرنسا و بريطانيا اتفاقاً ووقعت عليه روسيا بعد فترة قصيرة في الاول من ايلول ١٩١٦. وبعد اجراء تعديلات طفيفة على هذا الاتفاق عرف باتفاقية سايكس بيكو والتي اصبحت الاساس لمعاهدة سيفرز التي بموجبها تم تقسيم الشرق الاوسط بين فرنسا و بريطانيا.

سنوات ما بعد الحرب

ان هدنة مدراس في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ اسدلت الستار على العداوات وعزّزت من قبضة الحلفاء على الامبراطورية العثمانية. ان صخب الطورانية التي أجج الحماس في الترك لتحقيق الدولة الطورانية افقدهم حتى الارض الام. اخذ الاسطول البريطاني يجوب البسفور واستولت القوات البريطانية والفرنسية والايطالية واليونانية على ثلاثة أرباع الاراضي التركية تاركة لها فقط منطقة الاستبس الجرداء وشريطاً على ساحل البحر الاسود.

ان الفترة الواقعه بين تشرين الاول ١٩١٨ وحزيران ١٩١٩ اتاحت للكُرد افضل فرصة ذهبية على مدى تاريخهم الطويل لإقامة دولتهم. وحتى نهاية ١٩٢١.

كانت الفرصة لاتزال سانحة لفعل شيء ، كان هنالك فراغ سياسي حيث هرب الاتحاديون ولم تكن سلطة الحكومة السلطانية لتتخطى حدود العاصمة اسطنبول. كما ان بقايا الجيش الامبراطوري بدأت تتفكك وكان كل ضابط و جندي مشغولاً بحاله ومصيره . اما روسيا التي منحها اتفاق سايكس بيكو معظم كُردستان فقد سقطت بايدي السوفيت والبولشفيك ولم تعد مهتمة بمخططات اقليمية في الدول المجاورة. اما الجيش الفارسي فقد كان هو الاخر في حالة يرثى لها مثل الجيش العثماني.

لم تمر على الكُرد ظروف اكثر ملائمة لتحرير كُردستان من نير

الاجنبي وتأسيس دولة كُردية مستقلة من الظروف التي وفّرها لهم سقوط الامبراطورية، وعلى فرض ان البريطانيين و الفرنسيين لم يكونوا ليقبلوا بإقامة مثل هذه الدولة فان الاحداث برهنت على عدم قدرتهم منع قيام مثل هذه الدولة وكما يشهد على ذلك انسحابهم من اورفة و عينتاب. اذا كانت الدولتان ستواجهان الامر الواقع فإنهما من المحتمل جداً كانتا ستتبنيان سياسة تصالحية على أمل الحصول على امتيازات نفطية. فاذا كان الامر كذلك فان بريطانيا لم تكن لتغضب لقيام دولة كُردية. ولكن هذه الفرصة التأريخية النادرة الذهبية ذهبت من ايدي الكُرد لأنهم لسوء حظهم كانوا في طور التكوين.

وأن القيادة التي هي في الطريق للظهور ستكون متأثرة بالنفوذ الاقطاعي وليس بالاتجاهات المعاصرة.

القيادة الكُردية وقد مزقتها الصراعات بين الزعماء التقليديين والمعاصرين لم تستطع ان ترقى الى مستوى الحدث. كانت مهمة بناء دولة اكبر من قابليتها حيث انها كانت تفتقر الى الفطنة والحنكة السياسية والذكاء التأريخي، ان اولئك الذين سماهم البعض ونعتهم بالراديكاليين كانوا في واقع الامر مثقفون من نتاج البيئة والثقافة العثمانية لذلك الوقت.

ان النقطة الجوهرية حول هؤلاء المثقفين هي كونهم مثقفون مستعمرون اصبحوا غرباء عن شعوبهم لتطبعهم بأسلوب الحياة الغربية. لقد اكتسبوا ثقافة غربية كافية كي تجعلهم يحسون بتأخر و معاناة شعبهم ولكنها في ذات الوقت غير كافية لإدراك الاسباب التأريخية والاقتصادية لهذا التأخر، انهم قدريون وتوكليون في الامس القوى الغيبية كانت تسير العالم واليوم هي القوى الغربية، انهم دائماً يركضون

وراء الوهم والسراب ويعتقدون ان التحرير سيأتي بدون كفاح وان املهم وآمال شعوبهم هي بيد القوى الغربية المتمدنة، هذا هو نموذج المثقف الذي نما و ترعرع في احضان امبراطورية كانت شبه مستعمرة.

.. اما بالنسبة للمثقف الكُردي فان خلاص كُردستان رهن بإرادة بريطانيا او فرنسا.

اما في كُردستان فقد تغيرت الأمور بشكل كبير. ومنذ انتهاء عهد الامارات الكُردية تشرذمت القوى السياسية المحلية ولم يعد في مقدور اي زعيم تقليدي تعبئة نصف عدد القوات التي اعدها بدرخان بك او يزدان شير قبل عقود قليلة من الزمن، ان دول الشرق الاوسط مثل العراق و سوريا والاردن و لبنان لم تكن نتاج نضال تحرري للقوى الثورية او البرجوازية. انها من صنع الاستعمار البريطاني او الفرنسي كي تخدم مصالح هاتين الدولتين، لو ان بريطانيا او فرنسا وجدت مصلحة لها في اقامة كُردستان مستقلة لأوجدتها لانها لم تكن بأسوأ من الدول العربية، لقد كانت لدى الانكليز نية لاقامة دولة كُردية ولكن مصالحها الاقتصادية في المنطقة جعلتها تعدل عن نيتها.

ولكن دعونا اولاً نستعرض التنظيمات الكُردية المختلفة بعد هدنة مودرس. اول هذه التنظيمات كان «استقلال كُردستان» الذي تأسس على يد السيد عبدالله بن الشيخ عبدالقادر حفيد الشيخ عبيدالله المشهور بثورته. كان نشاط التنظيم محصوراً حول المسألة الكُردية في الدوائر الدبلوماسية. اما اللجنة (جمعية) من اجل استغلال كُردستان التي تأسست على يد ثريا بدرخان في القاهرة فقد كان مقدراً لها ان تلعب دوراً مهماً في اول انتفاضة كُردية في تركيا الجمهورية. ولكن اهم هذه التنظيمات قاطبة وبدون ادنى شك كان «نهضة كُردستان» التي اسسها

كل من مـلا سـعـيـد وخليل المثكي وحـمـزة بك من مـوكوس سـعت هذه الجـمـعـيـة الى ضـمـان الحقـوق التي طلع بهـا الرئيس الامـريكي وودرو ويلسن في مـبـادئه الاربعـة عـشـر بخـصـوص حـقـوق الاقليـات في الامبـراطورية العثمـانية وعلى الاخص حق تقرير المصير للأقليات. كان مـعظم الكُرد في اسطنبـول اعضـاءً في هذا التنظيم. وفي اول مـؤتمر له انتخب الشيخ عبدالقادر الذي رجع منفاه في مكة رئيساً للجمعية هذه. اصـبـح كل من أمين علي بك بن بدرخـان والجنرال فـؤاد باشـا نواباً له واصبح حمدي باشا سكرتيراً عاماً لها.

بعد انتـهـاء المؤتمر توجه وفـد مؤلف من قادة التنظيم لزيارة البـعـثات الفرنسية والبريطانية والامريكية في العاصمة للتعريف باهداف التنظيم.

اثارت مسألة استقلال كُردستان نقاشاً حاداً في الجمعية وحدث خلاف بين الراديكاليين وهـم من الشباب المطالبين بالاستقلال التام لكُردستان و بين الشيخ عـبـدالقـادر رئيس التنظيم وكان رئيسـاً لجـمـعـيـة مبـعـوثان العثمانية الذي انبرى للدفاع عن فكرة الحكم الذاتي ضمن أطر عثمانية لم تعد لها قائمة ولكن يمكن إعادة تشكيلها من خلال النضال جنباً الى جنب مع الترك. وبرر عبدالقادر وجـهة نظره بالقول ان التخلي عن الترك في ساعة العسرة وتوجيه طعنة قاتلة لهم من الخلف باستقلال كُردستان لايليق بـالشرف الكُردي واصـر على التـعـاون مـعـهم. واستطرد يقول ان الترك وافقوا على منح الحكم الذاتـي للكُرد واذا نكث الترك بوعدهم فان باستطاعة الكُرد اخذ الامور بأيديهم والحصول على حقوقهم.

بعـد عـدة سنوات نكث التـرك بوعـدهـم وغلب الكُرد على امـرهـم ولم يستطيعوا اخذ حقوقـهم بأيديهم وقوة سلاحـهم وارسل مـصطفى كمـال الشيخ عبـدالقادر الشـريف الغيـور الى المشنقة وذهب المتـحـمـسون من

الشباب الى كُردستان لتأسيس فروع للجمعية وعقد صلات مع الشعب، وتمكن عدد منهم بعد اشهر من تعبئة عشائر المنطقة بين سيواس و مالاتيا، لقد تم تنظيم منطقة شاسعة حول كوجكويري كمركز لكُردستان مستقلة وذلك في منتصف ١٩١٩. ولكن الحركة بقيت محلية ومعزولة وسهل سحقها من قبل القوات الكمالية في اذار ١٩٢١.

حكم على ١١٠ بالموت ولكن مصطفى كمال اصدر عفوا ًعنهم نزولاً عند رغبات عدد من رؤساء ديرسيم ولكي لايثير حفيظة ومقت الزعماء الكُرد الآخرين في وقت لاتزال قوته مهزوزة.

ادى الخلاف بين انصار الحكم الذاتي والمنادين بالاستقلال الى حدوث انشقاق في التنظيم. انتظم انصار الاستقلال في تنظيم جديد سمى نفسه بالتنظيم الكُردي الاجتماعي، في نفس الوقت ظهر حزب كُردي قومي ولايعرف عنه الكثير، اما انشطة النادي الكُردي في دياربكر الذي اسسه جميل باشا زاده في ١٩١٨ فقد كانت موثقة بشكل جيد، ضم النادي عدة مئات من الاعضاء بينهم نحو ٢٠ مثقفاً وتبنى مواقف شبيهة بتلك التيٍ اتخذتها الجمعية الكُردية للاستقلال. ركز النادي نشاطه في الجوانب الثقافية و عقد العزم على انشاء قسم عسكري له ولكن الكماليين عرفوا خططهم فمنعوهم من القيام بذلك.

معاهدة سيفرز أب ١٩٢٠

كتب لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا في مذكراته عن الحرب ان لامجال للحديث عن مؤتمر سلام إلاّ بعد احتلال سوريا والعراق. وكانت احدى المراحل الرئيسة في هذا الاحتلال هي احتلال ولاية الموصل وذلك بعد ٤ ايام من عقد الهدنة. في الحقيقة كانت ولاية الموصل حسب معاهدة سايكس بيكو من حصة فرنسا. اجرت بريطانيا تحريات ودراسات كثيرة في هذه المنطقة وعلمت بأنها غنية بالنفط. اما بريطانيا وهي تتوقع ظهور صعوبات في المفاوضات فانها سعت الى ضمان مساندة السكان لها. ومنذ ١٩١٨ بدأت بريطانيا بعقد اتصالات مع الزعماء الكُرد، وفي بحثه عن مفاوضين كُرد ذهب سير برس كوكس المفوض السامي البريطاني الى مرسيليا في تموز ١٩١٨ للّقاء بالجنرال شريف باشا الذي سيرأس الوفد الكُردي الى مؤتمر السلام لغرض التباحث معه حول خلق كُردستان مستقلة او متمتعة بالحكم الذاتي.

في الثالث من كانون الاول ١٩١٧ اعلنت روسيا السوفيتية انها لا تعترف بالاتفاقيات الموقعة من قبل روسيا القيصرية حول تجزئة ايران والامبراطورية العثمانية. ونتيجة لذلك فان المنطقة التابعة لروسيا اصبحت محط اطماع الاطراف الاخرى من التحالف، الامريكيون ارادوا حصة لهم من غنائم الحرب لانهم ساهموا في احراز الانتصار. ان تقرير كنغ كرين king Crane الى مؤتمر السلام اوصى بإقامة دولة أرمنية في المنطقة التي كانت من نصيب الروس مع اقامة دولة تركية

في الاناضول واسطنبول عاصمة لها.

ودولة كُردية على ربع المنطقة الكُردية مع توصية بوضع هذه الدول تحت الوصاية الامريكية، وعلى طاولة المفاوضات ورغم تحفظات طفيفة وافقت فرنسا في آخر الأمر على خلق كيان كُردي طالما ان مثل هذا الكيان لايضم مناطق تحادد سوريا او تقع بين سيليسيا الفرنسية والضفة الغربية لنهر الفرات التي هي من حصة فرنسا حسب اتفاق سايكس بيكو. اما الوفدان الكُردي والارمني فقد حسما خلافاتهما في اتفاق وقع في باريس في ٢٠ كانون الاول ١٩١٩ من قبل الجنرال شريف باشا وبوغوص باشا عن الارمن. اما المشاركون في مؤتمر سيفر فهم البريطانيون والامريكيون (مراقبون) والفرنسيون واليابانيون والطليان والأرمن والبلجيكيون و العرب والكروات والبولنديون ووفد كُردي مراقب. وتمخضت المفاوضات عن معاهدة مطولة مكونة من ٤٣٣ مادة وقعت في سيفر في ١٠ أب ١٩٢٠.

القسم الثالث من المعاهدة المواد (٦٢-٦٤) الخاصة بكُردستان:

المادة ٦٢: ان لجنة مقرها اسطنبول و مؤلفة من ٣ اعضاء معينين من قبل كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا ستقوم خلال ٦ اشهر من بدء تنفيذ المعاهدة الحالية بالأعداد لقيام حكم ذاتي محلي في المناطق ذات الاغلبية الكُردية والواقعة شرق الفرات والى الجنوب من حدود دولة الارمن المزمع اقامتها والى الشمال من حدود سوريا وميسوبوتاميا كما هو مقرر في المواد ١١ و ٢٧ والفقرات الثانية والثالثة. وفي حالة عدم حصول الاجماع في الرأي بين الاعضاء فعليهم اعادة القضية الى حكوماتهم كما اشترطت قيام اللجنة بتقديم ضمانات كافية لحماية حقوق الاشوريين والكلدان والاقليات العرقية والدينية في المنطقة وتقوم لجنة

مـشكلة من بريطانيين وفـرنسـيين وطليـان و ممثلين عن ايران والكُرد بزيارة المنطقة لاقرار أية تعديلات تراها ضرورية على الحدود التركية عندما تتداخل مع الحدود الايرانية وكما هو مقرر في المعاهدة.

المادة ٦٣: على الحكومة العثمانية قبول وتنفيذ قرارات اللجنتين الواردتين في المادة ٦٢ خلال ثلاثة اشهر بعد ابلاغها بهذه القرارات.

المادة ٦٤: بعد مضي سنة على تنفيذ المعاهدة اذا طالب الكُرد في المناطق المعينة في المادة ٦٢ من مجلس عصبة الأمم وأوضحوا بان الغالبية السكانية في هذه المناطق يرغبون في الاستقلال واذا اوصى المجلس بهذا الاستقلال يستوجب على تركيا الالتزام بهذه التوصية وان تتنازل عن كل حق وامتياز لها في هذه المناطق.

ان تفاصيل هذه التنازلات ستكون محل تفاوض بين تركيا والحلفاء وعندما يتم امر هذه التنازلات فانه لا يجوز اثارة اي اعتراض من قبل الحلفاء اذا ما رغب الكُرد القاطنون في ولاية الموصل الانضمام الى دولة كُردستان الجديدة.

قبل المضي في مناقشة الحدود التي قررتها المادة ٦٢ وقبل إلقاء الضوء على دولة كُردستان المذكورة في بنود المعاهدة يجدر بنا ان نذكر بأن مصير المنطقة الكُردية في ولاية الموصل لم يرتبط بشكل آلي ومباشر ببقية اجزاء كُردستان حيث تقرر استطلاع آرائهم في مسألة الإنضمام الى الدولة الكُردية عندما تصبح هذه الدولة حقيقة واقعة، وحتى في حالة رغبة الغالبية في الانضمام فان ذلك مرهون بقرار من مجلس عصبة الامم يعلن جدارة الكُرد بالاستقلال، فان لم يحصل ذلك فان المجلس سيطلب من بريطانيا ممارسة سلطة الانتداب على المنطقة.

اما بالنسبة لحدود دولة كُردستان المرتقبة فان مناطق عديدة ذات

اغلبيـة كُردية استثنيت من أن تكون جزءً من هذه الدولة وتقع الى غرب الفرات وهي ادیامان ومالاتیا والبستان وديفرك ودرندي.

إن اتفاقية العاشـر من آب ١٩٢٠ بين بريطانيا و فرنسا وايطاليا كانت قد قررت ان تكون هذه المناطق ضمن دائرة النفوذ الفرنسي. اعطت المادة ٢٧ من القسم الثاني - الفقرات الثانية والثالثة - المتعلقة بإنتداب فرنسا لسوريا حق ادارة جبل الكُرد (كُرد دا غ) ومنطقة الجزيرة التي هي الآن ضمن الاراضي السورية وكذلك مدن كيليس وعينتاب وبيرجك واورفه و ماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر وهذه المناطق تشكل ثُلث مساحة كُردستان الدولة العثمانية، هاتان المنطقتان ستقطعان وتلحقان بشكل مباشر وغير مباشر بالادارة الفرنسية.

ان حدود الدولة الارمنية كانت قد تقررت اصلاً بموجب المادة ٨٩ من المعاهدة (القسم السادس المتعلق بأرمينيا)

ان تركيا وأرمينيا والموقعين الآخرين اتفقوا على جعل الحدود بين تركيا وارمينيا في ولايات ارضروم وتربزونطة ووان وبتليس خاضعة لحكم رئيس الولايات المتحدة و اتفقوا على قبول أي قرار يتخذه الرئيس الامريكي بخصوص اعطاء منفذ بحري لأرمينيا ونزع سلاح أية مقاطعة تجاور الحدود الارمنية في الدولة العثمانية. من دون أن ينتظر الرئيس الامريكي لمعرفة رأي السكان لمعرفة الاغلبية السكانية في هذه المناطق ألحق بالدولة الارمنية التي هي تحت الانتداب والوصاية الامريكية عدة اقاليم ذات الغالبية الكُردية مثل موشى وارزنكان وبنغول وبتليس ووان وأكري واغدر وارضروم الامر الذي يعني انسلاخ ثلث آخر من مساحة كُردستان الدولة العثمانية.

تأسيساً على ما سبق ذكره فان كُردستان المستقلة اصبحت بلداً

استقطعت ثلثي من أرضه بما في ذلك المناطق الخصبة ناهيك عن كُردستان ايران التي هي اصلاً غائبة. ان الدولة المبتورة المقطعة الاوصال اذا ما قدر لها الظهور فانها ستكون على مناطق فقيرة مثل قربوط وديرسيم وهكاري وسيرت ودياربكر هي عاصمة لها و على ولاية الموصل كمركز اقتصادي لها وبريطانيا تهيمن على النفط فيها. اذا ما طبقت المعاهدة فان الاقاليم الكُردية تكون قد توزعت بين خمس مناطق للنفوذ هي المنطقة الفرنسية من جهة الغرب وسوريا من الجنوب وايران من الشرق وارمينيا من الشمال وكُردستان مصغرة وفقيرة في الوسط. ومع كل هذا الاجحاف الذي حل بكُردستان فإن القوميين الكُرد وعلى مدى اجيال عديدة يستندون على هذه المعاهدة الجائرة التي قطعت كُردستان إرباً إرباً ليستشهدوا بها على الاعتراف الدولي بالوجود الكُردي.

ان معاهدة سيفر التي كانت تهدف الى تقطيع اوصال تركيا لم تكن جائرة ومُذلة للشعب التركي فقط بل كانت مجحفة و مهينة للشعب الكُردي ايضاً.

بعد سقوط الامبراطورية استطاعت جميع القوميات التي كانت منطوية تحت هيمنتها اقامة دولها الخاصة بها وكان الاستثناء الوحيد لها هو الشعب الكُردي بسبب عجز قادتهم السياسيين ولتأخرهم الاجتماعي فجرى تقسيمه بين العراق وتركيا وسوريا.

الفصل الثاني



كُردستان تركيا

هي اكبر الاقاليم الكُردية مساحة وأكثرها سكاناً وهي تمتد من خليج الاسكندرونة وجبال طوروس في الغرب الى حدود ايران والاتحاد السوفيتي في الشرق وفي الشمال تحدها جبال بونتك ومن الجنوب العراق وسوريا. انها تغطي مساحة ٨٠,٠٠٠ ميل مربع اي حوالي ٣٠٪ من المساحة الاجمالية لتركيا وهي تتألف من ١٨ ولاية في شرق و جنوب شرق الاناضول.

كُردستان تركيا ارض جبلية وعرة (ارارات ١٦,٩٤١ قدم و جيلو ١٣,٥٧٣ قدم و سيبان و جودي ١٣,٠٠٠ قدم) و تقطعها انهار من اشهرها أراكس و دجلة و الفرات. مناخ كُردستان قاري وتسوده درجات حرارة متباينة. لستة اشهر تغطي الثلوج القسم الجنوبي منها ولكن مناخاً اكثر اعتدالاً يسود سهول أورفه و ماردين ووادي دجلة.

ان انهار كُردستان تركيا هي سريعة الجريان لانحدار الارض وهي بذلك غير صالحة للملاحة النهرية. ولكن من جهة اخرى فان لها اهمية كبيرة في توليد الكهرباء وتقدر هذه الطاقة اذا ما استغلت بشكل تام بحوالي ٩٠,٠٠٠ كيلو واط (المؤلف يذكر ٩٠,٠٠٠ مليون وهذا إمر صعب التصديق)

اما الغطاء النباتي Flora الذي كان يوماً ما كثيفاً و غزيراً فانه اصبح اليوم خفيفاً لقلة الاهتمام به وإعادة تشجيره، البلوط والزان واللوز لاتزال تغطي اجزاءً من المنحدرات في حين تكثر اشجار الحور (سبندار)

والصفصاف وفواكه البحر المتوسط والكروم في السهول والوديان.
الحياة الحيوانية Fauna لاتزال متوفرة فبالاضافة الى الدببة والثعالب والذئاب هنالك الضباع والخنازير البرية والعنز الجبلي و طيور متنوعة.

حسب احصاء ١٩٧٠ فان عدد سكان كُردستان في تركيا هو ٧.٥٥٧.٠٠٠ مليون نسمة وعدد الكُرد من هذا العدد هو ٦.٠٠٠.٠٠٠ مليون نسمة اي نسبة ٨٢٪ من مجموع سكان كُردستان . اما الباقون فهم ترك وعرب واغلب هؤلاء هم موظفون وعساكر وقسم من المهجرين من بلغاريا الذين تم اسكانهم في اخصب اجزاء كُردستان. اما العرب فيتواجدون في عينتاب وسيرت وماردين و يوجد نحو ٩.٠٠٠ ارمني في دياربكر وكارس.

هؤلاء الاقوام غير الكُرد موزعون بشكل غريب وغير متجانس على مختلف الولايات الكُردية. ان سكان مقاطعات ماراس و غازي عينتاب و مالاتيا و ارضروم الواقعة على حدود كُردستان والاناضول هم بشكل عام ترك مع وجود قوميات اخرى بينهم. اما نحو المركز والمناطق الشرقية فالسكان جميعهم من الكُرد.

ان اي احصاء بعدد الكُرد في تركيا يجب ان يأخذ في الحسبان التجمعات السكانية الكُردية المنتشرة في تجمعات و مستعمرات على امتداد الاناضول (جبهان بلي في هيمانة كُردوغ في توكان و سان كيري) وكذلك مئات الالوف من العمال الكُرد المهاجرين الى المدن التركية الصناعية. بلغ عدد المقيمين خارج كُردستان نحو ٢.٥ مليون في عام ١٩٧٠.

وباختصار شديد كان هنالك ٨.٥ مليون كُردي في تركيا في ١٩٧٠ وهذه نسبة تمثل ٢٣.٨٪ من مجموع سكان تركيا البالغ يومئذ ٣٥.٧

مليـون، ان هذا الرقم الذي ابلغ عنه في احـصـاء ١٩٧٠ لـم يكن دقيـقـاً جداً حيث توجد احصاءات اخرى.

تقدر نفوس الكُرد بحوالي ٨-١٢ مليون و نسمة السلطات التركية تميل وتحبذ عادة التقليل من عدد الكُرد بينما تعمد المجموعات القومية الكُردية الى تضخيم العدد والمبالغة فيه.

وهنا يجدر بالذكر ان كثيرين من الكُرد لايزالون متأثرين بالأساليب القمعية الرهيبة التي كانوا فيها على مدى قرن من الزمن وهم بذلك يترددون عن الافصاح عن هويتهم الكُردية. كما تبين لي في احصاء ١٩٦٥ الذي كنت حاضراً له. عندما كان الكُردي يسأل عن قوميته وهو يجهل اللغه التركية تماماً كان يرد عليهم بالقول من الافضل ان تسجل قوميتي (تركية) انني لا اريد الوقوع في مشاكل، ان نسبة الكُرد تزداد باطراد حيث كانت هذه النسبة. ٢.٨٨٪ مقابل المعدل العام الكلي في تركيا البالغ ٢.٦٥٪ في عام ١٩٦٥. كما ان انخفاض عدد الوفيات في ٢.٦٥٪ في عام ١٩٦٠الى ١.٢٠٪ في ١٩٧٠ ساهم هو الاخر في هذا الارتفاع الذي بلغ ٣.٢٧٪ في الفترة ما بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠.

ومع هذا الارتفاع في النمو السكاني في كُردستان لا تزال منطقة ذات كثافة سكانية واطئة في ١٩٧٠ كان معدل عدد الاشخاص في الميل المربع الواحد هو ٢٠ نسمة مقابل ٢٧ شخص للميل المربع في الاجزاء الاخرى في تركيا، السكان غير موزعين بشكل متساو في جميع المناطق. في الشمال والشرق الكثافة السكانية واطئة فهي تبلغ ٦ اشخاص للميل المربع الواحد في منطقة هكاري بينما هي عالية في المناطق الغربية من كُردستان تركيا وهي اعلى من المعدل في المناطق التركية.

المجتمع الكُردي في تركيا لايزال قروياً، في ١٩٦٥ كان ٢٧.٨٪ من

الكُرد يقيمون في ١٤٦ بلدة و ١٨ مدينة وسبع منها كان عدد سكانها اكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة مثل غازي عينتاب ودياربكر وارضروم ومالاتيا واورفه والأزك. أما نسبة ٧٢,٢٪ فكانوا يعيشون في ١١,١٢٠ قرية و ٩,٧١٧ قرية صغيرة مؤلفة من ٥-٨ عوائل و في ١٩٦٥ كان هنالك نحو ٧٠,٠٠٠ - ٨٠,٠٠٠ من السكان شبه الرحل وفي ١٩٨٠ هبط العدد الى ٣٠,٠٠٠ فقط.

اما في السنوات الاخيرة فان الحياة المدنية توسعت بسبب النمو السكاني المطرد وبسبب الهجرة من الريف الى المدينة بعد ادخال المكننة الى الزراعة. إلاّ ان هذا النمو كان فوضوياً وغير مبرمج و خلّف مشاكل جمة في قطاع العمالة والاسكان، المدن الكُردية الكبيرة محاطة اليوم بأحياء فقيرة واكواخ للفلاحيين الذين نزحوا اليها من الريف.

التعليم: الامية متفشية في كُردستان تركيا، ان ٧٢٪ من الذين هم فوق السن السادسة أميون لايعرفون القراءة و الكتابة. ان المعدل العام للأمية هو ٥١٪ في عموم تركيا وهو ٤١٪ في المنطقة التركية ولكنه يرتفع الى نحو الضعف في المنطقة الكُردية.

أغلب القرى الكُردية الى يومنا هذا لا تحتوي على مدرسة ابتدائية وفي حالة وجود واحدة منها فان معلماً واحداً يقوم بتعليم الاولاد بالتركية في الصفوف الخمسة فيها وهذا النقص في الكادر التعليمي موجود ايضاً في المدارس الثانوية التي توجد منها ٥٠ مدرسة فقط في كل كُردستان. وعند تخرج الطلاب فان عليهم منافسة طلاب تخرجوا من مدارس انقرة واسطنبول وازمير التي لها كوادر تدريسية راقية و كاملة. وعليه فلا عجب ان نجد عدداً قليلاً من الطلاب الكُرد على مقاعد الدراسة الجامعية في ١٩٧٥ كان نصيب كُردستان من مجموع ١٨ جامعة في تركيا

جامعة واحدة في ارضروم وكلية طب في دياربكر واربع كليات للهندسة والتدريب من بين ٥٧ كلية و معهد في تركيا.

ورغم وجود هذه الجامعة والكليات القليلة في كُردستان فان الطلاب الكُرد فيها كانوا اقلية صغيرة.

لغة التعليم هي التركية حيث منعت الكُردية منذ ١٩٢٥ و نشر الكتب والجرائد باللغة الكُردية محظور هو الاخر رغم القمع الرهيب فان المواد الأدبية و الكتب السياسية متداولة بشكل سري. المطبوعات جميعها مكتوبة بحروف لاتينية تم تكييفها لتلائم الكتابة بالكُردية من قبل ابناء بدرخان في الثلاثينيات. كان في هذا تطور كبير حيث انه والى فترة متأخرة كان المثقفون الكُرد يعبرون عن ارائهم بالتركية. كما ان الشعراء والكتاب استخدموا التركية لضمان توزيع اعمالهم ولأنهم لم يكونوا مطلعين على أدب و ثقافة قومهم لتكون لهم الملكة اللغوية التي تمكنهم الكتابة بها. هؤلاء المثقفون ساهموا في إغناء الثقافة التركية. اشهر كتاب القصة التركية على مر تأريخها هو يشار كمال وتضم اعماله الادبية «الدعامة» pillar التي ترجمت الى اكثر من ٢٠ لغة وهو كُردي ولا تفوته فرصة الا ويشير الى اصله. الشعراء احمد عارف وجاهد صدقي كلاهما كُرديان. كما ان مخرج الافلام العالمي يلماز غوني هو الاخر كُردي وكثير من مشاهد و ومواضيع افلامه مستقاة من كُردستان. كما ان اشهر مغني الاغنية التركية هم كُرد. ومنذ ١٩٦٥ هنالك رغبة في العودة الى الاصل في التعبير عن النفس بالكُردية لدى المثقفين الكُرد. ان هذه الروح القومية التي تشوبها مسحة شعبية تضع اليوم الاسس لإحياء ثقافة وأدب كُرديان.

الديانة:

إن ٩٩٪ من الكُرد في تركيا هم مسلمون وهنالك نحو ٣٠.٠٠٠ نسطوري واشوري ونحو ٤٠,٠٠٠-٥٠.٠٠٠ يزيدي ينعتهم البعض بعبدة الشيطان.

غالبية الكُرد المسلمين هم من السنة على المذهب الشافعي، اما الشيعة العلويون «قزلباشي» فلا يتجاوز عددهم عدة مئات من الالوف ويقطنون درسيم والازك وماراش. توجد في معظم القرى الكُردية مدارس قرآنية يتعلم الصغار على يد الملا مباديء الدين بالعربية. كما يقوم بعض الملالي بتعليم الاطفال بعض النصوص الادبية الكُردية لأحمدي خاني وملايي جزيري و بابا طاهر كويي بدون علم السلطات.

الملا يلعب دوراً مهماً في الحياة الثقافية والاجتماعية في القرية الكُردية. والى فترة قريبة جداً كان هؤلاء الملالي يكسبون عيشهم من المساعدات التي يقدمها لهم اهل القرية ومن كد ايديهم ايضاً. ان الملالي وهم يعيشون وسط الفقراء ولهم معرفة بما يجري في انحاء اخرى من العالم لعبوا دوراً متقدماً في الخمسينيات والستينيات في توعية الجماهير والوقوف ضد السلطات. ولعل هذا الشيء يفسر قيام الحكومة ومنذ ١٩٦٥بإعداد الوعاظ في مدارس دينية حكومية ووفق مناهج معينة ودفع رواتب لهم. ان عدداً من هؤلاء الملالي الذين يستلمون رواتب مجزية من الدولة اصبحوا متعاونين مع السلطات ومخبرين لدى الشرطة السرية «ميت» Mit في دولة علمانية و ينشرون لها ايدولوجيتها الرسمية في القرى. الطرق الصوفية لا تزال موجودة في كُردستان وتعمل فيها. حدث قمع لهذه الطرق الى فترة التعددية الحزبية في ١٩٢٦ و منذ ذلك التأريخ بدأت تحظى بالحماية وازدهرت من جديد. ان شيوخ النقشبندية والقادرية كانوا محل احترام وتقدير السلطات لقدرتهم

على حشد الأصوات في الانتخابات واصبح بعضهم اعضاءً في البرلمان. ان النفوذ الديني والسياسي والاقتصادي منحهم سيطرة على الفلاحين و بمرور الايام بدأ هذا النفوذ بالانحسار. بدأ المجتمع الكُردي يتغير وأخذ الناس ينظرون الى الشيوخ على أنهم ادوات بيد الدولة.

وبين الشيعة العلوية توجد هياكل دينية تشبه طرق النقشبندية والقادرية فلديها «البير و السيد» ويلعبون دوراً مشابهاً لدور شيوخ النقشبندية والقادرية

الصحة:

رغم وجود فرص جيدة لكسب المال فان عدداً قليلاً من الأطباء يرغبون في العمل في كُردستان التي يعتبرونها منطقة متأخرة والذي يعمل فيها يتطلع بلهفة الى اليوم الذي يعود فيه الى حياة المدنية المريحة والهانئة. في ١٩٧٠ كان هنالك٣ -٤ طبيباً لكل ١٠,٠٠٠ شخص في تركيا. اما في كُردستان فقد كان هنالك طبيب واحد لكل ١٠,٠٠٠ نسمة. الفارق كبير بين المنطقتين وهو في ارتفاع مستمر ويؤشر ايضاً إلى اختلاف معدلات التطور بين المنطقة التركية والكُردية.

الريف/الطبقة	النسبة المئوية للسكان	النسبة المئوية للارض المملوكة
المعدمون	٣٨٪	صفر
الملاكون الصغار ١-٥٠ دونم	٤٥,٤٪	٢٧٪
الملاكون الاغنياء ٥١-٢٠٠ دونم	١٤,٢٪	٤٠٪
الملاكون الكبار ٢٠٠+	٢,٤٪	٣٣٪

الدونم = ١٠٠٠ ياردة

الهياكل الاقتصادية والاجتماعية

المجتمع الكُردي لايزال زراعياً وان ٧٢.٢٪ من الكُرد يعملون في الريف و يكسبون معيشتهم من الزراعة وتربية الحيوانات اما الصناعة فلا توفر ٥.٥٪ من فرص العمل للقادرين عليه. اما الباقون من سكان المدن فيعملون في التجارة وقطاع الخدمات وفي المهن اليدوية. وتربية الاغنام والابقار تبقى مهنة رئيسية وفي الحقيقة ان كُردستان هي اهم مصدر للماشية والاغنام والمعز ومنتجاتها في تركيا. الأساليب المتبقية في الزراعة تكاد تكون نفس التي استعملت في القرون الوسطى وهي متخلفة عن تلك التي تستعمل في الاجزاء الاخرى من تركيا وهي تستعمل ٣٪ من مجموع الآلات الزراعية المستعملة في عموم تركيا، غير ان الطلب المتزايد من الاسواق التركية على المنتجات الزراعية وحقيقة ان عدداً من الوجهاء الكُرد اصبحوا مزارعين كبار ساعد على تسريع عملية المكننة في الزراعة، وبين ١٩٦٥ و ١٩٦٧ ازداد عدد الآلات الزراعية بنسبة ٤٦٪ عن ذي قبل، الاراضي الزراعية موزعة بشكل غير عادل كما يظهر في الجدول السابق.

إن (١/٦) المالكين يستحوذون على ثلاثة أرباع الارض، بينما ٣٨٪ من الفلاحين لا يملكون أية ارضاً اطلاقاً. لقد اتسعت دائرة الفروقات منذ ١٩٢٦ عندما. تبنت الدولة القانون السويدي في تمليك الارض. السلطات ساعدت الاغوات والشيوخ على تسجيل الاراضي الاميرية و أراضي وقف الدولة باسمائهم.

رغم وجود خلافات بين حكومة انقرة والاقطاعيين الكُرد فانها لم تطبق

برامجاً للاصلاح الزراعي خشية ان تنسف هذه الاصلاحات بنفوذ الاغوات الذين تحتاجهم لبسط سيطرتها على الجماهير.

ان هذا الظلم في اسلوب تملك الارض لم يحدث اي نزاع بين القلة من الاقطاعيين المرفهين وبين الجماهير الفلاحية المسحوقة. ان رابطة القربى والتقاليد العشائرية والعوامل الدينية لاتزال تتحكم بعقول الناس رغم إنحسار و ضعف النظام العشائري وهذه العوامل مجتمعة تمنع هذه التناقضات من الاستفحال و التفجر ولكن من الصعب ان يذهب التذمر الذي يزداد يوماً بعد يوم ضد السلطات منذ الستينيات من دون ان يترك اثراً على الجماهير.

ومع ان الزراعة في المنطقة الكُردية لا زالت قديمة في اساليبها وفي التملك فانها موجهة بشكل جيد نحو الخارج. انها اليوم مندمجة بالسوق الرأسمالية التركية. القطن و بنجر السكر والتبغ جميعها تزرع للتصدير الى السوق الداخلية والخارجية وهي في طريقها لتحل محل زراعة الحبوب.

ومع ان الرأسمالية تتوغل في الريف الكُردي فان العلاقات الرأسمالية في الانتاج لا تزال غير سائدة. كُردستان هي واحدة من مناطق العالم التي يسير الحمار فيها الى جانب سيارة المارسيدس الفارهة. انها تعيش قروناً مختلفة في وقت واحد. ويعني هذا في المصطلح الاقتصادي بان اشكال الاستغلال الاقطاعي وبعض الممارسات البدائية في المجتمع لا تزال قائمة الى جانب الاستغلال الرأسمالي.

الفلاح لايزال يقدم للاغا او الاقطاعي العمل الطوعي (السخرة). المريدون يساعدون الشيخ بالعمل الطوعي في حصاد المحاصيل ونقلها الى دار السيد. الفلاحون يدفعون ضريبة الى الاغا والوجهاء.

ان الفائض المتراكم يستثمر خارج كُردستان في المدن التركية. الآغوات والشيوخ الكُرد يملكون اليوم العقارات والفنادق والمعامل الصغيرة في المدن الكبيرة حيث الربح اعلى.

في ١٩٤٦ من مجموع ٤٣/٢٦٣ شركة و معمل كان مسجل في كُردستان ٢/٤٢٧ وهذا العدد يمثل ٥.٦٪ من المجموع الكلي ولم تخرج من كونها معامل صغيرة لصنع الصابون والزيوت والسجاد وما الى ذلك ، توجد معامل لتكرير السكر في الأزك ومالاتيا ومعامل الاسمنت في ارضروم و كارس ومعامل لتعبئة التبوغ في بتليس و مالاتيا ومعمل للنسيج في دياربكر. ولكن جل الجهد المبذول يستثمر في التعدين، التربة التحتية في كُردستان غنية بالمعادن مثل الفوسفات و الفحم والنحاس وخامات الحديد والكروم وكذلك يوجد النفط.

وإن خامات الكروم التي تستخرج في ماردين بين الأزك ودياربكر هي من بين الاضخم في العالم. في ١٩٦٧ تم استخراج ٩١٥,٠٠٠ طن منها الأمر الذي جعل من تركيا ثاني اكبر منتج و مصدر للكروم في العالم بعد الاتحاد السوفيتي، وفي ١٩٧٣ وصل الانتاج الى ٢,٢ مليون طن تم تصدير معظم الكمية الى الولايات المتحدة.

ان انتاج خامات الحديد في ديفركي التي هي منطقة كُردية ملحقة بولاية سيواس ذات الغالبية التركية بسبب مخزوناتها المعدنية وصل الى ١,٦ مليون طن في ١٩٦٧. تنقل الخامات المستخرجة الى قره باغ karabak الى اركلي Eregli على البحر الاسود حيث تقوم الصناعة التركية. ويستخرج معدن الكروم ايضاً في ارغني Ergani بالقرب من دياربكر ووصل مقدار ما استخرج منه الى مليون طن في ١٩٧٠.

اما عن مخزونات النفط في كُردستان تركيا فهي ليست بالكبيرة اذا ما

قورنت بالمخزونات الهائلة منه في كُردستان العراق وايران. اعتادت شركتا موبل اوبل وشل على القول بعدم وجود قطرة واحدة من النفط في كُردستان تركيا. قامت شركة النفط التركية بالتنقيب عنه على حسابها في الستينيات وتمكنت من اكتشاف حقول نفط رامان وقازان في سيرت ودياربكر في ١٩٧١ . وصل الانتاج الى ٤ . ٤مليون طن واستعمل جله في الاستهلاك المحلي. بالاضافة الى صناعة التعدين قامت الدولة بالاستثمار في إنشاء طرق برية تربط تركيا بايران والعراق وتربط بين المنشآت العسكرية في كُردستان. ان مدن ارضروم ودياربكر ومالاتيا والازك و وان التي توجد فيها حاميات عسكرية مربوطة جميعها بسكك الحديد التركية التي تمر من اسطنبول - انقرة - مالاتيا - دياربكر - كورتالان - مالاتيا - وان - وانقره - سيواس - ارضروم وتوجد في هذه المدن مطارات مدنية وحربية.

ان استثمارات الدولة تركزت في قطاع التعدين والبنية التحتية. في ١٩٦٨ كانت ٩٣ . ١٪ من الشركات العاملة في تركيا لها مؤسسات في كُردستان. ان كُردستان بإفتقارها الى منافذ بحرية و بسوقها الصغيرة المحلية و بوضعها السياسي المضطرب ليست مغرية لجذب رؤوس الاموال الكبيرة. والرأسمال القادم اليها يذهب الى قطاع العقارات وتشييد العمارات والفنادق لإقامة الضباط الاتراك والموظفين وللبرجوازية الكُردية المتنامية،

وعلى اثر قيام الصناعات الاولية والتعدينية ومواد البناء تشكلت طبقة من البروليتاريا. في ١٩٨٠ كانت الطبقة العاملة في قطاع الصناعة تشكل ٥ . ٥٪ من مجموع القادرين على العمل في كُردستان و ٤٪ من الطبقة التركية العاملة. ولأنها تتمتع بامتيازات مثل ضمان توفير العمل

وحق الاضراب فانها وجدت نفسها متميزة عن غيرها وطورت لنفسها نوعاً من الوعي الطبقي. القرويون يقايضون منتجاتهم الحيوانية من صوف وشعر ومنتجات الحليب ببضائع جاهزة مثل السكر والشاي والمجوهرات. غير ان التجار الكبار في دياربكر وارضروم مثلاً يتعاملون مباشرة مع الدول المجاورة والطرق التجارية نشطة فيها. ان علاقة كُردستان التجارية مع تركيا شبيهة بعلاقة المستعمرة مع المستعمر حيث المستعمرة خزان للمواد الاولية للمستعمر وسوق لتصدير انتاجه الصناعي.

إن طبقة التجار الكبار ومعهم ملاكو الارض هم المستفيدون الرئيسون من الائتمانات المصرفية. انهم يمتصون ثروة كُردستان ويحولونها الى المدن التركية. ان اعمال الصيرفة والبنوك في كُردستان متأخرة. في ١٩٦٥ كان ١٧٩ فرعاً (٩٪) من اصل ١,٩٨١ فرع في كل تركيا موجوداً. في كُردستان. كما ان عمليات التوفير كانت متواضعة جداً اذا اخذنا بنظر الاعتبار فقر السكان. كان مجموع مبالغ التوفير في كل كُردستان عام ١٩٦٥ ٤٧٩ مليون ليرة تركية مقابل ١٥,٠٠٠ مليون في كل تركيا. ان غياب نظام ائتماني جدير بالثقة من شأنه الاضرار بمصالح المنتجين المتوسطين والصغار وتنجم عنه ظهور طبقة من المرابين الجشعين يتقاضون نسباً عالية من الفائدة تصل الى ٥٠ او ٦٠٪ في السنة.

رغم المخاطر التي ينطوي عليها عبور الحدود المزروعة بالالغام فإن القرويين في المناطق الحدودية ينشطون في عملية التهريب وعادة تتألف البضاعة التي يتاجرون بها عبر الحدود من قطعان الغنم الى سوريا والعراق والادوية الى ايران والعراق والتبغ والافيون الى ايران ويقومون

بجلب بعض الاقمشة مثل الدمقس السوري وبضائع مصنوعة في الولايات المتحدة و هونغ كونغ وهي سلع لاتستوردها تركيا. يحصل المهربون على فائدة قليلة ولكنها تباع بعد ذلك بأسعار عالية في اسواق دياربكر واورفة وانقرة وعينتاب والسلطات تتغاضى الطرف عنها.

ان صناعة التحف توفر فرص العمل لكثيرين في مدن كُردستان، الحرفيون في دياربكر و ماردين وميديات وارضروم يصنعون المجوهرات والمصوغات الذهبية والفضية وأن النحاس المرصع هو من اختصاص الحرفيين في دياربكر. وتشتهر دياربكر وسيرت وعينتاب و وان بصناعة السجاد.

الحكومة تستخدم نحو ١٪ من القادرين على العمل ويقومون بأداء الخدمات والاعمال التي لاتحتاج الى مهارات عالية في دوائر الدولة.

كُردستان في ظل الجمهورية

ان الحروب والصراعات المستمرة التي اندلعت منذ بداية القرن العشرين والى ايام الحرب الاولى تركت الشعب التركي خائراً مستنزف القوى وانتجت هذه الحروب جيلاً من العسكريين الذين يجدون صعوبة بالغة في التعامل والتكيف مع الافكار العصرية. عندما أشرفت الحرب على نهايتها كانت تركيا منهوكة القوى ومحتلة من قبل القوات الاجنبية. ان الواجب الوطني يتطلب القيام بعمل شيء يساعد الشعب التركي ويعيد اليه بعض كرامته المسلوبة فكانت ولادة مصطفى كمال وعصمت باشا وعلي فؤاد وكاظم باشا وغيرهم

كان الوضع في الاناضول ميؤوساً منه. ورغم الاحتلال لم يبد الاتراك أية مقاومة وبدا كما لو انه رضي بالامر الواقع. اما في كُردستان فان الزعماء أصابهم الفزع لدى سماعهم نبأ تنازل الدولة عن ست ولايات كُردية هي ارضروم وكارس وبتليس وارزنكان وموش و وان الى الأرمن تشكلت ميليشيات للدفا ع عن المناطق وخاصة بعد ورود انباء من كارس عن مضايقة الارمن للكُرد فيها. قام الارمن ويدفعهم في ذلك حقد قديم دفين بسبب القمع والمجازر التي عانوا منها في السابق بالانتقام ويشكل رهيب جعل الكُرد على استعداد لدفع أي ثمن كي لا يقعوا تحت سيطرة الارمن، وللكُرد اسباب اخرى لمقاومة الارمن . في الماضي عندما كان يجري تهجير الارمن كان الاغوات الكُرد يقومون بالاستيلاء على ممتلكاتهم. إن سيطرة الارمن وعودتهم تعني بالنسبة لهؤلاء الاغوات

خسارة هذه الممتلكات والعبودية في ظل الدولة الأرمنية.

ولكن هل يعني هذا ان الكُرد سيقاتلون من أجل تحرير الاجزاء التركية من تركيا؟ وهل انهم سيصنعون دولة مشتركة مع الترك وهم الذين قاتلوا الترك من اجل نيل حريتهم لمدة تزيد على قرن من الزمن؟

ولكن سرعان وأن ادرك القادة القوميون الترك بأن افضل خيار لديهم هو اقناع الزعماء الكُرد للقتال الى جانبهم كي لا يقعوا تحت سيطرة دولة ارمنية. وعلم عدد من هؤلاء القادة من ذوي الرأي الثاقب ان تحرير واستقلال تركيا لا يأتيان من خلال انتداب امريكي لها او ان تصبح جمعية بريطانية بل من خلال حرب تحرير تنطلق من كُردستان. كان هذا رأي كمال اتاتورك.

حرب الاستقلال التركية ١٩١٩ - ١٩٢٣ والكُرد

في مايس ١٩١٩ وبطلب من البريطانيين ارسل الوزير الاول فريد باشا احد خدم السلطان المخلصين الجنرال الذي ابلى بلاءً حسناً في الدفاع عن الدرنيل في مهمة الى الاناضول لمنع اليونانيين في طري بيزند تشكيل دولة لهم على البحر الاسود ولدحر السوفيت الذين بدأوا بتنظيم صفوفهم شمال كُردستان والذين كانوا يتلقون المساندة من الحزب الاشتراكي الكُردي الذي يستلهم مبادىء اليونيسفيك، كان الجنرال المرسل هو مصطفى كمال الذي قبل المهمة على امل ايجاد طريقة لوضع مخطط لتحرير تركيا. وحال وصوله الى كُردستان قدم نفسه كمنقذ لها وبطل الخليفة الذي هو اسير لدى القوات المحتلة وانه يدافع عن أرض الاسلام التي دنسها الكفرة الملحدون واهاب القادم بالمسلمين كُرداً وتركاً بالاتحاد والنضال معاً لطرد الغزاة من ارض المسلمين.

كان مصطفى كمال حريصاً كل الحرص على ان لا يذكر في خطبه الامة التركية وبدلاً عنها أكد على الاخوة الكُردية التركية او على الامة العثمانية في الكفاح ضد القوات الاجنبية.

و كانت النتيجة الاولى المهمة التي تمخض عنها نشاطه في كُردستان مؤتمر الولايات الشرقية الذي انعقد من ٢٣ تموز الى ٦ أب ١٩١٩ في ارضروم. حضر المؤتمر ٥٤ وفداً كُردياً من خمس ولايات كُردية مهددة بالالحاق بأرمينيا، اما كارس فقد كانت في ذلك الوقت جزءً من جمهورية القوقاس الغربية، وكان هنالك مندوبون عن سيرت ودياربكر ودرسيم و كاربوط التي لن تتأثر، بالتهديد الارمني لها. ويتضح ان الكُرد قد قرروا ان الخلافة الأسلامية لم تعد جديرة بالقتال من أجلها. وبعد مشادات لاذعة وحامية قرر مؤتمر ارضروم عمل كل ما في وسع المؤتمرين لمنع ارمينيا من اقتطاع ارض اسلامية وان يحرروا الاراضي التي دنسّها الكفرة واعترفوا بقيادة مصطفى كمال.

كان مؤتمر ارضروم الانتصار السياسي الاول والكبير لمصطفى كمال. القوات الكُردية التي تم تدريبها من قبل ضباط اتراك بامرة كاظم باشا بدأت بإشغال قوات جورجيا وأرمينيا الطاشناقية، وعلى هذه الجهة احرز النصر العسكري الاول في الحرب من اجل الاستقلال ومن قبل قوات كُردية. وأدى هذا الانتصار الى معاهدة كورمو (لييننغراد حالياً).

بعد القضاء على كل تهديد آتٍ من الشرق تحولت القوات الكُردية الى الاناضول وساهمت في تحقيق النصر النهائي.

بعد مؤتمر ارضروم بشهر عقد مؤتمر سيفاسي الذي شكل لجنة للدفاع عن حقوق الاناضول والمنطقة الاوروبية من تركيا وكلفت اللجنة بتنظيم المقاومة الشعبية، ترأس اللجنة مصطفى كمال وقرر المؤتمرون

ربط ما تبقى من الادارة العثمانية المدنية والعسكرية بهذه اللجنة واصبحت المصدر الشرعي للسلطة نظراً لإحتلال العاصمة اسطنبول.

وفي الثاني من تشرين الاول ١٩١٩ قطعت اللجنة الادارية والعسكرية كل ارتباط لها مع حكومة اسطنبول التي سقطت في الحال. بعد المفاوضات مع مصطفى كمال التي انتهت ببروتوكول اماسيا تقرر اجراء انتخابات تشريعية واتخذت جملة قرارات تخص الوضع آنذاك.

المادة الأولى الغامضة في البروتوكول أقرت مبدأ الحكم الذاتي للكُرد فهي بذلك اعترفت بحقوقهم القومية والثقافية وتم تبليغ الزعماء الكُرد بذلك. حصل مصطفى كمال (القوات الوطنية) على الاغلبية في الجميعة الوطنية التي تمخضت عن الانتخابات، وفي ٢٨ كانون الثاني الذي اكد على القرارات التي سبق وأن اتخذت في مؤتمري ارضروم و سيفاس واصبحت الوثيقة الدستور الجديد للبلاد، كانت الوثيقة واقعية وعملية بنيت على تقديرات صحيحة للقوى الاقليمية وتوازن القوى العالمية.

اما عن رد القوى المتحالفة حيال ممارسات الجمعية الوطنية فهو قيامها بإحتلال اسطنبول وحل المجلس التشريعي في ١٦ آذار ١٩٢٠. ولكن وبفضل جهود اللجنة التمثيلية فقد تمكن المجلس من الانعقاد في انقرة في ٢٨ نيسان ١٩٢٠ وأطلق على نفسه اسم الجمعية الوطنية العظمى لتركيا وشكلت حكومة ادعت بانها الحكومة الشرعية الوحيدة التي تملك سلطات تنفيذية. احدى اولى الخطوات المتخذة من قبل هذا المجلس هي اعلان المجلس للعالم بأن السلطات الشرعية في تركيا لن تعترف بأية معاهدات او إتفاقيات صادقت او تصادق عليها الادارة الموجودة في اسطنبول المحتلة، لم تكن هذه الخطوة عملاً اعتباطياً حيث أن معاهدة سيفرز كانت على وشك أن توقع.

لقد حققت حرب الاستقلال التركية نصراً عسكرياً كبيراً من خلال الهجوم الكبير الذي وصل الذروة في ٩ ايلول وألحق الهزيمة بالجيش اليوناني الذي كان ولمدة ثلاث سنوات يحتل جزءً من إيجه والاناضول الغربية وكانت القوات المحتلة تتلقى الامدادات والاسلحة من بريطانيا، اما معاهدة لوزان التي انعقدت بعد شهرين ونصف فقد اعطت الانتصار التركي اعترافاً سياسياً دولياً.

على مدى ايام الحرب كان الضباط الترك المشرفون على ادارة الحرب لايألون جهداً في قبر كل محاولة تهدف الى تشكيل تنظيم او اتحاد ولاسيما اذا كان ذلك الاتحاد او التنظيم كُردياً. أخمدت الحركة الكُردية التي اندلعت في كوجكويري في ١٩٢١ واغلقت النادي الكُردي في دياربكر في آب ١٩١٩. ان الكُرد الذين حاربوا على الجبهة الجورجية والارمنية ومن بعدها في الجبهة الغربية ضد الجيش اليوناني اعتقدوا انهم يبنون دولة للترك والكُرد ويعيشون فيها اخوة متساويين في الحقوق وكما وعد بذلك مصطفى كمال. وعندما جاءت الحرب الى نهايتها وجد الكُرد انفسهم وحيدين بدون قوة حيث ان القوة المنظمة الوحيدة كانت الجيش الذي يخضع لسيطرة الكوادر القومية التركية. وفي تشرين الثاني ١٩٢٢. وبعد ثلاثة اشهر من انتصاره الحاسم على اليونانيين اعلن مصطفى كمال امام الجمعية بأن الدولة الجديدة هي دولة تركية مرة اخرى تحملت كُردستان وعانت من قصر نظر زعمائها ومن عواقب غياب قيادة سياسية واعية. كان رد الكُرد سريعاً ولكن مثل كل مرة كان ينقصهم التنظيم وسحقت جميع الثورات في كُردستان بحلول عام ١٩٣٩ الذي أتى على أخر ثورة كبرى للكُرد. ان حرب الاستقلال كانت قد حازت على تأييد الشعب بقوة انعقد مؤتمر اقتصادي في ازمير في شباط

١٩٢٣ وذلك قبيل التوقيع على معاهدة لوزان قرر المؤتمرون اصلاح النظام الاقتصادي التركي و فتحوا الباب امام الرأسمال الاجنبي. رفض المؤتمر مقترحات قدمت من قبل وفود عمالية للاعتراف بحق الاضراب عن العمل واجراء اصلاحات على قانون اصلاح الاراضي.

أما الحلفاء الذين كانوا لأول وهلة يتوجسون الخيفة من أن الحركة الكمالية هذه قد تكون نتاج الثورة السوفيتية فقد إطمأنوا الآن على سلامة الموقف.

في واقع الامر كانت الحركة الكمالية المرحلة الاخيرة للثورة البرجوازية التركية التي انطلقت في ١٩٠٨ مع الانقلاب الاتحادي. اتحد ما تبقى من جمعية الاتحاد والترقي ليشكل العمود الفقري للحركة الكمالية المتنامية.

ان مبدأ الاقتصاد القومي الذي قادته البرجوازية التركية والذي كان يعتز به الاتحاديون اصبح الآن فصاعداً التوجه الاساس للنظام الكمالي.

وجدير بالذكر هنا ان الثورة السوفيتية في ١٩١٧ لعبت دوراً مهماً في الانتصار التركي النهائي. رغم الاضطهاد وعمليات الاغتيال التي تكبدها الشيوعيون الترك وخاصة اغتيال سكرتير الحزب مصطفى صوفي ورفاقه فان روسيا اللينينية اعطت الحركة الكمالية اسناداً لا بأس به في الوقت الذي كانت روسيا تواجه المجاعة والجيوش البيضاء ولكي لا يحدث عليه التفاف من قبل اليسار اقدم كمال اتاتورك على خطوة متقدمة جداً حيث اقام بمكر حزباً شيوعيا مزيفاً وحضر وفود منه مؤتمر باكو وبعد مدة قام بحل الحزب وجميع التنظيمات العمالية في اوائل ١٩٢٥.

اما الحلفاء وخشية وقوع تركيا في فلك الاتحاد السوفيتي فأنهم بذلوا كل ما في وسعهم للوصول الى مصالحة مع دولة تركية مستقلة. ولأن

البرجوازية التركية ضعيفة فان مثل هذه الدولة لابد وان تعتمد اقتصادياً على الغرب وربما تكون بمثابة منطقة فصل و ردع بين روسيا السوفيتية والمستعمرات الغربية في الشرق الاوسط، وانطلاقاً من هذا الفهم للأمور وقعت فرنسا معاهدة مع تركيا لبناء علاقات ودية مع انقرة وذلك في الثاني من تشرين الاول ١٩٢١ قبل النصر العسكري التركي بسنة.

تقطيع كُردستان

إن معاهدة لوزان التي وقعتها بريطانيا وفرنسا وايطاليا واليابان واليونان و رومانيا وسلوفينيا وتركيا في ٢٤ تموز ١٩٢٣ اعطت اعترافاً دولياً بدولة تركيا وقطعت كُردستان العثمانية الى اربعة اقسام.

لقد كانت معاهدة سيفرز مذلة لتركيا ومجحفة بحق الكُرد. اما معاهدة لوزان فقد كانت و بدون ادنى شك نصراً لتركيا ومرحلة عبودية للكُرد. المادة ٨ من المعاهدة نصت على ان الاتفاق الانكلو فرنسي قد اعطى منطقة الجزيرة وكُرد داغ الى سوريا التي هي تحت الانتداب الفرنسي.

كان هنالك حديث كثير حول الكُرد في غيابهم وكان النفط محور هذه المناقشات واظهرت بريطانيا عدم المبالاة بخصوص المصالح الكُردية المتمثلة بحق الكُرد مثل غيرهم في اقامة دولتهم، اما الوفد التركي فقد اكد من جانبه ان حكومة الجمعية الوطنية العظمى هي حكومة الترك والكُرد وأن مندوبي الكُرد يجلسون الى جانب المندوبين الترك وهم شركاء متساوون في الحكومة ومع انهم يتكلمون لغتين مختلفين فان الشعبين ليسا مختلفتين اذ انهما يشكلان وحدة واحدة من حيث القومية والعقيدة والتقاليد ان الكُرد الذين حازوا على هذا الاهتمام من لدن بريطانيا وتركيا الفريقين المتخاصمين يكفيهم شراً انهم كُرد المنطقة

الغنية بالنفط التي يحاول كل طرف الاستحواذ عليها.

بعد احتلال ولاية الموصل من قبل البريطانيين اجتمع لويد جورج وكليمانصو رئيسا وزراء بريطانيا وفرنسا لغرض حسم الخلاف بينهما. تم اقناع فرنسا بالتنازل عن ولاية الموصل التي هي اصلاً من حصة فرنسا حسب معاهدة سايكس بيكو مقابل حصولها على سيليسيا.

لم يكن كليمانصو يعلم بمخزونات النفط في ولاية الموصل وقبل العرض البريطاني وعندما علمت فرنسا في وقت لاحق حقيقة الامر تمت اعادة النظر في المعاهدة المبرمة بين لويد جورج وكليمانصو وحلّت محلها معاهدة سان ريمو في ٢٤ نيسان ١٩٢٠.

وأعيدت صياغتها من جديد في ٢٣ كانون الاول ١٩٢٠ ونص التعديل على منح فرنسا او من يمثلها حصة ٢٥٪ من الانتاج الكلي وحسب السعر السائد من النفط الخام الذي قد تقوم حكومة جلالته باستخراجه من حقول ميسوبوتاميا.

اصبحت المعاهدة حديث الصحف في أمريكا، احتجت امريكا على اغفال مصالحها من قبل بريطانيا وفرنسا في هذا التوزيع. وبعد مفاوضات مضنية حصل الامريكيون على نسبة ٢٠٪ من شركة النفط التركية وكان المساهم الاكبر في الشركة هو اللورد كورزون رئيس الوفد البريطاني الى مؤتمر لوزان. واخيراً توصلت الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الى حل لتوزيع الاسهم في شركة النفط التركية في مايس ١٩٢٣.

لعبت الحكومة التركية على وتر المنافسة بين هذه الدول المتنافسة لإستغلال الموقف لصالحها ولكنها واجهت التسوية التي اتفقت عليها القوى الكبرى فرضخت للامر الواقع وقبلت بتقرير امر ولاية الموصل من

قبل مجلس عصبة الامم.

اجرى المجلس تحقيقاً حول رغبة السكان المعنيين بالامر. ولكن في الخامس من حزيران ١٩٢٦ وعندما كان قرار المجلس على وشك الاعلان عنه الحقت ولاية الموصل بالعراق واصبحت هي الاخرى خاضعة للانتداب البريطاني رغم رغبة سكانها في اقامة دولة خاصة بهم فيها.

في ٢٤ تموز ١٩٢٣ وقعت الاطراف المشاركة في مؤتمر لوزان معاهدة سلام ولم يرد ذكر للكُرد فيها ولم تمنحهم أي حقوق قومية. احتوت المعاهدة على اشتراطات حول حماية الاقليات في المواد ٣٧-٤٤ وهي:- يجب ان لا تكون هنالك قيود على حقوق أي مواطن في استعماله للغة التي يريدها في تعامله التجاري والديني وكذلك في الطبع والاجتماعات العامة. على تركيا الالتزام بالمواد ٣٨-٤٤ كونها قوانين اساسية لايمكن مسحها بقوانين اخرى.

غير ان المواد ٤٠-٤٥ شخصت الاقليات على انها اقليات غير مسلمة (الارمن واليونانيين) وفي معرض دفاعهم ادعى الترك ان الكُرد يحكمون كشركاء متساويين معهم ورفضوا ضم الكُرد وشمولهم بقوانين حماية الاقليات. وبعد سنوات قليلة لم يعد الكُرد شركاء وحلفاء بل و أُنكر عليهم حتى وجودهم ككُرد. قبل الحرب كانت كُردستان مقسمة بين العثمانيين والفرس، اما الآن فهي موزعة بين تركيا وايران والعراق وسوريا وهي من اقوى الكيانات في غرب آسيا.

ثورات العشرينيات والثلاثينيات

بنهاية ١٩٢٢ اسس عدد من المندوبين الكُرد مثل يوسف زيا من بتليس والكولونيل خالد بك من جبران لجنة للاستقلال الكُردي في ارضروم وتكون لها ارتباطات في مدن دياربكر وبتليس واورفه وسيرت والازك..الخ وانضم الى الجمعية هذه ضباط من ذوي الرتب العالية مثل الجنرال احسان باشا وكذلك مثقفون وحرفيون. اما في كُردستان فقد ازدادت المخاوف بأن الحكومة التركية الجديدة ستتبنى سياسة الاتحاديين في التعامل مع القضايا الكُردية ودفعت هذه المخاوف بالعديد من الشيوخ والاغوات الى الانضمام الى الجمعية في ١٩٢٣ ، ومن هؤلاء الذين انضموا اليها الشيخ سعيد بيران وشريف بالو والشيخ عبدالله ملكان.

كان مصطفى كمال الاتحادي الذي لعب دوراً في انقلاب ١٩٠٨ مقتنعاً بأن بناء أمة تركية مرهون بتصفية الأرمن اولاً وصهر الكُرد ثانياً. ان غوقلب Go Kalp نفسه وضع اسس الدولة العصرية التي هي تعبير عن شعب موحد لايقبل القسمة. في الثالث من آذار ١٩٢٤ الذي هو يوم الغاء الخلافة صدر مرسوم يلغي جميع المدارس والاتحادات والمطبوعات والمدارس الدينية والطرق الصوفية الكُردية. ان القطيعة بين الكُرد والكماليين باتت واضحة.

وبين الاعوام ١٩٢٥ و ١٩٣٩ كانت الهمجية العسكرية التركية ضد الكُرد على درجة بحيث انها أوقدت الشرارة لثورات وانتفاضات في ١٩٢٥ كانت ثورة شيخ سعيد بيران ثم جاءت ثورة رامان ورشي كوتان الواقع بين سيرت ودياربكر.

وفي الفترة من ١٩٢٦ الى ١٩٢٧ جاء دور هتش وفورتو Vorto

وسولهان وبنغول وكنجي لينتفضوا ضد الترك. وشهدت سامسون وكوزلوك وبيروري انتفاضات في ١٩٢٨. وفي الفترة الممتدة بين ١٩٢٨ و ١٩٣٢ اندلعت انتفاضة في أرارات . وفي الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ جاء دور درسيم للانتفاضة. باستثناء ثورة شيخ سعيد وارارات كانت بقية الانتفاضات محلية وذاتية لم تجد السلطات صعوبة في القضاء عليها.

انتفاضة ١٩٢٥

كانت جمعية استقلال كُردستان تعد العدة لرنتفاضة شاملة منذ تأسيسها. عقدت المنظمة علاقات مع الشيوخ والاغوات ومع الكُرد المهاجرين في اسطنبول وحلب وكرسّت الفترة من ١٩٢٣ الى ١٩٢٤ للتعبئة والاستعداد العسكري. في نهاية صيف ١٩٢٤ توجه يوسف زيا مندوب بتليس الى اسطنبول للاتصال بالمعارضين الترك للنظام الكمالي الذين تكتلوا حول الحزب الجمهوري التقدمي. وبعد أيام قليلة من عودته الى ارضروم اندلع تمرد شمال بتليس. كانت الحكومة على علم بتحركات يوسف و القت القبض عليه بدعوى تورط شقيقه في التمرد، حاولت الحكومة القضاء على الثورة وهي لاتزال في مهدها. وفي تشرين الاول ١٩٢٤ قدم يوسف وخالد بك المنظم العسكري للحركة وعدد اخرون من القادة الكُرد الى محكمة عسكرية في بتليس.

الآن جاء دور الشيخ سعيد بيران ليدلي دلوه في الأحداث وبدأ بتعبئة الجماهير في دياربكر والازك وكنجي ودار هيني للانتفاضة ضد الترك.

لقد كانت الحكومة والشيخ يريان أن لا مفر من اختبار للقوى. وشنت القوات التركية سلسلة من العمليات الاستفزازية لإشعال الثورة التي لم

تستكمل استعداداتها بعد، وصلت وحدة صغيرة الى قرية بيران لإعتقال عدد من اتباع الشيخ. اتصل الشيخ بقائد الوحدة وطلب منه عدم اعتقال أي شخص خوفاً من تفجير الاوضاع كُرد فعل على العملية، هجم القرويون الغاضبون. على الوحدة وابادوها عن بكرة ابيها، انسحب الشيخ الى الجبال وهو يحاول منع تطور الحادثة الى ثورة لم تستكمل الاسباب لها بعد، قبل وصوله الى دارهيني هاجم الكُرد الذين وصلتهم اخبار حادثة بيران الموظفين وضباط الجيش ولم يجد الشيخ مناصاً في اعلان الثورة.

وفي ١٤ شباط ١٩٢٤ صدر أمر يجعل من دارهيني العاصمة المؤقتة لكُردستان واصبح الشيخ الثائر القائد الاعلى للقوات الكُردية. وفي ٢٦ شباط تم الاستيلاء على حامية كربوط (الازك) وغنموا كمية من الاسلحة. وفي غضون شهر من الزمن استولت القوات الكُردية على مناطق شاسعة تقدر بحوالي ثلث مساحة كُردستان تركيا وضربوا الحصار على ديار بكر. وفي نفس الوقت كانت قوات اخرى تقوم بالاستيلاء على شمال بحيرة وان وتقدمت نحو ارارات وبتليس. ولكن قبل ان تصل هذه القوات الى مسافة قصيرة من بتليس كان قد تم اعدام يوسف زيا وخالد بك ورفاقهما من قبل السلطات التركية. اعلنت الحكومة التعبئة العامة وارسلت ٨٠,٠٠٠ جندي الى المنطقة. وبموافقة الحكومة الفرنسية وصلت قوات جديدة قادمة من الاناضول عن طريق سكك حديد شمال سوريا واحاطت بالقوات الكُردية التي تحاصر دياربكر المحصنة جيداً بعدة ارتال من المدفعية التركية. وتم القضاء على الإنتفاضة بشكل تام منتصف نيسان والقي القبض على بعض من قادتها ولاذ البعض الاخر بالفرار الى ايران واحتموا بالزعيم الكُردي سمكو واختبأ آخرون بين كُرد العراق .

كانت الانتفاضة قوية وحازت على الدعم الشعبي كما يشهد على ذلك المراقبون الترك. وكان القمع الذي اعقب القضاء عليها دموياً ورهيباً . في ٤ ايلول ١٩٢٥ تم اعدام الشيخ سعيد و ٥٢ من اعوانه في دياربكر وتم ابادة الالوف من القرويين ليكونوا عبرة للآخرين وتم احراق مئات القرى وفي الخريف جرى اعدام ٤٠٠ كُردي في الازك و ١٠٠ في هنش.

وامتد القمع واتسع نطاقه ليشمل المعارضة التركية وصدر قانون اعادة الأمن والنظام يمنح الموظفين التنفيذيين صلاحيات واسعة تخولهم حظر التنظيمات والحركات والمطبوعات من شأنها الاضرار بأمن البلاد واستقرارها او تذكّي روح التمرد وشمل الحظر الاتحادات العمالية وحتى الحزب الجمهوري التقدمي المعارض، و وجهت الاتهامات الى جنرالات من النظام بالخيانة و التواطؤ ومن هؤلاء كارابكر باشا الذي اتهم بإجراء مراسلات مع الشيخ سعيد وتم اعدام بعض منهم رغم كونهم محاربين قدامى في الاتحاد، يقول إ.ح.سي ارمسترونج الملحق العسكري البريطاني السابق في تركيا بأن هذه المحاكم العسكرية نشرت الرعب في كُردستان وان كلمة عابرة او همسة كانتا كفيلتين بدفع اصحابها الى ايدي الجلاديين.

عندما كان النظام الكمالي يسجن ويشنق ويقتل الكُرد لأنهم طالبوا بدولة لهم فانه كان يعرض الحركة الكُردية على العالم على انها حركة دينية يهدف القائمون عليها اعادة الخلافة الاسلامية والحكم العثماني البغيض. وادّعى الكماليون زوراً ان البريطانيين يساندون الكُرد لخنق تركيا التقدمية الجديدة.

إنطلت هذه الاقاويل على العالم وفعلت التأثير الكبير. ولكن هل لهذه الادعاءات أيّ اساس من الصحة؟ رفعت بعض الشعارات الدينية إبان

ثورة الشيخ سعيد ولكن يجب أن لاننسى بأن مصطفى كمال نفسه رفع شعارات دينية أيام الحرب التحررية. فهل كان مصطفى كمال يقاتل من اجل ترسيخ الخلافة وأن حربه كانت دينية؟. ومع أن بعض رموز النظام البارزين من امثال فوزي باشا و غيره كانوا من المتدّينين فان الحركة الكمالية لم تكن دينية بأي شكل من الاشكال والشيء نفسه يقال عن ثورة الشيخ سعيد بيران. انه وإن كان رجل دين جليل من الطريقة النقشبندية فان الهدف من انتفاضته كان تحرير كُردستان.

قد يتساءَل المرء عن اسباب عدم اندلاع ثورات مثل ثورة الشيخ سعيد في الاناضول . اتهم الشيخ بمحاولة اقامة دولة كُردية ، اما بخصوص تورط بريطانيا في الثورة فان الكماليين لم يستطيعوا ابداً برهان ذلك. ولكن الأمر المؤكد ان تركيا الكمالية حصلت على مساعدة فرنسا الاستعمارية وذلك بالسماح لقوات اتاتورك بإستخدام خط سكك حديد شمال سوريا لنقل القوات والالتفاف على قوات الشيخ التي كانت تحاصر دياربكر.

القومية كانت في صلب الموضوع، كتب نهرو حول الموضوع قائلاً بأنه يستغرب كيف ان الترك الذين قاتلوا مؤخراً لنيل استقلالهم يقومون بسحق الكُرد الذين مثلهم حاولوا نيل حريتهم وكيف ان قومية دفاعية تنقلب الى قومية عدوانية وكيف ان النضال من أجل الحرية يتحول الى كفاح للهيمنة على الاخرين.

ثورة ارارات

بعد سحق ثورة ١٩٢٥ تولى الزعماء العشائريون من امثال يادو من بالو وعلي يونس من صاصون الدفاع عن السكان المدنيين من القمع الوحشي الذي نفذه القوات الكمالية واستطاع هؤلاء الرؤساء من الحاق خسائر

جسيمة بالقوات التركية الاستكشافية، المستطلعة.

.. بدأت الحكومة بالتفكير في وسيلة لجعل كُردستان تجثم على ركبتيها فلم تجد ضيراً من تجريدها من سكانها، بين ١٩٢٥ و ١٩٢٨ جرى ترحيل نحو مليون كُردي ومات عشرات الالوف منهم اثناء الرحلة المضنية بسبب الجوع والتعب نتيجة السير لمسافات طويلة في عز الشتاء وعلى ارض مغطاة بالثلوج.

اما الكُرد الذين افلحوا في الهروب الى ايران والعراق بعد انهيار ثورة الشيخ سعيد في ١٩٢٥ فقد بدأوا بجمع شتاتهم حول أرارات استجابةً لنداءات «خويبون» الاستقلال التي هي جميعة قومية كُردية تشكلت حديثاً في لبنان من قبل مثقفين ورؤساء كُرد.

في المؤتمر المنعقد في بحمدون اللبنانية في أب ١٩٢٧ اجتمع جميع ممثلي الاحزاب والتنظيمات الكُردية مثل جمعية النهضة الكُردية السياسية والجمعية الاجتماعية الكُردية واستقلال كُردستان.. الخ. اتفقوا جميعاً على الاتحاد وحضر جلسات المؤتمر رئيس حزب الطاشناق الارمني فاهان بابازيان وكان لهذا الحضور اهمية كبيرة للكُرد الذين كانوا يبحثون عن اي مصدر للدعم.

اصبحت بريطانيا الأن تسيطر على حقول نفط ولاية الموصل وفرنسا اصبحت على علاقات جيدة مع انقره. ومع ذلك فان القوى العظمى لازالت تؤمن بأن الغرب المتمدن يمكن له مساعدة الكُرد. ولكن ماذا ترمز إليه هذه المساعدة؟ إنها تعني أن الغرب الاستعماري سيكون قادراً على ممارسة نفوذه على القادة الكُرد واستخدامهم كورقة مساومة في أية مفاوضات نهائية مع تركيا. ويبدو ايضاً أن الطاشناق الأرمني يتمتع بمساعدة وحظوة اكبر من لدن القوى الغربية لأنه يكافح من اجل تحرير

ارمينيا التركية ولسبب آخر هو انه يكافح ضد السيطرة الروسية على ارمينيا الروسية التي طرد منها الطاشناق في ١٩٢٠. وفي هذا الخصوص تتفق مصالحه ونشاطاته مع مصالح خصوم الاتحاد السوفيتي.

ومما يجدر بالذكر أن طاشناق لم تعد له أيه قاعدة جماهيرية في كُردستان في الوقت الذي كان «هيبون» يتمتع بدعم شعبي واسع ولكن لم تكن لديه المصادر المادية التي تمكنه من مواصلة برامجه السياسية.

قد يعود الفضل الى هذا الاتفاق بين الكُرد والارمن أن وقع الاختيار على منطقة ارارات القريبة من ارمنيا السوفيتية لتكون مركزاً لإنطلاق انتفاضة جديدة. وربما كان وراء هذا الاختيار عامل آخر وهو قربها من الايرانيين الذين وعدوا بمد يد العون الى الحركة. كان الشاه يرمي من وراء دعم الكُرد اضعاف غريمة تركيا. كما ان سيطرته على الحركة الكُردية من خلال مساعداته لها ستمكنه ايضاً من القضاء على الثورة الكُردية التي كانت تهدد بالاندلاع بقيادة سمكو.

انتاب القلق الحكومة التركية حيال هذا النمو السريع للعلاقة بين الكُرد والأرمن ودخلت في مفاوضات مع الزعماء الكُرد الذين طالبوا بإعادة الكُرد المنفيين الى اوطانهم. وافقت الحكومة على ذلك وعاد عدد من هؤلاء الزعماء والتحقوا بالثورة وفضل عدد آخر مغادرة البلاد والذهاب الى سوريا. وفي ١٩٢٩ سيطرت قوات الجنرال احسان نوري باشا على مساحة تمتد في ارارات الى شمال وان و بتليس وحاول اطالة المفاوضات مع الحكومة وهو يوسع رقعة نفوذه. كما تم تنظيم إدارة مدنية بقيادة ابراهيم باشا هسكي طلو وبدأ العلم الكُردي يرفرف على المباني.

أدركت انقرة ان الوقت يعمل لصالح الكُرد وبدأت بتجميع قواتها في مايس ١٩٣٠، وفي ١١ حزيران بدأت فرقتان من الجيش بقيادة صالح باشا. هجوماً كبيراً وبعد شهر من القتال منيت القوات التركية بخسائر كبيرة واستولى الكُرد على ٦٠٠ مدفع رشاش و ٢٤ مدفع واسقطوا ١٢ طائرة واسروا ١٧٠٠ جندي.

طلبت تركيا مساعدة ايران لاخماد الثورة فقام الشاه بقطع مساعداته عن الكُرد وتحركت القوات التركية داخل الاراضي الايرانية واحاطت بالقوات الكُردية. وفي ٢٣ كانون الثاني وقع البلدان اتفاقية حصلت تركيا بموجبها على اراضي حول ارارات وحصلت ايران على مناطق حول وان.

تم تطويق الثورة الكُردية واخمادها نهاية صيف ١٩٣٠ تمكن البعض من قادتها من الفرار بينما تم القاء القبض على الاخرين واعدموا. ويقول إن راحبوت ان ١٠٠ كُردي في وان تم وضعهم احياءً في اكياس والقي بهم في البحيرة. ان العنف الذي انطلق في كُردستان قبل ٥ سنوات عاد بشكل اكثر همجية.

استمرت الطائرات بقصف القرى وحرقها لعدة اشهر بعد اخماد الثورة وصدر قانون ينص على عدم محاسبة أي مسؤول عن اعمال القتل التي حدثت في كُردستان، القانون رقم ١٨٥٠ ينص على: الاغتيالات والاعمال الاخرى التي ارتكبت بشكل فردي او جماعي من ٢٠ حزيران ١٩٣٠ الى ١٠ كانون الاول ١٩٣٠ من قبل ممثلي الدولة والولايات او الجيش او السلطات المحلية ومن قبل المليشيات اثناء فترة الثورة وأثناء اخمادها في ارجس وزيلان وآكري داغ (ارارات) والمناطق المجاورة بما فيها بولومور وارزنكان لاتعتبر جرائم وكذلك المناطق التابعة للمفتشية الاولى والتي تشمل دياربكر والازك و وان وبتليس وماردين وسيرت.

وبحلول صيف ١٩٣٠ تم القضاء على ثورة ارارات. ان القانون يبين حجم و وحشية عملية تهدئة كُردستان التي قتل فيها الالوف ودمرت مئات القرى والتي شملت مناطق لم تصلها الثورة.

صرح وزير العدل محمود عزت حول الموضوع اننا نعيش في دولة تسمى تركيا وهي احدى اكثر بلدان العالم حرية، استطيع التعبير عن افكاري بحرية واعتقد بأن الترك يجب ان يكونوا هم اسياد البلاد الوحيدون، اما هؤلاء الذين ليسوا تركاً فلهم حق واحد فقط في هذا البلد- انه حق ان يكونوا خدماً وعبيداً لاغير.

ان بعضاً من اللوم لفشل ثورة ارارات يقع على كاهل القيادة الكُردية حيث بدأوا بالثورة قبل تهيئة الموقف السياسي وقبل الحصول على الموارد والمواد الضرورية. كما ان قصر النظر عند «خويبون» شجع على علاقات اكثر قوة بين تركيا وايران وبين تركيا والاتحاد السوفيتي. ولكن اذا علمنا ان حملة القمع شملت كل كُردستان وليست المناطق الثائرة فقط فانه من الممكن القول ان ثورة ارارات اتخذت ذريعة من قبل انقرة للتسريع في برنامجها للصهر القومي للكُرد.

أما صحافة الغرب فقد اعطت اهتماماً قليلاً الى احداث كُردستان بإستثناء الاشتراكية العالمية التي اعلنت عن موقفها حول الاحداث وتبنت القرارات في ٣٠ آب ١٩٣٠. إن منظمة الاشتراكية الدولية تلفت انظار العالم الى المجازر التي ترتكب من قبل الحكومة التركية. الكُرد المسالمون الذين لم يشتركوا في الثورة يُبادون كما أبيد الارمن قبل ذلك. ان القمع فاق كل الحدود وكل المقاييس. ولكن الرأي العام الرأسمالي لم يحتج بأي شكل من الاشكال ضد هذه الوحشية الدموية، ودخلت الاعمال القمعية الوحشية مرحلة جديدة عندما صدر قانون يقضي بترحيل الكُرد و تحدد

اربع مناطق في تركيا من قبل وزير الداخلية ويوافق عليها وزراء اخرون:

١- المنطقة الاولى وهي المناطق التي يراد لها زيادة كثافة سكانية تركية.

٢- المناطق التي يراد لها صهر سكانها في الثقافة التركية.

٣- المناطق التي سيأتيها مهاجرون ترك ويقيمون فيها دون تلقي المساعدة من الحكومة وتشمل اخصب مناطق كُردستان.

٤-المناطق التي ستتم تخليتها وتلك التي ستغلق لأسباب الصحة العامة وسياسية وأمنية وتشمل المناطق الوعرة التي يصعب الوصول اليها.

ان المسودة الجديدة للقانون شملت غالبية الشعب الكُردي ليتم ترحيلهم وتشتيتهم في الاناضول وتوطين المهاجرين الترك محلهم. وان الكُرد الذين سيتم اسكانهم في مدن وبلدات يجب ان لا تزيد نسبتهم الى سكان هذه المدن والبلدان العشر (١/١٠) الذين يتحدثون الكُردية فقط عليهم ان لايشكلوا احياء او قرى او تجمعات حرفية.

ومنذ شتاء ١٩٣٢ تم ترحيل عدة مئات من الالوف من السكان في مسيرة مأساوية عبر الاناضول في احدى اشد البقاع وعورة وبرداً برفقة ارتال من الجيش، ان قلة الموارد هي التي منعت السلطات من تهجير جميع سكان كُردستان.

وبنهاية ١٩٣٥ وضعت نهاية لعمليات التهجير الجماعي بسبب قيام ثورة درسيم. كانت درسيم في الثلاثينيات الحصن الاخير لكُردستان والتي كانت في حرب مع السلطات منذ ١٩٢٥. المواجهة كانت لابد منها لأن درسيم هي ضمن المجموعة الرابعة المشمولة بالتخلية التامة.

كانت درسيم حصناً ومعقلاً في قلب منطقة جبلية احتفظت لنفسها بنوع من الحكم الذاتي وسكانها لم ينضموا الى ميليشيات الحميدية. كما انهم رفضوا المشاركة في الحرب الروسية التركية وفي الحرب الاولى أو

في حرب الاستقلال التركية. كان لدرسيم ٥ مندوبين في البرلمان.

اعلنت الدولة الحصار على درسيم في ١٩٣٦ وبدأ الحاكم العسكري الجنرال الب دوغان فتح الطرق العسكرية واصدر بياناً يطلب من سكان درسيم تسليم ٢٠٠.٠٠٠ قطعة سلاح الى الحكومة.

سبق لسكان درسيم وان سمعوا بما حل بالمناطق الاخرى من كُردستان من اعدامات وتهجير والعمل الاجباري لبناء الطرق. لكل هذا فانهم كانوا عازمين على المقاومة حتى النهاية، اعلنت الحكومة التعبئة و جمعت القوات في منطقة درسيم. وكان رئيس الوزراء عصمت اينونو باشا يزور المنطقة لتفقد القوات وفي ربيع ١٩٣٧ حدث امتحان لميزان القوى. ولكن هذه الحرب تختلف عن سابقاتها لعدم وجود جبهات ومعارك بين وحدات كبيرة. الناس كانوا يؤمنون بعدالة قضيتهم وعلموا أن مصيرهم اصبح على المحك. حرب العصابات اصبحت اسلوب القتال السائد. نهاية ١٩٣٧ ورغم استعمال الطائرات والمدفعية لم يحقق الجيش أية نتائج ملموسة على الساحة.

ومع ان قادة الثورة كان يتم قتلهم غيلة فان الثورة استمرت بضراوة واضطرت الحكومة الى حشد ثلاث فرق عسكرية ومعظم القوة الجوية وقطعت كل اشكال الامدادات الغذائية والصحية عن المنطقة واستمر القصف المدفعي والجوي بشكل متواصل. واصل اهالي درسيم مقاومتهم البطولية المنقطع النظير الى أن نفدت لديهم الذخائر أواخر تشرين الاول ١٩٣٨.

دفع الجيش التركي ثمناً باهظاً لحملته هذه وللانتصار الذي حققه وكان الانتقام أشد عن ذي قبل حيث حوصر الناس رجالاً و نساءً واطفالاً في الكهوف والاصطبلات وأحرقوا فيها احياءً طوقت الغابات

وأضـرمت فيـها النيران لاخـراج من كـان يختـبئ فـيـها. حدثت حـالات انتـحـار جـمـاعـية حـيث رمت الكثـيرات من الفـتـيات والنسـاء الكُرديات بانفسهن الى نهر مونزور. لقد جرى تدمير درسيم تدميراً شاملاً.

قدر الحزب الشيوعي التركي اعداد المرحلين او المقتولين خلال ١٣ سنة من القمع والإبادة والتهجير بين ٥٠٠,٠٠٠ الى مليون كُردي. اما نظام انقرة فقد منع دخول الاجانب الى المنطقة الى ١٩٦٥ وكانت المنطقة تحت حصار شديد استمر الى ١٩٥٠، منع استعمال اللغة الكُردية وازيلت كلمتا كُرد و كُردستان من القواميس وكتب التأريخ وبدأ استعمال مصطلح «ترك الجبل» كناية عن الكُرد.

ملاحظات عن السياسة الكمالية

قد يتساءل البعض منا على النحو الذي فعله نهرو كيف أن قومية دفاعية «مدافعة» تتحول الى قومية عدوانية. كيف ان الذين ذاقوا المذلة والهوان و كسبوا حريتهم بنضال شاق يتحولون الى حكام مستبدين جائرين؟

عند بداية القرن وفي ظل الامبراطورية كـان مصطلح «الترك» تعبيراً ينم عن التحقير والهوان وهو يقصد به فلاحين غلاظ القلوب غير متمدنين واعتبرت الايديولوجية التركية اتجاهاً خطيراً وتطرفاً. حذفت كلمة «ترك» من المخاطبات خشية ظهور وعي قومي متطرف يغلب الوعي العثماني ومفهوم الامة. هذا الازدراء للترك هو الذي مهد الطريق والأرضية الملائمة لظهور قومية تركية استعلائية وعدوانية. لم يلق هذا التيار أي قبول او احترام إلاّ بعد انتصار الكمالية التي اصبحت الايدولوجية الرسمية للدولة. ان الازدراء والهوان اللذين عانى منهما الترك حولاه الى اناس متعالين يحملون الحقد و الضغينة للاقوام الاخرى.

اعلن القادة القوميون في انقرة ان الترك هم اشجع و انبل خلق الله. رفعت اقوال اتاتورك في المدارس ونقشت على واجهات الأبنية كأن يكتب «التركي جدير بامتلاك العالم كله» او «يا لسعادة من يسمي نفسه تركياً».

في ١٩٣٠ وما بعدها اخذت هذه الشعارات الشوفينية تجد لها سنداً في التأريخ التركي الاسطوري. وبعد ان اوضحوا بان الترك هم من نسل «الذئاب الرمادية» في وادي ارغنكون Ergenekon في آسيا الوسطى وانهم من اصل أري فان معهد التأريخ التركي إدعى ان الحضارات السومرية والفرعونية والبابلية والليدية والحيثية جميعها من صنع الترك. كما جرى التأكيد على الاصول التركية لكل من اتيلا Attila وجنكيزخان وهولاكو ولايزال هذا التأريخ المختلف يدرس في جميع مدارس تركيا ولا احد يشك في صحة صوابها الا عدد قليل من المثقفين والباحثين.

أما فيما يتعلق بالكُرد فان هذا التأريخ يبين انهم ايضاً من اصل طوراني وانهم قدموا من اسيا الوسطى قبل ٥٠٠٠ سنة. واذا كانوا اليوم يتحدثون بلهجة! فانها مجرد مزيج من التركية والفارسية والعربية والارمنية ونتج هذا بسبب عزلتهم بين الجبال التي ادت الى نسيانهم للغة الام ووقعوا تحت تأثير جيرانهم الفرس والعرب.

إن تيكن ألب Tekin Alp أحد الايدولوجين الرسميين يقول ان المنهج الكمالي ومنذ ظهوره اتخذ من القومية التركية المثل الاعلى له. هذه القومية الشوفينية المتغطرسة والعدوانية هي التي واجهت الكُرد بما ان الكُرد كانوا الاقلية الوحيدة الموجودة داخل حدود تركيا فانهم كانوا الوحيدون من ابناء جنس متدن تستطيع القومية التركية صهرهم والهيمنة عليهم. وهل من برهان اكبر على سمو وعظمة الشعب التركي

العظيم من انتصارات باهرة احرزها على شعب اعزل من السلاح مثل الشعب الكُردي؟

في مرحلة تأكيد الذات احتاجت القومية التركية هذا النمط من الروح العسكرية التي تركت اثارها المدمرة على كُردستان. الحكام الترك القوميون المتعصبون احتاجوا الى حروب ولكن الاقطار المجاورة لهم كانت اما محميات انكليزية او فرنسية أو أنها كانت دولاً قوية بذاتها مثل الاتحاد السوفيتي ولذلك فهم لم يجدوا غير الشعب الكُردي الاعزل في كُردستان ليصبوا عليهم جام غضبهم وحقدهم. فقاموا بمحاولة صهر الكُرد وتهجيرهم وشن حروب عليهم على نمط الحروب الاستعمارية. ان حملات الجيش التركي في كُردستان كانت تذا ع ليل نهار لترهيب الشعب التركي وللقضاء على أية نزعة تمردية على النظام في انقرة.

ان الفكر الكمالي وصاحبه كمال اتاتورك يتمتعان بسمعة جيدة في الخارج لانهما في نظر الغربيين تقدميان.

يقول تيكن الب Tekin Alp في معرض تمجيده للحركة الكمالية انها ثورة اصيلة اتت بمنهج عقلاني ليس فيه مكان للعواطف الهائجة ولاتدمير للممتلكات ولا عداوات متعطشة لاراقة وسفك الدماء بين الطبقات والاحزاب.

*ادعى النظام الكمالي انه ينبذ السياسة الطبقية والامتيازات ولكن مصير الفلاح بقي على ماكان عليه في العهد العثماني ضرائب تثقل كاهله، لا إصلاح للارض ولامدارس وهو واقع فريسة لإبتزاز المرابين والملاكين، الاصلاحات الكمالية شملت استيراد التقويم الغريغوري الغربي والتوقيت الجديد والطراز الغربي للملابس وقانون العقوبات الايطالي. حاولت البرجوازية التركية مجاراة البرجوازية الاوروبية.

إن الغاء الخلافة واعلان الجمهورية كان من بين اهم الخطوات التي اتخذت من قبل النظام. ولكن في ظل الحكم الجمهوري الجديد كانت لمصطفى كمال سلطات شخصية لم يمتلكها أي سلطان عثماني منذ القرن التاسع عشر.

ابدى الناس معارضتهم للنظام كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. منذ ١٩٣٠عرف كمال اتاتورك بالقائد الخالد وهذه صفة لا تختلف عن صفة فوهرر النازي الهتلري. وجاء بعده عصمت باشا وخلع على نفسه لقب قائد الأمة. كانت الوزارات تأتي وتذهب باشارة من القائد وكانت عليها تنفيذ ما يقرره القائد.

كان الحزب الجمهوري الحزب الوحيد في دولة الحزب الواحد وهو يدعي تمثيله لكل الطبقات والشرائح الاجتماعية، ولكنه في واقع الامر كان يمثل مصالح البرجوازية التركية والبيروقراطية المدنية والعسكرية العليا. منذ ١٩٣٦ كان رئيس الجمهورية هو نفسه رئيس الحزب و نائب رئيس الجمهورية هو نائب لرئيس الحزب و وزير الداخلية هو سكرتير عام الحزب وفي الولايات يترأس الوالي ويرعى فروع الحزب.

في حزيران ١٩٣٦ تبنت الحكومة قانون العمل الموسوليني وتم تبني قانونين آخرين من ايطاليا لتعزيز امن الدولة في وجه الشيوعية والفوضوية. كما تم حظر الاتحادات التجارية وحق الاضراب وخولت الدولة اصحاب العمل تشغيل العمال لمدة ١٣ ساعة في اليوم. كما جرى اعتقال زعماء العمال والشيوعيين.

سنوات الهدوء

بعد سقوط ثورة درسيم لم تحدث انتفاضات اخرى كبيرة في كُردستان. عسكرة المنطقة والقتل والتهجير كان لها اثر مدمر ومخيف على السكان. الثورة لم تعد الطريقة المثلى للتحرير. كتب مراسل جريدة سان بوست San Post الذي زار المنطقة الكُردية عام ١٩٤٨ قائلاً: سافرت الى تونجلي (درسيم) ووجدت المكان كئيباً. الشرطة وجامعوا الضرائب هم الموظفون الوحيدون الذين يعرفهم سكان المنطقة. حاولت الالتقاء بالناس لمعرفة اسلوب حياتهم ولكن وللأسف الشديد بقي القليل من فترة ما قبل الحرب. لم يعد هنالك حرفيون ولا تجارة ولا ثقافة . ألتقيت باشخاص عاطلين تدور حياتهم كلها حول قطيع صغير من الماعز. لا اثر لاي مدنية في المنطقة ولا توجد مدارس ولا يوجد اطباء او مستشفيات والسكان لا يعرفون سوى الشرطة وجامعي الضرائب. لم نعط سكان درسيم شيئاً. اننا اخذنا منهم كل شيء .لا يحق لنا معاملتهم على هذه الصورة.

بعد الحرب الثانية التي لم تشترك فيها تركيا اجبر السخط الناجم من المجاعة التي عصفت بالمنطقة الكُردية والاجراءات القاسية المفروضة على المواطنين في الفترة من ١٩٤٠ الى ١٩٤٥ حكومة قائد الامة عصمت اينونو على اتخاذ جملة من الخطوات الليبرالية. كان لانحسار القوى الفاشية في العالم بعض الدور في هذه الاجراءات. كانت الحكومة تريد التقرب من بريطانيا والولايات المتحدة على امل الحصول على مساعدات مالية وعسكرية لحماية نفسها من الخطر السوفيتي فاضطرت الى اظهار النظام بثوب ديمقراطي.

في ١٩٤٦ ظهر عدد من الاحزاب السياسية وسمح للصحافة لبعض الوقت بالعمل بشكل حر. ان حزب العمال والفلاحين الاشتراكي استطاع

كسب الوف الاعضاء في بحر اشهر قليلة من الزمن . اقلق النمو السريع للحزب السلطات فقررت منعه من ممارسة العمل السياسي.

وفي انتخابات ١٩٥٠ وهي الاولى التي جرت بشكل حر في تأريخ تركيا جاء الحزب الديمقراطي الى الحكم بعد موجة كاسحة من الدعم الشعبي له . تأسس الحزب قبل اربع سنوات من قبل الملاك الكبير عدنان مندريس وجلال بيار الذي كان رئيساً للوزراء في عهد اتاتورك وكانا مدعومين من قبل اناس بيروقراطيين منشقين. ايدت الجماهير هذا الحزب لا بسبب برامجه و لا حباً لمقاومته بل رداً على الحكم الكمالي البغيض الرهيب.

إن انتصار الحزب كان في الحقيقة انتصاراً للبرجوازية التي باتت قوية الى درجة بحيث اصبح في امكانها العمل بدون القيود والضوابط التي تلجأ اليها البيروقراطية العسكرية.

ان تاسيس نظام برلماني تعددي وانتصار الحزب الديمقراطي كان نصراً لتركيا ولكُردستان على حد سواء كانت كُردستان معقلاً للحزب. اختفى القمع البوليسي و العسكري. التركي والكُردي كلاهما ناخب اليوم ومن الضروري تجنب اغاظة اي منهما خشية خسارة اصواتهم سمح للقادة الكُرد المنفيين بالعودة الى بيوتهم واعيدت اليهم اموالهم وممتلكاتهم وحاول الديمقراطيون كسب ودهم واصبح عدد من هؤلاء نواباً بل وحتى وزراء. بدأت الطرق والمدارس والمستشفيات بالظهور في كُردستان.

بدأت الامبريالية الامريكية بالتغلغل في تركيا في ١٩٤٨ تحت خطة مارشال واصبحت تركيا في عهد مندرس تئن تحت وطأة الدين.

البرجوازية بسبب قلة الخبرة لديها و افتقارها الى التكنولوجيا كانت

بحاجة الى العون الخارجي وفي ١٩٥٧ كانت تركيا على شفا الافلاس المالي.

مقابل العون الامريكي لها ارسلت تركيا عدة الاف من الجنود (بينهم كُرد) للقتال الى جانب الامريكيين في كوريا. كما انها انضمت الى حلف الناتو NATO في الثاني من شباط ١٩٥٢ وجعلت من نفسها مكاناً متقدماً للامبريالية جنوب الاتحاد السوفيتي. وفي ٢٦ شباط ١٩٥٤ خولت تركيا الولايات المتحدة باقامة قواعد ومراكز اتصالات في طول البلاد وعرضها بما في ذلك كُردستان. وفي ١٩٥٥ وقع مندرس حلفاً مضاداً للشيوعية والكُرد سمي بحلف بغداد مع كل من العراق وايران وباكستان وبريطانيا، حلت هذه المعاهدة الجديدة محل ميثاق سعد اباد الذي كان قد وقع مع نفس الفرقاء ولنفس الغاية في ١٩٣٧.

ومع ان الولايات المتحدة كانت حاضرة في كل نشاطات الحلف وقراراته العسكرية فانها ارتأت انه من الأصوب سياسياً لها عدم الانضمام اليه (كان ضابط امريكي يترأس اللجنة العسكرية) وبعد انقلاب عام ١٩٥٨ في العراق وإنسحاب العراق من الحلف غير الحلف اسمه من حلف بغداد الى الحلف المركزي (سنتو) الذي التزم بتقديم المساعدة العسكرية المشتركة في حالة وقوع اعتداء سوفيتي او ثورة داخلية تهدد الامن المشترك للبلدان المنطوية تحت لواء الحلف، وجاء اول تطبيق عملي له في اخماد ثورة «جوانرو» الكُردية في ايران ١٩٥٦ حيث اشتركت القوات الايرانية والعراقية في اخمادها.

أما بالنسبة للكُرد كانت هذه الفترة الديمقراطية بداية لتفكك الهياكل الاقطاعية في الريف. اصبح الملاكون اقل فاقل كُردية واكثر فاكثر ملاكين لهم امتيازات رأسمالية وقدرة على حشد الاصوات الانتخابية. انتقل

الكثيرون من الاغوات والشيوخ الى المدن واصبحوا اصحاب اعمال وشركات وتجار جملة واصحاب اسهم في البنوك. اما ابناءهم الذين تخرجوا من المدارس التركية والجامعات الامريكية فانهم في فترات لاحقة اصبحوا من دعاة ما يسمى بالسياسة «الشرقية» التي تعني دعم التغيير الاقتصادي و الثقافي في الشرق و يقصد به كُردستان اليوم.

ان بدايات السياسة «الشرقية» يمكن تتبع اصولها الى نتائج ثورة ١٩٥٨ في العراق التي اطلقت على نفسها لفترة وجيزة اسم جمهورية العرب والكُرد. اذاعات بغداد باللغة الكُردية والقاهرة واريفان ألهبت الحماس في كُردستان تركيا. بدأ الكُرد يدركون أن اقرانهم في البلدان الاخرى يعيشون مع غيرهم على قدم المساواة وان حاجز الصمت الذي اسدل على كُردستان بعد مجازر الثلاثينيات و العشرينيات قد تم رفعه.

اول مجموعة للشرقية قامت في دياربكر واصدرت نشرة يومية تحت عنوان «البلد المتطور» منذ ١٩٥٨، الصحيفة كانت تصدر بالتركية وركزت على التأخر السائد في الشرق وعلى قلة المستشفيات والمدارس والطرق واكتسبت جمهوراً واسعاً من المثقفين الكُرد.

وفي كانون الاول ١٩٥٩ اوقفت وزارة مندرس رؤساء التحرير وجميع الذين قالت عنهم الشرطة السرية «ميت» mit انهم من ذوي النزعة الكُردية وبلغ عدد هؤلاء ٥٠ شخصاً.

*.. قصد بهذه الاعتقالات تحويل الانظار عن الوضع الاقتصادي السيء وهبوط قيمة العملة ٢٢٠٪ وارتفاع الاسعار الشديد كل ذلك سبب سخطاً كبيراً وخاصة بين ذوي الدخل الثابت من الموظفين والعسكر الذين خسروا كثيراً من امتيازاتهم في ظل الجمهورية في عهد مندرس. كما ان الخلاف حول قبرص وشبح الانفصال الكُردي. ساعد في صرف

الانظار ولو بشكل مؤقت عن الاقتصاد المنهار. كان الجيش مستاءً جداً بسبب خسارته لنفوذه وكان يخطط لانقلاب لانقاذ الديمقراطية والثوابت الكمالية.

ان الانقلاب العسكري في ٢٧ مايس ١٩٦٠ كان انتقاماً للعسكر والبيرقراطية الكمالية الذين وصفوا انفسهم بالمنوريين وشكلوا لجنة عسكرية من المشاركين في تنفيذ الانقلاب لتحكم البلاد لمدة سنة ونصف وسمحت بمجيء حكومة مدنية لاجراء انتخابات في ١٩٦١.

لم يكن الانقلاب مرحباً به على الاطلاق وخشي الكُرد من عودة العسكر الى الحكم. واول اجراء قامت به اللجنة العسكرية الحاكمة هو وضع ٤٨٥ مثقف و وجيه كُردي في معسكر اعتقال اقيم لهم في سيواس حيث احتجزوا لمدة اربعة اشهر وتم نفي ٥٠ من المؤثرين منهم الى مدن تركية غربية لمدة سنتين. كما ان العفو العام الذي صدر بعد الانقلاب لم يشمل ٤٩ كُرديا كانوا رهن الاعتقال. ومن بين المراسيم الأولية للجنة مرسوم يقضي باستبدال الاسماء الكُردية بالتركية للقرى والبلدات الكُردية وقررت اقامة مدارس دينية ذات اقسام داخلية حيث يسهل تتريك الاطفال الكُرد بعد فصلهم عن محيط البيت في سن مبكرة، لقد كانت لهذه العملية اثار عكسية حيث تبين ان هؤلاء الاطفال الذين تثقفوا بهذا الاسلوب تحولوا الى كُرد قوميين. واقامت الحكومة عدة محطات للبث الاذاعي تذيع بالتركية على امل صرف انظار الناس عن الاذاعات الكُردية التي تبث في الاقطار المجاورة لتركيا. وصدر مرسوم عن اللجنة يخول الوزراء نقل الاشخاص المتهمين بالتورط في انشطة مؤذية للمصالح العليا للبلاد مع افراد عائلاتهم وحتى الدرجة الرابعة الى اماكن اخرى من البلاد اذا كان ذلك ضرورياً والمعنيون بالقرار هم الكُرد.

في ١٦ تشـرين الثـاني ١٩٦١ (المؤلف يذكـر ١٩٦٠) بشـهـرين على اندلاع الانتـفـاضـة الكُردية في العـراق بقـيـادة مـلا مـصطفى البـارزاني اصدر الجنرال كورسيل رئيس اللجنة العسكرية تحذيراً الى كُرد تركيا يهـددهم بأشـد العواقب اذا هم حـاولوا تقليـد ومـجـاراة اقـرانهم كُرد العراق. اذا لم يلتزم ترك الجبل بالهدوء فان الجيش لن يتردد في قصف مدنهم وقراهم وتسويتها بالارض وستكون هنالك حمامات دم تفرقهم وتزيل مناطقهم من الوجود.

منح الدستور الجديد لسنة ١٩٦١ بعض الحقوق الديمقراطية مثل حرية الصحافة وعمل اتحادات مستقلة للتجارة وحق عقد اجتماعات عامة وعدم تجاوز حقوق الافراد وحرية الدور والمسكن.

في ١٩٦٣ وفي تفسير ليبرالي للدستور منح حق الاضراب وحق الرأي الجماعي غير أن الحظر ظلّ قـائماً على تأسيس اتحادات اقليمية من شأنها بث الفرقة والانقسام في الامة.

تطورت الطبقة الوسطى في تركيا وهي اليوم تطمح ان تصبح قوة سياسية. اما الطبقة العاملة فهي الاخرى اصبحت اكثر اهمية من ناحية العدد وكذلك من الناحية السياسية. ان سياسة حكومة مندرس ادت الى حدوث تضخم هذه الطبقة البرجوازية الصغيرة واجبرتها على ولوج باب السياسة. اما المثقفون الكُرد فقد اوجدوا لانفسهم مراكز قوية في المدن. هذه الامور مجتمعة اكدت على ان الدستور الجديد كان شيئاً اكثر من كونه ورقة هامدة لاحياة فيها.

وفي الاسبوع الثاني من شهر شباط ١٩٦١ ظهرت ثلاثة احزاب تركية جديدة هي حزب العدالة وحزب تركيا الجديدة وحزب العمال التركي واسسه عدد من التجار الاتحاديين.

في ١٩٦٢ بدأت مجلة «عالم السلم» الليبرالية البرجوازية تنشر مقالات للكاتب موسى عنتر حول اللغة الكُردية والادب والفلكلور، وبما ان محرر المجلة احمد حمدي بشار كان مؤسساً ورئيساً لاتحاد الفرق التجارية والصناعية قبلاً ومؤسساً للاتحاد القومي لرجال الاعمال الترك ومقرباً في وقت سابق الى مصطفى كمال فانه لم يجر غلق المجلة.

شجب المثقفون اليساريون خيانة وعدم تحلي البرجوازية بالمسؤولية وجرت سجالات كلامية بين مجلة «عالم السلم» وجريدة الكماليين «يون» Yon . وفي ايلول من العام نفسه ظهرت مجلة باللغتين التركية والكُردية وسميت «دجلة والفرات» في اسطنبول. اصدر المجلة عدد من المثقفين المقربين الى عزيز اوغلو واصبحت رائجة وخاصة بين اوساط الطلبة ولكن سرعان ما اغلقت مع مطبوعات اخرى مثل «الصوت» Deng و «الطريق الجديد» Riye Newe.

وبعد تمزق شمل الحكومة الائتلافية الاولى في ٢٥ حزيران ١٩٦٢ بسبب انسحاب حزب العدالة منها تم تشكيل حكومة جديدة مع بقاء عصمت اينونو رئيساً للجمهورية وعهدت وزارة الصحة الى مندوب دياربكر وزعيم حزب تركيا الجديدة الدكتور عزيز اوغلو. وفي فترة عمله وزيراً للصحة اقام مستشفيات ومراكز صحية في كُردستان هي الاكثر من كل ما اقامتها الحكومات السابقة مجتمعة الامر الذي اكسبه شعبية. واخيراً اتهم امام البرلمان بالاقليمية والعنصرية الكُردية من قبل شاهد زور من رجال اينونو هو اج او بيكارة وزير الداخلية واجبر على تقديم استقالته من قبل البيروقراطيين الكماليين.

الشرقية كانت فترة انتقالية بعثت الحياة في الحركة القومية الكُردية. في دولة العراق المجاورة لتركيا حيث كان الكُرد يخوضون حرب تحرير

قومية و الاذاعات كانت تبث عن الكُرد وكُردستان.

وحتى الصحافة التركية التي منحها الدستور الحرية كانت هي الاخرى تنقل تفاصيل الحركة الكُردية بقيادة البارزاني على امل توسيع دائرة قرائها. متأثرين بتجربة كُرد العراق وبخبرات الحركات الاشتراكية والديمقراطية في تركيا اصبح المناضلون الكُرد راديكاليين يملأون صفوف اليسار التركي.

في ١٩٦٦ ظهرت اول جريدة اشتراكية كُردية بعنوان «التيار الجديد» في انقرة يحررها محمد علي ارسلان محامي من ارارات واصبح بعد مدة رئيساً لحزب العمال التركي، نشرت الجريدة مقالات حول المسألة الكُردية ودافعت عن (الاتحاديين) طبقة العمال التركية والكُردية ضد الطبقات الحاكمة تركية كانت ام كُردية.

دعت الصحيفة الى نظام اشتراكي بإعتباره الوسيلة الوحيدة لتحقيق العدالة والمساواة والسعادة للشعبين التركي والكُردي. كانت «التيار الجديد» Yeni Akis الصحيفة الاولى التي تحدثت عن الشعب الكُردي منذ تأسيس النظام الجمهوري لاقت الصحيفة رواجاً شديداً واقبالاً من قبل المثقفين و الشباب واعطت زخماً جديداً للحركة القومية الكُردية. قامت الحكومة بغلق الصحيفة بعد صدور عددها الرابع. بحجة ان استخدام الصحيفة لتعبير «الشعب الكُردي» كان مضراً بالوحدة القومية واستعماله يشجع على الانفصال والفرقة. اعتقل مدير تحريرها. من المؤكد ان حرية الصحافة اذا وجدت فانها ليست للكُرد ولكن ثوابت قانونية اخرى جرى احترامها اثناء ربيع الحرية هذه. لم يعد الناس يرسلون الى المشنقة لمجرد القول ان الكُرد موجودون مثلما كان يحدث ابان العهد الكمالي.

اصبح في مقدور الكُرد قول وكتابة ما يريدون ويحكم عليهم بالسجن لسنوات قليلة فقط. قام كمال بوديلي الذي هو برلماني من اورفه بطبع كتاب «القواعد الكُردية» من دون ان يحاكم لأنه متمتع بالحصانة البرلمانية،اما موسى عنتر مؤلف قصة «الجرح الاسود» Brina Res والقاموس الكُردي – التركي فقد ظهر امام المحكمة عدة مرات وحصل ذلك ايضاً مع محمد امين ارسلان الذي قام بطبع الالفباء الكُردية وقصة مه م و زين لأحمدي خاني. وحكم على اسماعيل بيشكجي بالسجن لمدة ١٢ سنة لكتاباته وبحوثه عن الكُرد ظهر كتاب بالانكليزية حول اصل الكُرد من قبل ماك كاروس واخر ايضاً بالانكليزية عن جمهورية مهاباد للكاتب دبليو ايغلتون W.Eagleton .

إن هذه الانشطة والمطبوعات للمثقفين الكُرد وغير الكُرد في حزب العمال التركي ومع استمرار الحركة الكُردية في العراق أثارا قلق السلطات والدوائر العسكرية الكمالية. في ١٩٦٦ شكلت الحكومة وحدات من الجيش متدربين على حرب العصابات وبدأت تجوب كُردستان وهي ترهب الفلاحين في محاولة للقضاء على كل نزعة قد تدفع بالبعض الى مجاراة كُرد العراق.

ان الحركة القومية الكُردية اخذت تجذب اليها الطلبة و كذلك البرجوازية الصغيرة في المدن والريف. في الستينيات اخذ الفلاحون والعمال الحرفيون والزراعيون يعطون اذاناً صاغية لأولئك الذين يتحدثون عن تأخر الشرق (كُردستان) و عن الفارق الكبير بين المناطق الكُردية وبين الغرب التركي الزاهر وعن البطالة المستشرية والمزمنة فيها.

ولعدم استطاعة السلطات ايجاد حلول لهذه المشاكل بشكل مرضٍ فلا عجب من نمو هذه الطبقة راديكالياً وبسرعة بين المجتمع الكُردي.

ولو ان العوامل الخارجية مثل حركة اكراد العراق والاذاعات التي تذيع بالكُردية ونمو الحركات التحررية في العالم لعبت دورها في ايقاظ الوعي القومي الكُردي الا ان المحتوى السياسي والايديولوجي الاجتماعي لهذا الوعي كان مصدره الرئيسي الحركة الديمقراطية والاشتراكية في تركيا منذ ١٩٦١. لقد رسمت هذه الحركة الصورة التقدمية للكوادر الكُردية.

والى عام ١٩٦٨ كان حزب العمال التركي يلعب دوراً مهماً في تنظيم وقيادة النضال ضد القوانين الفاشية وضد الاستعمار.

إن هذا الحزب تأسس على يد عدد من الاتحاديين التجاريين استطاع وبفضل زعامة محمد علي ايبر التقدمي البارز استقطاب القوى التقدمية في تركيا، وفي ايامه الاولى كان الحزب حزباً للعمال بالاسم فقط، كانت العضوية فيه بشكل رئيس للمثقفين من البرجوازيين الليبراليين او حتى من الارستقراطية التركية التي تثقفت في الخارج و تكلمت عدداً من اللغات الاجنبية بشكل متقن. كان الكثيرون منهم لايعرفون شيئاً عن الاشتراكية وكانوا مجرد معارضين للنظام. جلب هؤلاء المثقفون معهم مجموعات من الكتب الادبية والسياسية والفلسفية المترجمة قبل سنين من الفرنسية والانكليزية والالمانية و الروسية واليونانية ولم يكن نشرها ممكناً زمن حكم الدكتاتورية ولكن فترة الديمقراطية القصيرة اقامت لهم الفرصة لفعل ذلك.

في شباط من عام ١٩٦٣ انضم العين نيازي الى حزب العمال واصبح الحزب اول حزب يستلهم الاشتراكية ممثلاً في البرلمان منذ نشوء تركيا. في ظل الدستور الجديد فإن الجامعات والرئيس او أي حزب ممثل في

البرلمان له الحق في تقديم طلب الى المحكمة الدستورية للنظر في دستورية اي قانون سواءً اكان قديماً او جديداً. من خلال عضوية هذا البرلماني في الحزب دعا حزب العمال الى الغاء ٦٠ قانوناً. ان المادتين ١٤١ و ١٤٢ من قانون الجزاء والقوانين التي أستوردت من ايطاليا الفاشية وطبقت بحق الشيوعيين والانفصاليين شخصت على انها جميعاً عوائق أمام تطور الحركة الديمقراطية. بنتيجة ٨ الى ٧ اصوات رفضت المحكمة الدستورية الطلب المقدم اليها بالغاء المادتين ولو أن المحكمة حددت من تطبيقاتهما بالقول أن الدراسة والتعليم والتفسير والنشر او البحث في الشيوعية والفوضوية، لا تعتبر جرائم بموجب هذه القوانين. إن مكائن الاستنساخ بدأت تدور بشكل جنوني واصبح لينين و ماركس وانجلس وهيكل وستالين و ماوتسي تونغ و كاسترو وهوشي منه و نكروما و جيوفارا و براخت و حكمت غوركي في متناول الجمهور لأول مرة.

وفي تركيا المتأخرة و المتفشية فيها الأمية وسوء التغذية في الستينيات وفي تركيا الخارقة في التضخم والبطالة فان الذين يستطيعون القراءة والكتابة والطلاب والمثقفون تهافتوا على المؤلفات التي اصبحت متوفرة وفي متناول الايدي. منذ ١٩٦٥ اصبحت الجامعات تكاد لا تستطيع استيعاب خُمس المرشحين المؤهلين الذين اجتازوا امتحانات الكفاءة وبقي الكثيرون بدون عمل وأصبحت المدارس الثانوية اكثر من الجامعات مؤسسات تنتج الثوريين.

اصبح لدى كل مؤسسة ناديها الخاص بها او جمعية للنقاش والتحاور وانضمت هذه النوادي بعضها الى بعض لتشكل جمعيات اكبر للتحاور شبيهة بحزب العمال التركي في توجهاتها وبعد مدة تحولت هذه الفدرالية

للجمعيات الى فدرالية للشباب الثوري التي برهنت على انها حواضن لتخريج الثوريين من مختلف المشارب والقناعات. واصبح النضال مثلهم الاعلى لتحسين ظروف الجماهير. ان هذا التوجه لم يكن يشترك فيه الجميع حيث انضم البعض الى صفوف حزب توركس للعمل القومي الذي تعهد بحقبة من النظام والعظمة للشعب التركي العظيم. استخدمت السلطات ميليشيات هذا الحزب الفاشستي ضد الجماعات التقدمية اليسارية.

اما في كُردستان فبفضل جهود عدد من المثقفين و انضمام عدد من الحرفيين والتجار فتح حزب العمال التركي عدة فروع له. رافق افتتاح هذه الفروع حوادث عنف افتعلتها الشرطة السرية او من قبل جمعيات تعمل ضد اليسار والشيوعيين. في انتخابات ١٩٦٥ حصل حزب العمال على ١٥ مقعداً من مجموع مقاعد البرلمان البالغة ٤٥٠ مقعداً واصبح البرلمان منبراً للحزب. ادى التطور في الحركة الى حدوث انشقاق فيها.

بدأت الخلافات حول اوضاع البلاد وكيفية احداث نقلة ثورية فيها، في ١٩٦٨ احدث خلاف بين المؤيدين للنظام البرلماني والاخرين المؤيدين للإتجاه اللينيني – بين الذين يؤيدون ثورة وطنية ديمقراطية واولئك الذين يريدون ثورة اشتراكية. تجمع مؤيدو الوطنية الديمقراطية حول مهري بلي وانقسموا الى فصائل اصغر ضمت فصيلين ماويين.

سيطرت البرجوازية الصغيرة على التيارات الاشتراكية وأزيحت الكوادر المؤيدة لـ أيبر التي اعتبروها متساهلة وميالة للبرلمانية. في عام ١٩٦٩ وقع حزب العمال التركي فريسة لتناقضاته الداخلية وبدأ نجمه الأفول وفي ١٩٧٠ تم حظر الحزب بسبب بيان له حول المسألة الكُردية.

إن تطور الطبقة العاملة ونجاح الحركة القومية الكُردية كانا من بين الاسباب التي اثارت قلق السلطات الحاكمة والقادة العسكريين. واخيراً

اطاح الجيش بحكومة سليمان ديميرل في ١٢ أذار ١٩٧١ وتم فرض الحظر على الاضرابات وثم حل جميع التنظيمات الطلابية و الشبابية وكذلك حزب العمل التركي. جرى اعتقال الالوف من الاشخاص وتعذيبهم. وفي كُردستان تم اعتقال ١٠٠٠ كُردي وزُج بهم في معتقل دياربكر ارسلوا بعدها الى السجون اتهم البعض بالانتماء الى الحزب الديمقراطي الكُردستاني في تركيا واتهم آخرون بعمل تنظيمات انفصالية واتهم آخرون بارسال مساعدات الى البارزاني وصدرت بحقهم احكام بالسجن تراوحت بين ستة اشهر وعشر سنوات.

بسبب الغضب والتذمر الشعبي وبسبب رد فعل الاتحاد الاوروبي الذي تسعى تركيا الى الانضمام اليه قرر المجلس العسكري الحاكم اجراء انتخابات في تشرين الاول ١٩٧٣. وفاز فيها بلند اجاويد من حزب الشعب الجمهوري المعارض للدكتاتورية. شكل بلند اجاويد مع حزب الخلاص الوطني ذا الميول الاسلامية حكومة ولكن سرعان ما انفرط العقد في ١٩٧٤. عاد ديمرل الى الحكم وبدأت حملات الكوماندوز في كُردستان ترهب القرويين. وفي المدن قتل نحو ٦٠ شخص بين ٩٧٥ و ١٩٧٦ على ايدي الشرطة والعصابات الفاشستية. بحلول ١٩٧٤ لملمت الاحزاب اليسارية صفوفها واصدر شيوعيون كُرد مطبوعاً باسم «الطريق الى الحرية» تطرق الى المسائل الكُردية داخل و خارج تركيا وظهر مطبوع آخر تحت اسم «رزكاري» التحرير ولكنه منع من الاصدار لتهجمه على الكمالية.

القمع واشكاله

أي كيان قومي يقع تحت سيطرة شعب آخر يكون ضحية الاضطهاد القومي ويمكن تعريفه على أنه التميز السياسي والاقتصادي والثقافي الذي يعاني منه الشعب المضطهد على ايدي مضطهديه. ويمارس هذا الاضطهاد باساليب فكرية تهدف الى تدمير الهوية القومية للشعب المضطهد و بجهاز بوليسي يقضي على أية مقاومة.

كان الباعث لدى الطبقات الحاكمة للتشبث في الاحتفاظ بكُردستان في بداية الامر سياسياً يهدف الى خلق تركيا العظمى تتمتع بموارد بشرية وطبيعية تجعلها قوة اقليمية يحسب لها الحساب.

اما اليوم فان كُردستان مستعمرة تزود تركيا بأيدي عاملة رخيصة وخامات ومنتجات زراعية. كما انها سوق جيدة للمنتجات الصناعية التركية. لكل هذا فان الحكومة عاقدة العزم على التمسك بها مهما كلفها ذلك من تضحيات، ان الصفة المميزة لكُردستان هي ان خيراتها تمتص بشكل منظم لصالح المدن التركية والفجوة في التطور بين المنطقتين تكبر يوماً بعد يوم وهذا ظاهر في الفرق الواضح بين مستوى المعيشة بين كُردستان وبين مناطق تركيا الاخرى. ان هذا التباين هو نتاج العلاقة غير المتكافئة بينهما. الجمهورية منذ قيامها اضطهدت الكُرد. وبعد حرب الاستقلال وجد الشعب الكُردي وقد انكر عليه حتى و جوده كشعب و دمرت السلطات كل شيء له علاقة بهوية الكُرد. لقد زوّروا التأريخ ومحوا اللغة للبرهان على تركية الشعب الكُردي فمنعت المطبوعات وكتب التأريخ

حول الكُرد وحتى قصص الرحالة كل هذه الكتب سحبت من المكتبات واتبعت الدولة سياسة الترهيب بحيث ان الكُردي اذا تجرأ وقال إنه كُردي فذلك يكفي لتجريمه وربما يترتب على ذلك فقده لحياته.

القمع الثقافي

عمَّ القمع جميع نواحي الحياة الثقافية وخاصة في مجال اللغة وعومل الكُردي كشخص غريب في أرضه وبلاده. اللغة هي الرابطة التي تجمع بين افراد المجتمع الواحد وهي بذلك هدف يغري اولئك الذين يريدون القضاء على هذا المجتمع ومن بين الاساليب المستخدمة لخنق اللغة منعها من التخاطب والكتابة بها. منع التحدث بالكُردية وكان الفلاحون أول الضحايا لهذا المنع فهم عندما كانوا يجلبون منتجاتهم الى السوق كانوا يدفعون غرامة عن كل كلمة كُردية ينطقون بها وهو لايعرف لغة غيرها. وفي كل زيارة الى سوق المدينة كان يدفع غرامة تفوق ثمن ما باعه من المنتجات ولكل هذا كان الفلاح يفضل البقاء في القرية بعيداً عن المدينة.

النظام القمعي كان يتباهى لقيامه بتسريع عملية تحديث البلاد. وكجزء من هذا البرنامج اجبر الجميع على لبس القبعة واذا اغفل احد القرويين تطبيق ذلك ولم ينزع غطاء رأسه الكُردي التقليدي فالويل والثبور له وعليه تحمل الاهانة ودفع الغرامة الكبيرة. واذا وجدوا لدية لفافة من التبغ فان ذلك يكلفه غالياً.

لا يمكن لأي شخص عاقل أن يفكر بأنه بإستطاعة شخص او نظام القضاء على لغة تستعمل من قبل الملايين بمجرد استخدام وسائل بوليسية وقمعية.

على كل حال استمرت القيادة السياسية والادارية في لعب هذه التمثيلية وفضلت الوهم على الحقيقة وفي كل مرة يقوم مسؤول كبير بزيارة منطقة

كُردية فان المسؤول الاداري فيها يستدعي رؤساء البلدات والوجهاء وينصحهم بأن يطلبوا من الاكراد الذين لايعرفون التركية ملازمة بيوتهم وعدم الخروج الى الشارع اثناء زيارة المسؤول للمنطقة وتبعاً لذلك يجد المسؤول الزائر نفسه في مدينة متطورة حيث يتكلم جميع سكانها التركية حتى و إن وجد شوارعها شبه مهجورة.

المدارس في الريف الكُردي تساعد على تعليم اللغة التركية ولكنها على المدى البعيد تخلق اجيالاً يقومون بوأد النظام الاستعماري.

تجنبت السلطات اتخاذ اجراءات اقتصادية في المنطقة الكُردية خوفاً من انهيار الهياكل التقليدية القديمة في كُردستان لانها تعلم ان احسن طريقة للسيطرة على السكان هي من خلال الزعماء الكُرد التقليديين الذين يتمتعون بإمتيازات كبيرة.

منذ مجيء البرلمانات التي تمتعت بنوع من الحرية في الخمسينيات خففت الدولة من بعض القيود المفروضة على السكان. سمحت باستعمال اللغة الكُردية في المناسبات الخاصة ولكن الحظر بقي مفروضاً على النشر بها. رغم كل الجهود التي بذلت لتعليم التركية فان ثلاثة أرباع الكُرد وحتى أواخر الستينيات لم يكونوا يعرفون شيئاً عنها. ففي ماردين ٩١٪ من السكان لم يتكلموا شيئاً من التركية وفي هكاري كانت تلك النسبة ٨١٪ وفي دياربكر ٦٧٪ وفي بنغول كانت ٦٨٪ وفي بتليس ٦٦٪.

في السبعينيات اكتشف عدد من الصحفيين والتجار الاتحاديون ان اللغة الكُردية هي الغالبة في الولايات الشرقية. احدث ذلك صدمة اذ كيف يمكن للملايين في الجمهورية ان لا يعرفوا اللغة التركية. طلبت السلطات اتخاذ اجراءات عملية وعلمية مناسبة لتتريك مثل هذه المناطق والتعويض عن الاهمال الذي حصل.

الكُرد مضطرون الى استعمال لغة لايستطيعون التكلم بها في تعاملهم مع المحاكم والادارات. عليهم استعمال مترجم عند القيام بأي عمل رسمي. ان جهلهم باللغة الرسمية يعيق من تقدمهم في التعلم ويعرضهم للضرب والاهانة في الثكنات العسكرية وهم يؤدون الخدمة. توجد في تركيا كليات تدرس بالفرنسية والالمانية او الانكليزية ولكن لاتوجد مدرسة واحدة تدرس بالكُردية علماً ان ربع سكانها يتكلمون بها.

الصحف والكتب والتسجيلات متوفرة بكل اللغات الا اللغة الكُردية، الكُتّاب الذين جازفوا بالكتابة عن الكُرد كانوا عرضة للملاحقة من قبل السلطات. وفي خطوة للقضاء على الفلكلور والثقافة الكُردية منعت الحكومة دخول وتداول اي كتاب او تسجيل انتج بالكُردية في الخارج. كما ان السلطات غيرت الاسماء الكُردية بشكل منتظم. الكُرد في وطنهم يعاملون كأجانب وغرباء.

في تركيا يطلقون على كُردستان تركيا تسمية «الاناضول الشرقية» ويشار الى كُردستان العراق باسم «شمال العراق» والى كُردستان ايران اسم «ايران الغربية» الغيت كلمة كُردستان لأنها تشير الى وجود قومية غير تركية هي القومية الكُردية. افرغت السلطات المكتبات من كل كتاب يتناول التأريخ الكُردي كما انها دمرت جميع المعالم الاثرية التي شيدت ايام الامارات الكُردية الزاهية وأقامت محلها ثكنات للجيش حدث هذا لقصر «برجا به لاك» الذي شيّده البدرخانيون على نهر دجلة في جزيرة بوتان في المدارس يجري تعليم الاطفال بأنهم أتراك وان نسيانهم للغة التركية حدث بسبب الاهمال من السلطات انهم من نسل «الذئاب الرمادية» الذين قدموا من اسيا الوسطى مثل غيرهم من الترك. إن كان الكُرد في تركيا تركاً فيجب أن يكون كُرد العراق وايران كذلك. تدخلت تركيا في قبرص من اجل عدة مئات من الالوف من القبارصة الترك، فلماذا لم تتدخل لإنقاذ الكُرد في العراق اذا كانوا هم اتراكاً؟ الكُرد غرباء في

وطنهم وهم غرباء مع الخارج اذ لا يستطيعون قراءة المطبوعات التركية وهم بذلك يجهلون ما يدور حولهم الأمر الذي ساهم هو الاخر في تأخرهم.

العنصريون الترك أحرار في إهانة الكُرد ووصل الصلف بهم الى درجة المطالبة بإفنائهم. الكُرد لاحول ولا قوة لهم ازاء هذا التهديد. تنشر المقالات من قبل اليمينيين ضد الكُرد ولا يحاسبهم احد على ذلك. كتب العنصري نيهال عزيز! اذا اراد الكُرد ان يتحدثوا بلغة بدائية لا تتجاوز عدد كلماتها اربعة او خمسة الاف كلمة وان ينشروا ما يريدون فليخرجوا من تركيا الى مكان اخر ليفعلوا ذلك. الترك اعطوا انهاراً من الدماء لامتلاك هذه الارض وقاموا بإزالة الجورجيين والارمن واليونانيين منها واستطرد قائلاً «دعهم يذهبون الى باكستان او الهند او ليذهبوا الى البارزاني» دعهم يطلبون من الامم المتحدة ان تعطيهم وطناً في افريقيا. الشعب التركي صبور ولكنه عندما يغضب فانه يزأر كالاسد ولا شيء يستطيع الوقوف امامه فليسألوا الارمن من هم الترك وليأخذوا منهم العبرة، هذا هو منطق العنصريين المتعجرفين تجاه الكُرد الذين سكنوا المنطقة قبلهم بألوف السنين.

الكل يعلم ما حل بالارمن على ايديهم، إنهم تعرضوا للابادة. الكاتب يستطيع ان يهدد الكُرد بهذه الطريقة العنصرية دون خوف من العقوبة. ولكن عندما نشر بعض الطلاب كراساً يطلبون بجعل التحريض على الكراهية جريمة فإنهم اخذوا الى المحاكم بتهمة ادعائهم وجود شعب كُردي وبدعوى محاولتهم نسف الوحدة القومية للبلاد.

لايمكن تعيين كُردي في كُردستان او في أي جزء من تركيا إلاّ بعد استحصال موافقة الشرطة السرية (mit) ميت. يفضل تعيين الكُردي خارج كُردستان لإبعاده عن محيطه الكُردي وعلى امل صهره في المجتمع التركي.

الاضطهاد السياسي

إن البرجوازية التركية حصنت نفسها بدرع من القوانين يستحيل معها قيام الكُرد بعمل اتحادات تجارية او احزاب سياسية كُردية. المادة ٥٧ من الدستور تشترط ان تكون برامج وانشطة اي حزب متفقة مع المبادىء الديمقراطية العلمانية للجمهورية وان لا تسبب أي انقسام في وحدة البلاد المادة ٨٩ تنص على عدم قيام أي حزب سياسي بنشر او تطوير لغة هي غير اللغة التركية او محاولة خلق اقلية على الارض التركية. الكُرد هم المعنيون بالمادة لأن الأرمن واليهود واليونانين مصانون بموجب معاهدة لوزان التي تحمي الاقليات الدينية.

في الخمسينيات سيطروا على كُردستان بالقمع والترهيب. بعد ذلك بدأ اعتماد السلطات على الاغوات والوجهاء الفاسدين. وبما ان نفوذ هؤلاء الأغوات بدأ بالزوال فإن السلطات عادت الى ممارسة اسلوب القمع والارهاب. تعتقد الحكومة التركية بأن أية تنازلات في الحقوق القومية والاجتماعية مهما كانت متواضعة فانها ستفسر على انها ضعف من الحكومة و ستشجع الكُرد على التقدم بطلبات اكثر طموحاً.

ان كفاح الكُرد في العراق منذ ١٩٦١ اقلق السلطات التركية واتخذت اجراءات وقائية خاصة تشكلت وحدات مدربة على حرب العصابات وهي في أمرة وزارة الداخلية وبدأت هذه الوحدات هجماتها في كُردستان وهي تشيع الهلع في قلوب القرويين.

تطوق القرى بالعجلات المصفحة وبالطائرات المروحية التي تحوم فوق

القرية، يجمع القرويون ويطلب منهم تسليم الاسلحة، ويضرب من ينكر وجود سلاح لديه ويهان. يجبر الرجال والنساء على التجرد من ملابسهم وتحدث حالات اغتصاب النساء. ويعلق الكثيرون من ارجلهم واحياناً تشد اسلاك او خيوط الى اعضائهم التناسلية وهم عراة ويطلب من النساء جر هؤلاء في ازقة القرية ويموت كثيرون تحت التعذيب.

وعندما وقع كُرد العراق اتفاقية ١١ اذار مع بغداد شدد الكوماندوز من حملاتهم لترهيب الناس ولكي لايحاولوا تقليد اقرانهم كُرد العراق.

بين ١٩٧١ و ١٩٧٣ حكمت المحكمة العسكرية في دياربكر على اكثر من ١٠٠٠ كُردي بالسجن.

الحركة القومية الكُردية في تركيا في الثمانينيات

من ١٩٦٠ الى ١٩٨٠ مر المجتمع الكُردي بتغيرات عميقة غيرت تركيبته التقليدية. انهار النظام الاقطاعي واختفت حياة البداوة وعندما دخلت المكننة الى الزراعة بدأت الهجرة من الريف الى المدينة وخاصة الى المدن التركية الصناعية تكدس الفلاحون الواحد فوق الاخر في احياء فقيرة وبقي الكثيرون عاطلين عن العمل. وبانتشار زراعة القطن والبنجر ازداد عدد العمال الزراعيين وانخرط هؤلاء العمال في السياسة بعد التقائهم بالبروليتاريا والمثقفين التقدميين. بدأ المجتمع الكُردي يجدد نفسه. لفترات طويلة قاد هذا المجتمع زعماء تقليديون اصاغوا المجتمع حسب رؤيتهم وادراكهم للعالم والسياسة. ثم جاء دور البرجوازية لتمسك بزمام الامور في قيادة المجتمع واصبح الزعماء التقليديون الذين قادوا جبهة النضال في يوم ما وسطاء للسلطات التركية وبدأ نفوذهم السياسي يضعف شيئاً فشيئاً ولكنهم ظلوا عائقاً امام الحركة القومية الكُردية.

اما البرجوازية فقد خدمت كوسيط للشبكة التجارية التركية وفي السبعينيات قامت بقيادة الحركة القومية وكانت تحس بالظلم القومي وبالاقتصاد غير المستقر. لأجيال طويلة كانت الطريقة الوحيدة للنضال هي الكفاح المسلح. بعد مدة ادرك البعض ان الكفاح المسلح وان كان اعلى مرحلة من مراحل النضال فانه ليس الشكل الوحيد للنضال. ان المسيرة النضالية الناجحة تتطلب عملاً سياسياً متقناً وبناء تنظيمات والاعتماد على الخبرة المكتسبة من الكفاح السياسي بوسائل سلمية.

ابتداءً من ربيع ١٩٦٣ انطلقت أول مظاهرة ضد التخلف في سيواس ونظمت اجتماعات ومظاهرات في كل سنة بعد ذلك ضد الفقر والبطالة وارتفاع الاسعار وحملات الكوماندوز. على الرغم من قسوة القمع ووحشيته فان المطالب القومية لم تتوقف وبدأت تظهر في الخطب وفي اللوحات واللافتات وبعض هذه المطالب كتبت بالكُردية. هذا التأكيد على الهوية لم ينحصر على اللقاءات والمظاهرات التي نظمها الكُرد بل امتد الى الجماهير التي تحضر اجتماعات المنظمات التركية السياسية. بعد ١٩٧٤ وعندما كان احد الاحزاب يعقد اجتماعاً كان يعلو هتاف الجماهير بالحرية للكُرد ويضطرب النظام وينفض الاجتماع.

هذا في المدن، اما في الريف فقد وقعت احداث شبيهة بتلك التي حدثت في المدن. هنا وهناك قام الفلاحون بالإستيلاء على الاراضي العائدة الى الاغوات وطالبوا بتوزيعها وفي كثير من الحالات كانوا يشتبكون مع الوحدات العسكرية التي حضرت بطلب المالك.

انضم معظم الكُرد التقدميون الى حزب العمال التركي الذي كان على رأس الكفاح من اجل الديمقراطية و الاشتراكية في فترة الستينيات، وبما انهم اعضاء في الحزب فقد كانوا على تماس باكثر قطاعات ثقافةً وتطوراً في تركيا واصبحوا على معرفة بإمكانيات وتقيدات هذا القطاع. وبفضل شرعية الحزب كان باستطاعتهم فتح باب التحاور مع شعبهم.

في السبعينيات ظهر عدد من التنظيمات الكُردية التي كانت قصيرة العمر بسبب مواجهتها مشاكل عدم شرعيتها وحاجتها الى المواد والكادر الكفوء ولم يبق منها سوى الحزب الديمقراطي الكُردستاني التركي الذي تأسس في ١٩٦٥ من قبل فائق باجاك وهو محامي من أورفه والذي اغتيل على يد الشرطة السرية التركية في ١٩٦٦. اما

المؤسس الثاني فكان سعيد آلجي وكان محاسباً في دياربكر و اختفاؤه في ١٩٧٠ في كُردستان العراق لا يزال سراً يكتنفه الغموض . وجاء تأسيس الحزب على نهج الحزب الديمقراطي الكُردستاني في العراق وسوريا ومعظم اعضاؤه كانوا من الفلاحين ومن البرجوازية الصغيرة.

وفي ١٩٦٩ مرّ الحزب بأزمة داخلية كبيرة وقام بعض من كوادره بزعامة الدكتور ديفان بتأسيس تنظيم منافس أطلق على نفسه اسم الحزب الديمقراطي لكُردستان تركيا وتبنى نهجاً يسارياً وطالب بالاستقلال التام لكُردستان.

بالاضافة الى هاتين المجموعتين كان هنالك التنظيم الثوري للشباب الكُرد وكان وجوده مقبولاً لدى السلطات وكان قانونياً وهو من حيث المبدأ لم يكن حزباً سياسياً . عمل كمنظمة ثقافية وانطلق التنظيم في تنوير الرأي العام حول الوضع الاقتصادي والاجتماعي في الشرق. نظم مؤتمرات صحفية واجتماعات عامة واصدر نشرات و سلط الاضواء على القمع الذي يجري في كُردستان. ومنذ ١٩٧٠ وزع نشرة شهرية.

هذه اللقاءات والمؤتمرات الصحفية حول ما يعانيه الكُرد في الشرق وصلت الى الجماهير. اخذ الرأي العام التركي الديمقراطي الليبرالي يهتم بالحركة واحتجت الاتحادات الطلابية والصناعية والتجارية والهيئات التعليمية وحزب العمال التركي ضد القمع الذي يمارسه الكوماندوز والشرطة في المنطقة الشرقية. لم يرق هذا للسلطات فقامت باعتقال قادة التنظيم في تشرين الاول١٩٧٠ اثناء تحقيقاته ومؤتمراته كان التنظيم يقوم بتثقيف الفلاحين وتنويرهم بحقوقهم وتشجيعهم على تنظيم انفسهم.

يمكن تصنيف الجماعات والأحزاب التركية الى اربعة اصناف هي:

١- البرجوازية الليبرالية وتؤمن بحرية المشاريع و المؤسسات وتأييدها

للكمالية كان تكتيكاً اراد به التخلص من غضب الجيش. ومن اهم الأحزاب المنظوية تحت هذا التصنيف حزب مندرس الديمقراطي وحزب العدالة الذي تأسس في ١٩٦١ وسار على نهج حزب مندرس الديمقراطي الذي اطيح به في انقلاب كمالي في مايس ١٩٦٠. واصل قمع الحركة القومية الكُردية ولكنه ببعض التأييد في الوسط الكُردي من خلال قيامه بتشجيع الاستثمار في البنية التحتية في المنطقة الشرقية كان الحزب موفقاً بقيادة دميريل في انتخابات ١٩٦٥ ولكنه خسر كثيراً من الدعم بعد ١٩٧٠ فاضطر ان يكون عضواً في ائتلاف حكومي بعد ١٩٧٤.

والجدير بالذكر ان حزب مندرس الديمقراطي عندما جاء الى الحكم في ١٩٥٠ عقد تحالفات مع الزعماء والوجهاء الكُرد وساعد على اندماج كُردستان في السوق الرأسمالية كما ان الحزب وضع نهاية لسياسة الترحيل وحدد من سلطة الادارات ومع ان الحزب لم يعترف بالحقوق القومية للكُرد ومع أنه وقع معاهدة حلف بغداد مع ايران والعراق وباكستان بغية التعاون على اخماد اية حركة كُردية تهدد وحدة هذه البلدان فانه سمح التحدث باللغة الكُردية.

٢- البرجوازية القومية وينظوي تحت لواء هذا التصنيف حزب الشعب الجمهوري الذي هو واحد من مجموعة انحدرت من الاتحاد والترقي وتركز اهتمامه على اقتصاد قومي ورأسمالية تركية. تأسس في ١٩٢٣ من قبل مصطفى كمال واحتكر الساحة السياسية حتى ١٩٥٠ وهو الذي نفذ المخطط الرهيب للقضاء على الكُرد. اضطر الحزب الى تجديد ايديولوجيته ليتكيف مع الظروف المتجددة. ظهر تيار يساري استقطب حول بولاند اجاويد واستطاع السيطرة على الحزب في آخر

المطاف. اكتسب اجاويد شعبيته عندما رفض التعاون مع العسكر ولسعيه في العودة الى الاسلوب الديمقراطي ونجح في انتخابات ١٩٧٣ غير انه لم يحصل على الاكثرية المطلوبة ولم يستطع تشكيل وزارة.

وفي السبعينيات غير أسمه الى الحزب الديمقراطي الاشتراكي وسعى الى الاشتراك في الاشتراكية الدولية واعلن عن نيته في منح الشرعية للحزب الشيوعي وحرية الرأي وفي بياناته الانتخابية وعد باصلاح اقتصادي في الشرق وبالتعويض عن سنوات التخلف هناك ولكن لم يرد ذكر لحقوق كُردية.

وكان هنالك حزب آخر هو حزب الثقة الجمهوري وعمل كواجهة للجيش والشرطة السرية، وكان هنالك حزب اليسار الكمالي الذي كان يظهر عداءه لكل من الشيوعية والرأسمالية.

٣- التيار الطوراني المتطرف : رغم انهيار المشروع الطوراني الذي اطلقه الاتحاديون ابان الحرب الاولى فان هذا الجناح اليميني في القومية التركية احتفظ بقدر من التأييد وخاصة من الجيش . وفي ١٩٦٥ وما بعدها قام الب ارسلان توركش بتحويل التيار الى قوة سياسية منظمة وانشأ الحزب ميليشيات مسلحة وقامت بتنفيذ عمليات لم يكن في مقدور الشرطة تنفيذها . واقتحمت تشكيلات الذئاب الرمادية الجامعات والمعاهد وبين ١٩٦٩ و ١٩٧٦ قتلت نحو ٢٠٠ تركي وكُردي تقدمي. كان للحزب مقعدان في البرلمان ولكن نفوذه في الحياة السياسية كان كبيراً. كان هذا الحزب معادياً للكُرد وامانيهم وازالة الكُرد كان على رأس اولوياته. وقدم الب ارسلان نفسه كمحرر للشعب التركي في روسيا و الصين وانه السد المنيع

للدولة التركية في وجه الشيوعية والانفصالية الكُردية.

٤- اتجاهات الاحزاب والتنظيمات الاشتراكية:

حتى عام ١٩٦٠ كانت كلمة «الاشتراكية» من المحرمات في تركيا ولكن في منتصف السبعينيات ادعت البرجوازية الراديكالية الصغيرة والبرجوازية الليبرالية والقوميون اليساريون الانتماء اليها. وبحلول ١٩٧٦ كانت هنالك خمسة احزاب شرعية وحزبان غير شرعيين وحركات تدّعي الفكر الماركسي وكانت لها صحف تعبر عن برامجها وتمتلك دوراً للنشر والطباعة خاصة بها. ومن هذه الاحزاب كان الحزب الشيوعي وحزب العمال التركي الذي لعب دوراً مهماً في نشر الفكر الاشتراكي والكفاح من اجل الديمقراطية. وفي مؤتمر الرابع في تشرين الثاني ١٩٧١ اتخذ الحزب قراراً اعترف فيه بوجود شعب كُردي في شرق تركيا ودعا المؤتمر الحزب الى مساندة نضال الشعب الكُردي في ممارسة حقوقه الدستورية وتحقيق آماله. كان هذا موقفاً شجاعاً من الحزب اذ لم يسبق لحزب ممثل في البرلمان ان اعترف بوجود شعب كُردي. قامت السلطات بحل الحزب بحجة تأييده للانشطه الأنفصالية.

اما الحزب الاشتراكي الذي تأسس في ١٩٧٤ من قبل محمد علي ايبر فانه لم يدعى بميوله الشيوعية ولم يتخذ مواقف مؤيده للكُرد رغم احتجاجه على قمع الجيش للسكان في المنطقة الشرقية. وتشكلت احزاب ماوية انشغل الواحد منها ضد الاخر. حزب العمل التركي وهو الحزب الماوي الوحيد الشرعي تشكل الحزب هذا في ١٩٧٤ من قبل مهري بيلي الذي دعا الى ثورة ديمقراطية وطنية على عكس الحزب الاشتراكي الذي دعا الى ثورة اشتراكية. في نهاية الستينيات جذب اليه عدداً من الشبان. وفي معرض رفضه الاعتراف بحق الكُرد في تقرير مصيرهم برّر بيلي موقفه

بالقول ان على الكُرد الانضمام اليه لصنع الثورة وبعد ذلك سيمنحونهم حقوقاً ثقافية وهذا هو الحل الماركسي للمشكلة. كان هنالك حزب الجيش الشعبي للتحرير الذي كان يتبنى حرب العصابات لتحرير تركيا من الهيمنة الاستعمارية واعترف بوجود شعب كُردي واعترف بشرعية كفاحه.

ملاحظات ختامية

شن كل من مير محمد (ميري گەورە) والامير بدرخان كفاحهما للاستقلال في وقت تزامن مع ثورة اليونانيين والبلغار لنيل الاستقلال. ومنذ ذلك الوقت والكُرد يعبرون عن هذه الرغبة في اكثر من ١٠٠ ثورة ضد الامبراطوريتين العثمانية والفارسية اولاً وبعد ذلك ضد الدول التي تقاسمت كُردستان بعد الحرب الاولى ثانياً. ويعزى الفشل في تلكم الثورات اسباب خارجية ومنها موقع كُردستان الذي يتوسط منطقة كانت دوماً محط انظار واطماع الكثير من الدول. كما ان كُردستان تفتقر الى منفذ بحري وهي محاطة بدول رجعية تشدد عليها الخناق. وهنالك اسباب داخلية فحتى الخمسينيات كانت العصبية القبلية هي المهيمنة والنزاعات العشائرية كانت تمزق الشعب الكُردي كما كانت تنقصها الطبقة المثقفة القادرة على فهم الاحداث المعاصرة واستخلاص النتائج والدروس المهمة منها. ولكن ومع هذه المعوقات فان كُردستان لو كانت مستعمرة انكليزية او فرنسية فإنها بالتأكيد كانت ستحصل على استقلالها قبل فترة طويلة وبتضحيات اقل.

ومع اختفاء البداوة وتغلغل رأس المال فان الهياكل العشائرية والاقطاعية التقليدية بدأت بالتهادي والزوال. بدأت الطبقة الفلاحية تتململ وتنفض عنها غبار القرون الماضية وأخذت تدخل معترك الحياة

السياسية. و كنتيجة لهذه اليقظة فإن الشعب الكُردي أصبح اكثر وعياً لواقعه المؤلم. ازدادت النقمة على الممارسات التركية الجائرة والقاسية. كما ان الحركة الكُردية في العراق ساهمت في نمو الشعور القومي لدى الكُرد في تركيا.

في ظل ميزان القوى في السبعينيات فان افضل ما يستطيع ان يقوم به حزب كُردي هو عقد تحالف مع القوى التركية التقدمية والسير في الكفاح من اجل اشاعة الديمقراطية في تركيا واقامة نظام فدرالي فيها. وبما ان الكُرد ليسوا بأقلية صغيرة حيث انهم يشكلون نحو ربع الشعب التركي فان فكرة الفدرالية تكون مقبولة. ولكن الموافقة الكُردية وحدها غير كافية فهي تستلزم موافقة الطرف التركي ايضاً. وبسبب الفكر العنصري المتجذر في الاوساط السياسية التركية فان هذه الموافقة غير متوقعة الان.

وكما كان النضال من اجل بولندا حرة قبل قرن عاملاً في تقدم اوروبا كلها فان كُردستان مستقلة ستكون قوة مهمة لإحداث تغيير تقدمي في الشرق الأوسط برمته.

في هذه الفترة المتأخرة من القرن العشرين وحيث الاستقلال يمنح لجزر ومناطق لا يزيد عدد السكان فيها عدة مئات من الالوف فان الشعب الكُردي الذي يزيد تعداده عن نفوس معظم الدول المستقلة لا يستطيع ان يبقى بدون كيان قومي له الى الأبد. لا يوجد سبب سياسي او ايديولوجي او اقتصادي يبرر استمرار هذا الظلم.

الفصل الثالث

الكُرد في ايران

جغرافية كُردستان ايران

كُردستان ايران تغطي مساحة تبلغ ٥٠,٠٠٠ميل٢ وتمتد من جبال ارارات شمالاً إلى الطرف الاخر لجبال زاكروس ومن الغرب يحدها العراق وتركيا. اما من جهة الشرق فحدودها هي بحيرة اورمية. مدن كُردستان ايران تقع على ارتفاع يبلغ ٣,٥٠٠ قدم والمناخ في المنطقة الجبلية قاس ومعدل سقوط المطر لا يتجاوز ٨ بوصات ولكن هذا المعدل يبلغ حوالي ٦٠ بوصة في الوديان. الفرق بين المعدلات القصوى والدنيا كبير ويصل احياناً الى ١٠٠ْ في الشتاء وفي سقز تهبط درجة الحرارة الى دون ٢٢ْ ف وهي في كرمنشاه صيفاً ١١٠ْ ف. المياه في كُردستان لا تشكل مشكلة حادة حيث توجد انهار عدة مثل قيزل والزاب الصغير وجاك هاتو وتاتاو كما ان بحيرة اورمية التي تبلغ مساحة سطحها المائي ٢,٥٠٠ ميل٢ وبحيرة زريغر هي اكبر المسطحات المائية في كُردستان ايران. الجبال مغطاة بالاشجار بشكل جيد وعلى امتداد الارض من بحيرة اورمية الى لورستان هنالك نحو ١٠ ملايين دونم من الغابات وهي في غالبيتها تحوي اشجار البلوط التي تستخرج منها نحو ١٤ منتوجاً . الغابات ليست كثيفة لأن السكان يستهلكون كميات كبيرة من الخشب وبذلك استنزفت طاقة الغابات هذه.

التربة التحتية في كُردستان غنية بالمعادن ويستخرج النفط في كرمنشاه ويستهلك معظمه داخلياً ولا يزيد الانتاج عن مليون طن سنوياً.

قسمت ايران كُردستان الى ثلاث ولايات ويشار الى القسم الاوسط منها باسم كُردستان (سنندج). اما المنطقة الشمالية منها فتعرف باسم «اذربيجان الغربية» والجنوبية تعرف باسم كرمنشاه. ومن الناحية العرقية يمكن اعتبار لورستان جزءً من كُردستان وعاصمتها هي خرم اباد.

السكان

اذا اخذنا في الحسبان عنصرية السلطة الحاكمة للمنطقة الكُردية فلن يكون من السهل اعطاء اعداد مضبوطة ودقيقة لعدد الكُرد في ايران.

الحكومات الايرانية ادعت بشكل مستمر ان الكُرد هم ايرانيون اقحاح وتجنبت هذه الحكومات التمييز بين الفرس والايرانيين ولذلك فلا تتوفر احصاءات عن المكونات القومية في ايران. ولكن المسألة واضحة حيث ان معظم سكان كُردستان هم كُرد والارقام الاتية تعطي فكرة عن السكان.

اما عن القوميات التي تعيش في كُردستان فهنالك ١٢,٨٪ اذربيجانيون (٤٧٠.٠٠٠) وحوالي ٢٣٥.٠٠٠ فارسي ويوجد نحو ٤٠٠,٠٠٠ كُردي في خوراسان في دورغز وغوتشان.

الكورد في ايران الجدول (١)

السنة	سكان ايران	السكان في كوردستان	الكورد منهم	النسبة
١٩٧٠	٢٨,٢٥٨,٨٠٠	٤,٨٠٣,٨٦٠	٤,٥٢١,٢٨٠	٪١٦
١٩٧٥	٣٢,٤٤٠,٠٠٠	٥,٥١٤,٨٠٠	٥,١٩٠,٤٠٠	٪١٦

اما الكثافة السكانية في كُردستان ايران فهي ضعف الكثافة في الاجزاء الاخرى من ايران. كُردستان تشغل مساحة تقدر بحوالي ٧,٦٪ من مساحة ايران وهي موطن نحو ١٧٪ من سكان ايران.

الكثافة السكانية في كوردستان وايران جدول (٢)

المساحة بالميل المربع	النسبة٪	عدد الاشخاص في الميل المربع. ١٩٧٠	١٩٧٥
ايران ٦٤٠,٠٠٠م٢	١٠٠٪	٤٤	٥٠
كوردستان ٤٩,٠٠٠م٢	٧,٦٪	٩٨	١١٢

العائلة الممتدة (الكبيرة) هي الاساس في كُردستان ويبلغ معدل افراد العائلة في المدينة ٥ افراد وفي الريف ٦ افراد.

توزيع السكان على المحافظات عام ١٩٦٦ جدول (٣)

المنطقة	المدينة	الريف
مهاباد	٢٥٪	٧٥٪
سقز	١٩٪	٨١٪
سنندج	٢٧٪	٧٣٪
كرمانشاه	٤٩٪	٥١٪
كوردستان	٣٠٪	٧٠٪
إيران	٥٠٪	٥٠٪

النمو السكاني في المدن الكوردستانية الجدول (٤)

المدينة	١٩٥٦	١٩٦٦	١٩٧٦	٩٥٦-٩٧٦
مهاباد	٢٠,٣٣٢	٢٨,٦١٠	٤٢,٠٠٠	٪٢٠٨
سقز	١٢,٧٢٥	١٧,٨٣٤	٢٦,٠٠٠	٪٢٠٤
سنندج	٤٠,٦٤١	٥٤,٥٨٧	٧٦,٠٠٠	٪١٨٧
كرمنشاه	١٢٥,٤٣٩	١٨٧,٩٣٠	٣٠٠,٠٠٠	٪٢٣٩

ان تفكك النظام العشائري بدأ مع بداية القرن العشرين ودخل مرحلته الاخيرة في السبعينيات من نفس القرن. ان توسع السوق المحلية بتوسع رأس المال و الاصلاح الزراعي والهجرة الى المدينة والتغيرات الاجتماعية والثقافية ساهمت جميعاً في وضع نهاية للمجتمع العشائري. بالطبع بقيت بعض التقاليد العشائرية ولكن التركيبة العشائرية التقليدية التي يسيطر عليها الشيخ او الاغا انهارت، كما ان البداوة اختفت فيها.

الدين

غالبية سكان كُردستان هم مسلمون (٩٨٪) ونسبة ٢٪ تشمل الارمن والاشوريين وعدد جداً قليل من اليهود: ٧٥٪ من الكُرد هم على المذهب السني والبقية هم شيعة في كرمنشاه و لورستان.

ان الشيوخ وهم عادة من السنة لايزالون يمارسون نفوذاً في كُردستان والطرق الصوفية هي القادرية والنقشبندية. اتباع الشيوخ يدعون المريدين او الصوفية وعلى كل مريد ان يرى شيخه مرة في السنة على الاقل ويجلب معه هدية ويحصل على بركات الشيخ. بإستثناء هذه الطرق لا توجد طرق اخرى بين الكُرد السنة. الملا كان يحصل على

شهادته الدينية من رجل دين معروف وبعد ذلك يذهب الى احدى القرى حيث يعلم الاطفال مبادىء الدين ويعتمد على معيشته على هبات اهل القرية. وبما ان معظم القرويين فقراء فان الملا يقوم بالزراعة وتربية الحيوانات لتأمين معيشته.

الملا يعرف القراءة و الكتابة فهو على معرفة بفقر الفلاحين وبؤسهم وظروف الحياة الصعبة ويصبح مشاركاً نشطاً في النضال القومي التحرري. حاولت السلطات الايرانية تنظيم الهياكل الدينية وذلك بتخصيص راتب شهري للملا على امل دمجهم في خدمة الدولة.

اللغة والاداب

الكُردية لغة إندو اوروبية من صنف اللغات الايرانية على الرغم من التقارب بينهما ورغم سيطرة اللغة الفارسية التي هي اللغة الرسمية في كل ايران فان اللغة الكُردية احتفظت بأصالتها وساهمت في تعزيز الشعور القومي.

وفرض الحظر على الكُردية منذ الاربعينيات وفي الفترة الانتقالية كان الكُرد الايرانيون يعتمدون على مطبوعات كُرد العراق حيث حققت اللغة وادابها تقدماً كبيراً منذ ١٩٥٨.

لسوء الحظ لم يكن هنالك تبادل للمطبوعات بين كُرد ايران وتركيا لان الالفباء المستخدمة في الدولتين مختلفة الواحدة عن الاخرى. في ايران تستعمل الالفباء العربية بينما في تركيا تستخدم الالفباء الرومانية. الغالبية من كُرد تركيا وخاصة الشباب لايعرفون الحروف العربية وتبعاً لذلك لايستطيعون قراءة الكتب التي تصدر في كل من ايران والعراق. الموقف مختلف عندما يأتي الأمر في التعامل بالكتاب بين ايران والعراق

حيث البلدان يستعملان الابجدية العربية مع تحوير بسيط. كما ان الكُرد في البلدين بإستثناء نسبة قليله يتكلمون اللهجة السورانية. في الستينيات والسبعينيات كان العديد من الكتب والدوريات يطبع بشكل سري في كُردستان ايران. صفاء اللغة وغناها في الكتابة كانا مثار الاعجاب. اذ ان هذين العنصرين لم يكونا متوفرين في المطبوعات العراقية رغم كثرة المطبوعات التي كانت تطبع في العراق . اما العامل الثاني الذي ساهم في تطوير اللغة الكُردية وآدابها في ايران فهو وجود محطات عدة للراديو التي كانت تبث برامجها بالكُردية وخاصة في كرمنشاه رغم وجود الحظر على النشر والطبع باللغة الكُردية.

كانت الحكومة تبتغي في هذه المحطات تحقيق غايتين. الاولى ان الاذاعات التي يستمع اليها الكُرد من تركيا وايران كانت تعمل لبث الدعاية للشاه وسياساته وهي بشكل منظم كانت تمسح الاصالة اللغوية وتقدمها كما لو انها لهجة من اللغة الفارسية، على كل حال ان اذاعة قصائد كُردية واغاني فولكلورية ساعدت على تعزيز الشعور القومي وبما ان الكُردية كانت محظورة والفارسية هي اللغة الرسمية فان كثيرين. من المثقفين الكُرد كتبوا ونشروا نتاجاتهم باللغة الفارسية. واحسن قصة بالفارسية في السبعينيات كتبها كُردي باسم «زوج السيدة عبو» Mrs, Abou's Husband وكتبها عندما كان يقضي محكوميته في السجن لأسباب سياسية. مسرح الاحداث في القصة هو كُردستان وهي تدور عن المجتمع الكُردي قبل الحرب. ومن اشهر الشعراء الكُرد المعاصرين في ايران الشاعر هيمن و رائعته «الوضوح والظلام» مشهورة، ظهر عدد من الكتب و الكراسات ولكن سرعان ما ان انكشف امرها وثم اعتقال عدد ممن وجد في حوزتهم مطبوعة كُردية.

التعليم

التعليم بالكُردية محظور في ايران وعلى الاطفال الكُرد التعليم بالفارسية المدارس لم تكن مجهزة تجهيزاً جيداً واعدادها لم تكن تفي بالحاجة وكان معدل الطلاب في الصف الواحد يربو على ٤٠ طالباً وفي كثير من المدارس كان يقوم معلم واحد بتعليم ٢٥٠-٣٠٠ طالب وعشرات الالوف من الاطفال لم يشاهدوا المدرسة على الاطلاق . الجدول أدناه يبين الواقع. نسبة الاميين من عمر ١٠ فما فوق.

الجدول (٥) المصدر: احصاء ١٩٦٦

	الولاية		المدنية		الريف	
الاسم	الكلي	النساء	الكلي	النساء	الكلي	النساء
مهاباد	٨٥,٦	٩٤,٥	٦٢,٥	٨١,٦	٩٤	٩٩,١
سقز	٨٦,٩	٩٥,٣	٦٢,٦	٨١,٤	٩٣,١	٩٨,٧
كرمنشا	٧٠,٧	٨١,٨	٥٣,٢	٦٦	٨٩,٣	٩٨,٣
سنندج	٨٢,٤	٩٠,٥	٥٥,٧	٦٩,١	٨٩,٢	٩٨,٣

الرعاية الصحية كانت غير كافية في المدن ومعدومة في الريف. في ١٩٦٦ كان يوجد طبيب لكل ٤,٨٠٠ شخص وفي كثير من المناطق التي يقيم فيها ٢٠,٠٠٠ شخص لم يكن هنالك اي طبيب على الاطلاق والمعدل الاوروبي هو طبيب لكل (٥٠٠ شخص) في السبعينيات بقيت الأوضاع على حالها. ومع وجود مصادر المياه الجيدة والمناخ الملائم فان التراخوما و السل والملاريا امراض منتشرة في كُردستان.

الحالة الاقتصادية

مع دخول الرأسمالية في فترة ما بين الحربين فان كُردستان في عهد الشاه بقيت منطقة زراعية ومعظم السكان القادرين على العمل كانوا يعملون في الزراعة. الجدول أدناه يبين توزيع السكان بين القطاعات الاقتصادية الرئيسة في ١٩٦٦.

بإستثناء صناعة النفط في كرمنشاه لاتوجد صناعات تحويلية في كُردستان والى انتاج مواد البناء تنسب الارقام المدونة تحت باب الصناعة. في الحقيقة لا تستخدم الصناعة اكثر من ٥٪ من القوى العاملة الانتاج الزراعي يشكل ٨٠٪ من مجموع الدخل القومي في كُردستان، ٤٥٪ من تربية الاغنام والماشية و منتجات الالبان و ٣٥٪ من المحاصيل الزراعية ارتفع دخل الفرد الواحد في كُردستان من ٨٠ دولار في ١٩٦٠ الى ١٥٠ دولار في ١٩٧٥ علماً ان معدل الدخل في ايران في ١٩٧٥ كان ١,٣٤٠ دولاراً.

معظم الزيادة التي طرأت على الدخل القومي جاءت من زيادة سقف

الجدول (٦)

الولاية	الزراعة والتعدين	الصناعة والبناء	الخدمات
مهاباد	٦٧,٨	١٠,٧	٢١,٥
سقز	٧٠,٥	٨,٨	٢٠,٧
سنندج	٦٣,١	١١,٤	٢٥,٥
كرمنشاه	٤٦,٩	١٦,٩	٣٦,٢
كوردستان في ١٩٧٥	٧٠	١٠	٢٠

الانتاج ومن الارتفاع الحاد في اسعار النفط في السبعينيات. كان نصيب كُردستان من مليارات الدولارات التي تدفقت على ايران شيئاً رمزياً. لم تتم اقامة أي مشاريع صناعية كبيرة في كُردستان بإستثناء خط سكك الحديد الستراتيجي العسكري الذي ربط ايران بتركيا ولم ينشأ ميل واحد آخر منه في كُردستان. انشأ طريق ستراتيجي على طول حدود كُردستان يربط شمالها بجنوبها.

بقي مستوى المعيشة متدنياً وحسب ما جاء في احصائية ١٩٦٦ كانت ٥٠٪ من العائلات المؤلفة من ٥-٦ افراد تقيم في غرفة واحدة و ٨٠٪ من البيوت كانت مبنية من الطين واللبن ومعظمها لم يكن مجهزاً بالكهرباء وشبكة المياه الصالحة للشرب . معدل ساعات العمل الاسبوعي ٥٤ ساعة.

في السبعينيات ومع تطور العلاقات الرأسمالية في ايران اصبح الاقتصاد في كُردستان والذي كان معتمداً على الاقتصاد الايراني منذ مطلع القرن العشرين جزءً مكملاً للاقتصاد الايراني ولذا بقيت ايران رغم كل التغيرات متأخرة فان كُردستان بلا ريب كانت احدى افقر بقاع العالم.

العشيرة

ولو ان العشائرية تفككت اجتماعياً واقتصادياً منذ السبعينيات فأنه يستحسن بنا ان نلقي نظرة على تطورها حيث بقي الريف الكُردي متأثراً بالعلاقات العشائرية. في منتصف القرن التاسع عشر كانت العشائر الرحل تؤلف نحو ثلث سكان كُردستان ايران العشيرة كانت تحتفظ بالارض بشكل جماعي . العشيرة تتألف من أفخاذ تتفرع هي الاخرى الى مجموعات. الأغا يتمتع بالسلطة وقراراته كانت واجبة الاطاعة وكان

لوجهاء القبيلة تأثير كبير في قراراته وعند موت الاغا يخلفه ابنه الاكبر في رئاسة العشيرة وإن لم يوجد ابن فان كبار القوم ينتخبون رئيساً وفي حالات نادرة كانت المرأة تتولى رئاسة العشيرة.

الاغا هو الذي يحسم كل القضايا ويعطي الموافقة على الزواج. ومع انه لايمتلك ارض العشيرة والمراعي فقد كانت له امتيازات حيث يقوم القرويون بتجهيز الاغا بالمحاصيل وكميات من الصوف كل سنة. وفي كل عشيرة توجد طبقات ثلاث فهنالك رئيس العشيرة وافراد عائلته ولهم الامتيازات وهنالك الخدم الذين يؤدون اعمالاً مختلفة وهنالك افراد العشيرة العاديون وفي كل قبيلة يوجد رجل دين او سيد ووضع الفرد في العشيرة يعتمد على عدد الاغنام التي يمتلكها وضمن نطاق العشيرة توجد حرف عدة مثل النجارة والحدادة ونسج السجاد وعمل الخيام وحياكة الملابس، وفي بداية القرن العشرين شاع استعمال النقود بدلاً من المقايضة.

في فترة ما بين الحربين استخدمت الحكومة القوة العسكرية لإسكان الرحل وكانت لهذه العمليات اثار مدمرة على الناس. من بين ١٠,٠٠٠ كُردي من عشيرة جلالي التي كانت تقطن المنطقة الحدودية بين ايران وتركيا و الاتحاد السوفيتي لم يبق منهم سوى عدة مئات اثناء وبعد حملة تهجيرهم الى وسط ايران و عادوا الى موطنهم عام ١٩٤١. ان الجنرال احمد اغا خان ذاع صيته لقيامه بتصفية اللورستانيين ولُقب بقصاب لورستان. وتلقت عشيرة كلباغي نفس المعاملة حيث تم ترحيلها الى همدان واصفهان وتم الاستيلاء على اراضيها من قبل اناس يتحدثون باللغة التركية، كانت الاجراءات التي طبقت بحقهم صارمة جداً الى درجة ان الكثيرين من افراد العشيرة فروا الى الجبال وبدأوا بمقاومة السلطات.

جاءت هذه العمليات لخدمة مصالح البرجوازية الايرانية التي كانت

بحاجة الى سكان مستقرين بغية ايجاد سوق مستقرة يمكن الاعتماد عليها. نظراً لخطر التجارة عبر الحدود وبسبب برامج الاسكان اضطرت العشائر الى شراء حاجاتها من السوق الايرانية. كانت عملية الاسكان في منفعة الملاكين الكُرد وغير الكُرد الذين قاموا بشراء الأراضي من الفلاحين. كما ان عملية الاسكان سهلت عملية جمع الضرائب وساهمت في زيادة دخل الدولة وساعد استقرار السكان على تجنيد الشباب للخدمة العسكرية.

عقب تقسيم كُردستان قيدت الحدود الجديدة المحمية جيداً من الهجرة التقليدية بين الصيف والشتاء وفي بعض الحالات ادى ترسيم الحدود الى تقسيم العشيرة الواحدة بين دولتين او اكثر مثلما ما حدث مع عشائر الهركي وشكاك وبحلول السبعينيات اختفت البداوة وأزداد عدد القرى وعدد سكانها، الجدول أدناه يبين عدد القرى وعدد سكانها.

وفي أواخر السبعينيات كان هنالك ٧,٥٠٠ قرية في كُردستان ايران وكان عدد كبير منها صغيرة مؤلفة من ٥-١٠ عوائل والبعض الاخر كان كبيراً مؤلفاً من ١٠٠٠-٢٠٠٠ عائلة.

الجدول (٧)

المنطقة	عدد القرى			عدد السكان		
	١٨٥١	١٩٥١	١٩٦٧	١٨٥١	١٩٥١	١٩٦٧
باره	٨	١٦١	٢٠٣	١,١٢٥	١٥,٠٠٠	٢٨,٠٠٠
مارفان	١٤	١١١	٢٩٠	١,٠٤٠	١٧,٠٠٠	٩٤,١١٧
هورامان	٩	١٢١	٢٩٠	٦٠٥	٣٩,٥٠٠	٩٤,١١٧

وتشير الاحصاءات الى ان ٩٠٪ من سكان كُردستان مستقرون. في الربع الثاني من القرن العشرين استولى الزعماء على الاراضي الزراعية وعلى اراضي الرعي و اصبحوا اقطاعيين واصبحت ارض العشيرة ملكاً للرئيس وبعد برنامج الاصلاح الزراعي في الستينيات والسبعينيات اختفت الاقطاعية واصبحت الرأسمالية واقتصاد السوق هما المهيمنان في المجتمع الكُردي وحل محل التركيبة الاجتماعية التقليدية. ومع ان البنية التحتية الاقتصادية تغيرت إلاّ أن التقاليد وتفكير الناس لم يتغيرا.

يمكن معرفة تأثير الاصلاح الزراعي على تركيبة المجتمع الكُردي الريفي ضمن الجدول:

الجدول (٨)

الفئة	النسبة المئوية		مقدار الملكية، بالدونمات
	١٩٦٠	١٩٧٥	
الملاكون الكبار	٪٩٣	——	٧٥٠ دونم
الملاكون المتوسطون	٪٠,٦	٪٠,٨	٧٥–١٢٥ دونم
الملاكون الصغار	٪١,٥	٪٢,٥	١٢–٥٠ دونم
الفلاحون	٪٣	٪٣٢	١–٧ دونم
المحرمون	٪٧٢	٪٢٥	——
العمال الزراعيون	٪١٠	٪٢٤	——

ومع ان الارقام لسنة ١٩٧٥ تخمينية لعدم توفر الاحصائيات فإن المنحني البياني واضح. الملاكون الذين كانوا يملكون ٦٠٪ من الارض قد اختفوا من المشهد، اما المتوسطون فاستطاعوا التشبث بممتلكاتهم والتملص من قانون الاصلاح الزراعي حيث لم تشأ الحكومة الضغط عليهم بشدة. غير ان توزيع اراضي الملاكين الكبار رفع من اعداد الملاكين الصغار وكذلك اعداد الفلاحين.

ولعدم وجود استثمار كبير في المنطقة فان البروليتاريا الصناعية لم تنمو بشكل كبير. مستويات البطالة كانت عالية وازدادت الهجرة الى المدينة من القرية. ان حركة التصنيع الكبيرة في ايران لم تمس كُردستان على الاطلاق كانت البرجوازية هي الاخرى ضعيفة. ومع نمو المدن الكُردية فإن الطبقة الوسطى المرتبطة بالادارة وقطاع الخدمات اصبحت قوة سياسية مهمة وشكلت القاعدة الاجتماعية في المجتمع الكُردي لنظام الشاه.

مراجعة تأريخية من واقعة جالدران الى الحرب الثانية

في ٢٣ اب ١٥١٤ وبدعم من الكُرد تغلب جيش السلطان سليم على قوات الشاه اسماعيل الصفوي في موقعة جالدران وهذا التأريخ يرمز الى بداية تقسيم كُردستان بين الفرس والعثمانيين.

بعد موقعة جالدران وعلى مدى القرن السادس عشر انبرى البلدان في تكريس الدولة المركزية، اصطدمت هذه المركزية في الادارة بالامارات الكُردية. في ١٦٠٨ سحقت المقاومة البطولية والاسطورية للأمير الكُردي خان برادوست في قلعة دم دم من قبل الشاه عباس الصفوي. تقدم جيش القزلباشي لإبادة الكُرد في المنطقة الواقعة غربي بحيرة اورمية وفي ١٦٣٩ وقع الشاه عباس معاهدة مع السلطان العثماني مراد التي اعطت كُردستان بتقسيمها الجديد الصفة الرسمية والدولية ولم تتغير الحدود في هذه المنطقة الا قليلاً منذ توقيع هذه المعاهدة. وعلى مدى ٥٠٠ سنة ومنذ واقعة جالدران كافح كُرد ايران بشكل مستمر منذ سيطرة اصفهان العاصمة القديمة وطهران الحديثة وكانت امارة اردلان اخر امارة كُردية في سينا (شنو).

احتفظت باستقلاليتها الى عام ١٨٦٥

احدى كبريات الثورات الكُردية في القرن التاسع عشر اندلعت في ١٨٨٠ بقيادة الشيخ عبيدالله و حررت المنطقة الكائنة بين بحيرة وان وبحيرة اورمية وكانت هي الثورة الاولى التي تهدف الى توحيد واستقلال كُردستان بكاملها. سُحقت الثورة بتعاون مشترك بين العثمانيين والفرس.

اثناء الحرب الاولى اصبحت كُردستان ايران مسرحاً للقتال بين القوات الروسية والتركية. ولغرض اضعاف الشعور القومي الكُردي عمدت السلطات التركية الى اثارة الكراهية الدينية تجاه الديانات الاخرى وخاصة ضد الأرمن.

ادى تقسيم الامبراطورية الى تصاعد الكفاح الكُردي للإستقلال ، وفي ايران فان معاهدة سيفر في ١٩٢٠ وثورة شيخ محمود في العراق وضعف حكومة طهران كل ذلك شجع كُرد ايران على التمرد.

في الفترة من ١٩٢٠ – ١٩٢٥ استطاع سمكو اغا الشكاكي الاستيلاء على جميع المنطقة الواقعة غرب بحيرة اورمية ودعا الى استقلال كُردستان. في ١٩٢٣ توجه سمكو الى السليمانية للتنسيق بين حركته و حركة الشيخ محمود. ارسل الانكليز عملاء لهم لخداع سمكو وذلك باعطائه وعوداً كاذبة وارتكب الخطأ الكارثي عندما اقدم سمكو على قتل الزعيم الآشوري وبعد هذا الحادث ضعف موقفه كثيراً دولياً.

في ١٩٢٥ جاء رضا شاه الى الحكم من خلال انقلاب عسكري دبّره الانكليز وحاول تأسيس دولته المركزية وفي ٢١ حزيران ١٩٣٠ دعا سمكو الى اجراء مفاوضات مع الجيش في اوشنو وتم اغتياله هناك. وبعد عدة سنوات اندلعت ثورة اخرى في ١٩٣١ وفي هذه المرة في الجنوب بقيادة جعفر سلطان.

جمهورية مهاباد

وفي ٢٠ اب ١٩٤١ دخلت القوات السوفيتية والبريطانية والامريكية ايران وحلت محل دكتاتورية رضا شاه حكومة ضعيفة اتخذت من طهران مقراً لها دون ان تكون لها سيطرة على جنوب البلاد الذي كان تحت سلطة الاحتلال الانكلو امريكي او على شمالها الذي كان محتلاً من قبل

القوات السوفيتية. منحت بعض الامتيازات الديمقراطية الى عدد متزايد من الاحزاب السياسية في البلاد.

اما منطقة مهاباد فلم تكن ممثلة من قبل اية قوة وهي تقليدياً موطن القومية الكُردية وعملت كمنطقة ردع بين القوات السوفيتية في الشمال والانكليز في الجنوب وفي ايلول ١٩٤٢ وبعد ان استغلوا الموقف اسس المهاباديون حركة سياسية سميت بـ كومالا ژياني كُردستاني (احياء كُردستان).

ان «كومالا» التي هي حركة قومية يقودها مثقفون كُرد من المدينة وليس القرية سرعان ان لقيت تأييداً جماهيرياً واسعاً في المدينة والريف على حد سواء لم يكن لدى كومالا برنامجاً سياسياً واضحاً ومحدداً ولم يكن لها جهاز تنظيمي. في ١٩٤٣ جرى انتخاب قيادة جديدة لها. تقدمت الحركة الديمقراطية في كُردستان ايران بسبب النمو السريع لكومالا. كانت هنالك حاجة ماسة لكادر سياسي متقدم وبرنامج يستطيع مواكبة روح العصر ولتنظيم كفوء قادر على قيادة الالوف من الاعضاء.

تم تشكيل حزب جديد في ١٩٤٥م سمي بالحزب الديمقراطي الكُردستاني وانضم اعضاء كومالا جميعهم الى الحزب الجديد. لعب مثقف كُردي بارز وشخصية سياسية ودينية واجتماعية هو قاضي محمد دوراً كبيراً في تأسيسه، قدم KDP الايراني برنامجاً مكوناً من ثمان نقاط مهمة:-

١. السماح للشعب الكُردي بالتعلم بلغته التي يجب ان تكون اللغة الرسمية في المناطق الكُردية.

٢. يجب ان يتضمن دستور البلاد اختيار اعضاء المجالس المحلية بطريقة الانتخاب.

٣. ان الشعب الكُردي في ايران يجب ان يدير شؤونه المحلية وان يحصل على الحكم الذاتي ضمن اطار الدولة الايرانية.

٤. ان موظفي الدولة يجب ان يتم اختيارهم من قبل السكان المحليين.

٥. ضرورة ايجاد قانون ينظم العلاقة بين الملاكين والفلاحيين لضمان حقوق كل من الطرفين.

٦. K.D.P يناضل من اجل تعزيز الاخوة مع الاذربيجانيين والاقليات الموجودة في اذربيجان من اشوريين وأرمن.

٧. يهدف K.D.P الى تحقيق تقدم في الزراعة والتجارة والتعليم والصحة وتحسين حالة الكُرد المادية واستغلال الموارد بشكل جيد.

٨. يجب توفير الحرية للعمل السياسي لكل مكونات الشعب الايراني.

لأن هذا البرنامج يمثل طموحات الشعب الكُردي فإنه حاز على تأييد معظم شرائح المجتمع الكُردي. الظروف الخاصة التي سادت كُردستان وايران شجعت القوى الديمقراطية على المضي في مسيرتها المتصاعدة. وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٦ واثناء اجتماع جماهيري حاشد حضره وفود من المناطق المجاورة اعلن عن قيام اول جمهورية كُردية وانتخب قاضي محمد زعيم K.D.P رئيساً لها.

عاشت الجمهورية لأقل من سنة ولكنها حتى في هذه الفترة القصيرة كانت جد فعالة واستطاعت تحقيق جملة من الاهداف التي وردت في منهاج K.D.P. اصبحت الكُردية اللغة الرسمية في الادارة والتعليم وظهرت عدة دوريات كُردية وخاصة «كُردستان» و «هلاله» وكانت هنالك مجلة نسوية واخرى للأطفال.

كما تم تأسيس مسرح كُردي وبدأت المرأة الكُردية تلعب دوراً نشطاً

في الحياة الاجتماعية والسياسية لأول مرة في تاريخ كُردستان. وبسبب توسع التجارة مع الاتحاد السوفيتي بدأ الاقتصاد بالانتعاش. كما جرى توزيع املاك الاقطاعيين الذين تركوا المنطقة وبدأوا بالتعاون مع طهران على الفلاحين وعلى العوائل البارزانية التي هربت من ملاحقة السلطات لها و وجدت لها ملاذاً مؤقتاً في مهاباد، ولكن لم يجر اصلاح زراعي شامل كالذي حدث في اذربيجان. ان الوظائف العليا التي كانت من نصيب الفرس والاذربيجانيين اصبحت الان للكُرد. وتم حل الجيش والشرطة الايرانية و حلت محلها قوات البشمركة والجيش الوطني ورفع العلم الكُردي المكون من اللون الاحمر والابيض والاخضر مع شمس في وسطه محاطة بدواة الشمس و سنابل القمح.

الشمس ترمز للحرية والدواة علامة لأهمية العلم واصبحت اغنية كُردية مشهورة النشيد الوطني الكُردي أيها العدو، الكُرد لايزالون احياء.

الكُرد باقون رغم انف الاعداء

الكُرد باقون وعلمهم سيبقى يرفرف في العلياء.

تشكلت الوزارة من ١٣ وزيراً ومن بينهم وزير للحرب وآخر للخارجية. لم يكن هنالك برلمان ولا مجلس تشريعي لذلك كانت القوانين تصدر بمراسيم جمهورية ولكن القضايا العدلية كانت تعالج من قبل المحكمة العليا ووزارة العدل. واقامت السلطات ادارة محلية للجمهورية لم يقرر بعد شكل الحكومة. اهي حكومة اقليمية ذات حكم ذاتي ؟ ام هي جمهورية مستقلة ؟ لم تفصح الحكومة بعد عن منهاجها وعن اهدافها.

في ٢٣ نيسان ١٩٤٦ وقعت حكومتا كُردستان و اذربيجان معاهدة للصداقة احتوّت على سبع فقرات:-

١. ان ممثلي الحكومتين سيجتمعون كلما كان ذلك ضرورياً .

٢. في اذربيجان وفي المناطق التي يكون الكُرد الغالبية فيها ستتم ادارتها من قبل اداريين كُرد و تعامل بالمثل المناطق الاذربيجانية في حكومة كُردستان.

٣. تشكيل لجنة تبحث في المسائل الاقتصادية وتكون مسؤولة امام القيادة في الحكومتين.

٤. ستشكل الحكومتان تحالفاً عسكرياً للإسناد المتبادل .

٥. أية مفاوضات تجرى مع طهران تكون بموافقة وعلم الحكومتين .

٦. تقوم حكومة اذربيجان باتخاذ الاجراءات الضرورية لتطوير اللغة والثقافة الكُردية بين الكُرد المقيمين فيها وتقوم حكومة كُردستان بإجراءات مماثلة بحق الاذربيجانين فيها.

٧. يعاقب كل شخص يحاول نسف الصداقة التاريخية و الوحدة الديمقراطية والتحالف بين الشعبين الكُردي و الاذربيجاني بشكل مشترك من قبل الحكومتين.

رغم كل ما قيل وكتب فإن لكل من الحكومتين طريقتها في التعامل مع المسائل الداخلية. في اذربيجان اخذت السلطات مطالب العمال والفلاحين بنظر الاعتبار وباشرت ببرامج للاصلاح الاقتصادي والوضع الاجتماعي. بينما في كُردستان فان النظام المرعي المطبق هو الوحدة القومية دون تحيز لفئة على حساب فئة بما ان المجتمع الكُردي كان اكثر تخلفاً اقتصادياً واجتماعياً فان الخطط والاهداف كانت اكثر اعتدالاً.

بقيت مشكلة رسم الحدود بين الحكومتين قائمة، تطلب الأمر نقاشات مستفيضة لحسم اوضاع المنطقة غرب بحيرة اورمية وخاصة وضع مدن خوي ومياندواو وسلموس واورمية (رضائية).

ولكن في ربيع ١٩٤٦ كانت هذه المسائل تعتبر ثانوية وكانت الاولوية للدفاع عن الحكومتين ضد طهران التي يساندها البريطانيون والامريكيون . كانت للمعاهدة دلالات هامة وتلقتها طهران بقلق بالغ وعدم ارتياح.

كان K.D.P احد الاطراف المشتركة في تأسيس جبهة ضمت ايضاً الحزب الشيوعي (توده) والحزب الديمقراطي الاذربيجاني وثلاثة احزاب تقدمية اخرى. هكذا اصبحت كُردستان قاعدة لجميع القوى الديمقراطية في ايران. وكُردستان ايران اصبحت في الوقت نفسه مركزاً للتعاون والتضامن بين كل اجزاء كُردستان في الشرق الاوسط. كان الوطنيون والقوميون الكُرد يفدون اليها ويستقبلون بكل حرارة. كان البارزانيون واكراد قدموا من سوريا والعراق وتركيا يستقبلون بود اخوي في مهاباد. (رأى الشعب الكُردي في جمهورية مهاباد رمزاً لطموحاتهم وتوقعوا لها ان تصبح النضال لتحرير كل كُردستان،

الوضع السياسي في ايران وخاصة الوضع السائد جنوب سقز منع الجمهورية من تحرير سقز و سنندج وكرمنشاه.

لقد قامت الجمهورية على اقل من ثلث مساحة كُردستان ايران وبلغ نفوس سكان الجمهورية مليون شخص فقط.

وطبقاً لإتفاقيات طهران بدأت القوات المتحالفة بمغادرة ايران بعد مضي ٦ اشهر على انتهاء الحرب حسب اتفاق الدول المتحالفة. خرجت القوات السوفيتية من شمال البلاد بعد ان خرجت القوات البريطانية و الامريكية بعدة اشهر. وقعت مع الاتحاد السوفيتي اتفاقية تسمح للسوفيت التنقيب واستغلال النفط في شمال ايران وبنهاية مايس خرج اخر جندي سوفيتي من البلاد.

في خريف ١٩٤٦ خططت حكومة طهران لإجراء انتخابات في كل ايران وتطلب تنفيذها تواجد القوات الايرانية في كل مكان وعلى الاخص في كُردستان واذربيجان. وفي كانون الاول تقدم الجيش الامبراطوري نحو اذربيجان وانهارت الحكومة بدون أية مقاومة وهرب قادة الحركة الى الاتحاد السوفيتي وسقطت الحكومة في ١٧ كانون الاول ١٩٤٦. وبعد ذلك بزيام قليلة دخلت القوات الايرانية مهاباد ومرة اخرى لم تواجه أية مقاومة ولكن قادة الجمهورية وعلى رأسهم قاضي محمد لم يلوذوا بالفرار وبقوا داخل المدينة. أما البارزانيون فقد انسحبوا الى نغده و شنو. في اذربيجان تم قتل الالوف من الديمقراطيين من قبل الاهالي والجيش يغض الطرف عنها. اما في مهاباد فآثر الجيش التهدئة والتفاوض. اما البارزانيون فقد أنتظروا نتائج المفاوضات التي يجريها ملا مصطفى في طهران، ولكن الهدوء لم يدم طويلاً.

في نهاية كانون الاول تم اعتقال قاضي محمد مع عدد آخر من قادة الجمهورية. انهارت مفاوضات البارزاني في ٢٢ شباط ١٩٤٧ وتقدم الجيش الايراني نحو نغده. انسحب البارزانيون نحو الحدود العراقية الايرانية وتمكنوا من تجنب هجمات الجيش الايراني الذي لحقت به خسائر كبيرة وتم اسر العديد من جنوده وضباطه. وفي ١٣ نيسان عبر البارزاني الى داخل العراق.

بدأ الجيش في هذا الوقت بنزع سلاح المتعاطفين مع الجمهورية واحتفظت العشائر التي تعاونت مع طهران وحاربت البارزاني بأسلحتها. وبعد محاكمة امام محكمة عسكرية حكم على قاضي محمد وشقيقه صدر محمد وابن عمه سيف قاضي بالاعدام. بسبب شعبية قاضي محمد ترددت السلطات في تنفيذ حكم الاعدام بحقه ولكن وفي ٣٠ اذار

١٩٤٧ وعند الفجر اخذ قاضي محمد و شقيقه صدر محمد وابن عمه سيف قاضي الى ساحة جار جرا في حماية قوة كبيرة ونفذ فيهم حكم الاعدام. تبع ذلك اعدامات اخرى لترهيب الناس.

بمعية الشيخ احمد القائد الروحي للبارزانيين رجع معظم البارزانيين و خاصة النساء والاطفال منهم الى العراق، ولكن مصطفى البارزاني الذي لم يكن يثق بالسلطات العراقية فقد قاد نحو ٥٠٠ مقاتل وفي ٢٧ مايس عبر الحدود التركية و عاد بهم الى ايران. ارسلت عشرات الالوف من الجنود لمطاردتهم. استمرت معركة البارزاني معهم لمدة ٣ اسابيع والى ١٨ حزيران ١٩٤٧، وبعد قطع مسافة. ٢٠ ميل عبر البارزانيون نهر اراكس ودخلوا الأراضي الروسية.

ومع أن معرفة اسباب فشل هذه التجربة و تحليلها هي خارج امكانية هذه المقالة ولكننا نستطيع تسليط الضوء على بعض من عناصر ضعفها وخاصة عناصر الضعف في قيادتها. كان من شبه المستحيل إعداد كادر سياسي كفوء وقوات عسكرية في بحر سنة من عمر الجمهورية وهذا النقص كان ظاهراً في كل مفاصل الجمهورية. كما ان العوامل الخارجية هي الاخرى لعبت دورها في فشل التجربة.

حكومة طهران نالت تأييد ودعم القوات البريطانية والامريكية. كما انها لم تجد صعوبة في اقناع السوفيت بالبقاء على الحياد. ولكن من جهة اخرى اذا أخذنا بنظر الاعتبار هشاشة نظام الحكم في طهران وشعبية جمهورية مهاباد فانه كان بمقدور القوات الكُردية اظهار مقاومة اشد وكما برهنت على ذلك وقفة البارزاني تجاه القوات الايرانية.

عشرون عاماً من التقلبات

بعد سقوط جمهورية مهاباد بدأت فترة ركود سياسي فمعظم مناضلي K.D.P الايراني وكوادر الجمهورية اما اعدموا او زُجّ بهم في السجون. ولكن المناضلين الشباب لم يصبروا على ذلك طويلاً. منذ ١٩٤٨ بدأت المنشورات تظهر في منطقة مهاباد.

في ٤ شباط ١٩٤٩ جرت محاولة لإغتيال الشاه في جامعة طهران بتشجيع من شركة النفط الانكلو-إيرانية استغلت الحكومة محاولة الاغتيال هذه لسحق الحركة الديمقراطية في كل انحاء ايران واعتقل المئات من اعضاء K.D.P وحكم عليهم بالسجن لفترات مختلفة.

عندما وصل الدكتور مصدق الى السلطة كان هنالك نشاط سري للاحزاب السياسية. وفي انتخابات ١٩٥٢ اي بست سنوات على سقوط جمهورية مهاباد حصل مرشح K.D.P على اكثر من ٩٠٪ من اصوات الناخبين في مهاباد والمناطق المحيطة بها، تم الغاء الانتخابات وعينت الحكومة شخصية دينية ممثلاً عن سكان مهاباد في البرلمان.

وفي تلك السنة انتفض فلاحو بوكان بقيادة K.D.P ضد الاقطاعيين وممارسات الشرطة، انتشرت الانتفاضة لتشمل كل المنطقة الكائنة بين مهاباد وبوكان.

ولكن وبأمر من الشاه أرسل الجيش لمساعدة الاقطاعيين في اخماد الثورة.

اثناء حملة مصدق لتأميم النفط المستثمر من قبل شركة النفط الانكلو-الايرانية كانت كُردستان تقف مع المصدق في قراره لتأميم النفط. وفي استفتاء ١٣ اب ١٩٥٣ صوت الكُرد بشكل مطلق لتحديد صلاحيات

الشـاه، وفـي ١٩ اب رتب C.I.A انقـلاباً اطاح بمصـدق، تـردُد حكومـة مصدق وتحفظ واخطاء القوى الديمقراطية الرئيسية (حزب توده) وسلبية العناصـر الوطنيـة في يوم الانقـلاب.اعطت القـائمين بـه نصـراً سـهـلاً. وعندما نجحت الشرطة في كشف تنظيم الضباط اعقب ذلك القضاء على القوى الديمقراطية الواحدة تلو الاخرى.

جاء الانقـلاب للقضـاء على القوى الثورية وتثـبيت النظام الرجعي في طهران الموالي للإسـتعمـار. تم الغاء قانون تـأميم النفط الذي كـان يمثل النضـال الشـاق الطويل للشـعب الايراني. جرى قمع القوى الديمقراطية واعـتقـال الالوف من العناصـر الوطنية واعـدم المئات وسـاد الاسـتبـداد وسيطر الجيش على كل مرافق الحياة.

في ٢٣ شبـاط ١٩٥٥ وقعت كل من ايران وتركيا والعـراق وباكسـتان حلفاً اطلق عليه اسم «حلف بغداد» وفي ٤ نيسان انضمت بـريطانيا اليه، ومع أن الولايات المتحدة لم تكن عضوة في الحلف فإنها ساهمت بنشاط في كافة انشطة ولجـان الحلف، ومن بين الزمـور التـي كـان الحلف يهدف اليها مثل مـعاهدة سعد اباد مـحـاربة أية حركة كُردية من شـأنها الاخلال بأمن دول المنطقة.

وحـتى بعـد انقـلاب التـاسع عشـر مـن آب ١٩٥٣ اسـتطاعت جـوانرو العـشـيـرة الكُردية في شـمـال كـرمنشـاه على مقـربة من حـدود ايران مع العراق الاحـتفـاظ بنـوع من الاسـتقـلال الذاتي وبفضل و عورة منطقـتـهم كانوا قـادرين على الدفـاع عن انفـسـهم. في ٤ شـبـاط ١٩٥٦ قـام النظام بهجوم على هذا المعقل الاخير للكُرد في ايران.

أرسلت قطعـات كبيـرة من الجـيش تسـاندها الطائرات والدبابات وهب نوري سـعيد رئيس وزراء العراق الـى نجدة ومسـاعدة الجيش الايراني.

قاومت جوانرو ببطولة ولكن المنازلة لم تكن متعادلة. تمت الاحاطة بالعشيرة واضطر رجالها الى التخلي عن قراهم ولاذوا بالجبال، تم تدمير القلعة وحصن جوانرو رمز حرية واستقلال العشيرة وسويت بالأرض تماماً.

وفي ١٤ تموز ١٩٥٨ تمت الاطاحة بالنظام الملكي احد اهم مرتكزات الامبريالية في المنطقة وفتحت افاق جديدة امام القوى الديمقراطية والمنظمات الكُردية. وكان للثورة تأثير كبير على ايران و خاصة على كُردستان ايران حيث بدأت الحركة الكُردية الايرانية بالانتعاش من جديد.

وفي خريف ١٩٥٩ وقد ارعبها نمو الحركة الكُردية الديمقراطية اخذت الحكومة الايرانية بالضغط على المعارضين وجرى اعتقال مئات الفلاحين والعمال والمعلمين ورجال الدين وحكم على اربعة منهم بالموت وثلاثة منهم من K.D.P، ولكن بفضل الاحتجاج الشعبي في اوروبا وفي الشرق الاوسط اضطر الشاه الى تخفيض الحكم الى السجن مدى الحياة.

الكفاح المسلح بين ١٩٦٧ - ١٩٦٨

في ايلول من عام ١٩٦١ اندلعت انتفاضة كُردية في كُردستان العراق ومع ان الحركة كانت تعوزها برامج متماسكة فانها سرعان ان نالت مساندة الكُرد في العراق والتعاطف من كُرد ايران. ووجد هذا التعاطف تعبيره في المساعدة المادية التي قدموها لكُرد العراق، ارسلوا الملابس والتجهيزات والاموال والذخائر التي كانوا يشترونها من ضباط الجيش الايراني وحتى ١٩٦٦ كانت هذه المعونة تنظم من قبل K.D.P الايراني وكان لها اكبر الاثر في استمرارية وديمومة حركة البارزاني.

لم تمض فترة طويلة قبل ان يقدم الشاه معونة مباشرة على زمل إضعاف حكومة بغداد التي لم يغفر الشاه لها اطاحتها بالنظام الملكي الحليف له واراد بهذه المعونة ايضاً ان يضمن لنفسه نوعاً من النفوذ المباشر على الحركة الكُردية العراقية.

تقوم الفكرة على جعل البارزاني معتمداً على معونة الشاه وان تزداد هذه المعونة مع نمو الحركة و بهذه الصورة يصبح بقاء الحركة مرهوناً ببقاء هذه المعونة.

إن الحكومة الايرانية في تقديمها لمساعداتها للبارزاني كانت تأمل في تحييد الحركة الكُردية داخل ايران او فك التضامن بين كُرد ايران والعراق. وعندما كثّف الشاه من مساعداته للبارزاني طلب من الاخير التعاون مع السلطات الايرانية في تحجيم أي نشاط للحركة الكُردية في ايران. طلب البارزاني من K.D.P الايراني تجميد انشطته السياسية والعسكرية ضد حكومة الشاه. استوجب على K.D.P ان يبقى ساكناً وان لا يقوم بشيء قد يُغضب ايران فتقوم بقطع المساعدة عن البارزاني. ان اي مناضل ايراني يرفض قبول هذا الامر يكون شخصا غير مرغوب فيه في كُردستان العراق وان اي عمل يرتكب من قبل K.D.P الايراني ضد الشاه يعتبر عملاً عدائياً موجهاً ضد الثورة الكُردية في العراق.

حدث هذا عندما كان المئات من الكُرد الايرانيين يقاتلون في صفوف قوات الحركة الكُردية ضد قوات حكومة بغداد.

في أوائل ١٩٦٧ قرر عدد من قادة الكُرد الايرانيين أنه لم يعد هنالك من جدوى البقاء مع البارزاني وآثروا العودة الى كُردستان ايران ليواصلوا نضالهم هناك. شجع وصولهم اولئك الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر اللحظة المواتية لحمل السلاح وقتال سلطات الشاه وتكونت

نواة للثورة وتم تشكيل لجنة لقيادة الحركة وبدأت حرب العصابات في شتاء ١٩٦٧ التي استمرت لمدة سنة وجد القادة الجدد انفسهم بين فكي قوات الشاه وقوات البارزاني وسرعان ان خبتت جذوة النضال لديهم رغم قتالهم الشجاع.

قتل شريف زاده وهو مهندس كهربائي وعبدالله معيني الذي كان طالباً وملا أواره وهو رجل دين على ايدي القوات الايرانية وهم جميعاً كانوا اعضاء في اللجنة الثورية. وفي ربيع ١٩٦٨ عندما كان سليمان معيني الشقيق الاكبر لعبدالله معيني يحاول عبور الحدود الى ايران تم القاء القبض عليه من قبل البيشمركة و سلُم جثمانه الى السلطات الايرانية التي قامت بعرضها في عدة مدن كُردية لترهيب الكُرد.

وبعد فقدانها لمعظم قادتها انهارت الحركة واختفى العديد من مناضلي الحزب للنجاة من ملاحقة السلطات وقوات البارزاني لها. تم قتل اكثر من ٤٠ مناضل من K.D.P واعيد اخرون الى ايران.

استمرت القيادة الكُردية في العراق في تحجيم تحركات المناظلين الكُرد الايرانيين الى اعلان اتفاقية اذار ١٩٧٠ بينها وبين بغداد تلك الاتفاقية التي اعترفت بحكم ذاتي لكُردستان، ومنذ ذلك التأريخ و قادة K.D.P العراقي يستقبلون مناضلي K.D.P الايراني بحرارة وتحسنت العلاقة بين الحزبين خلال الاربع سنوات التي تلت الاتفاقية ولكن المنع لأي نشاط لـ K.D.P الايراني داخل ايران بقي نافذ المفعول. استمر K.D.P العراقي في اعتبار حكومة الشاه التي هي من الد اعداء الكُرد حليفاً مقرباً. استمر نظام الشاه في تزويد كُرد العراق بالسلاح والعتاد والمواد الغذائية ولكنه كان يقوم بقمع الحركة الكُردية الايرانية وهلك الكثيرون من المناظلين في سجونه.

في ١٩ كانون الاول ١٩٧٢ تم اعدام ٥ مناضلين كُرد في سنندج. وفي ٢٢ آذار وفي مدينة بانه قتل قادر ويردي على أيدي الشرطة في وضح النهار بعد خروجه من اجتماع حزبي للجنة المركزية في K.D.P، وفي ١٥ نيسان ١٩٧٢ قتل اثنان من اعضاء K.D.P في سنندج. وفي مايس ١٩٧٢ تم اعدام صبي يبلغ من العمر ١٧ سنة لأسباب سياسية.

ان النهاية المحزنة للحركة الكُردية بقيادة البارزاني في ١٩٧٥ ترينا كم هو خطير بل ومأساوي تبني الاساليب الميكافيلية كمنهج والتضحية بمباديء التحرر القومي مقابل منافع تكتيكية سريعة الزوال.

شاه و كُردستان

في الربع الثالث من القرن العشرين مرت ايران بتغييرات اقتصادية واجتماعية كثيرة. ان النمو الاقتصادي الذي تباهى به النظام افاد الطبقات الحاكمة فقط وخاصة البرجوازية المتصاعدة والمرتبطة بالرأسمال الاجنبي وعائلة البهلوي التي تسيطر على المفاصل الرئيسة للاقتصاد. اما عامة الشعب وخاصة العمال في المدن و الفلاحون في الريف فكانوا يعيشون في فقر مدقع. بقي جزء كبير من الشعب يعاني من الامية ولا يحصل على رعاية صحية كافية. اما سياسة الشاه فقد كانت ترمي الى تطوير رأس المال عن طريق خلق برجوازية صغيرة، ان هذا التوجه قلل من خطر تفجر اجتماعي في البلاد. قبل تطبيق الاصلاح الزراعي كان الفلاحون فيها لا يمتلكون شيئاً.

هذا النمو السريع للرأسمالية ولّد عدة تناقضات في المجتمع توقف تقدم البرجوازية بسبب الوضع المتميز للرأسمال الاجنبي. في السبعينيات تجاوزت ايرادات النفط ٢٠ مليار دولار. وبما ان ايران غنية

بالغاز والنحاس فإن البلاد لم تكن بحاجة الى الموارد المالية. ومع ذلك فقد حصل عجز في الميزانية في ٩٧٧ – ١٩٧٨ بمقدار بليون ريال.

بدلاً من حل مشاكل الريف خلق الاصلاح الزراعي مشاكل اقتصادية جديدة. في ١٩٥٠ كانت ايران مستوردة رئيسة للمنتوجات الزراعية وبقيت الزراعة راكدة.

ان التزايد المستمر في ادخال المكننة الى الزراعة نتج عنه تزايد الهجرة الفلاحية من القرية الى المدينة وازدادت البطالة واصبحت الحياة في المدينة صعبة.

اكتسبت البرجوازية والطبقات الوسطى قوة اقتصادية ووسعت من قاعدتها الاجتماعية. كما ان الطبقة العاملة الصناعية اصبحت قوة لها وزنها السياسي والاجتماعي ولكن الشاه استمر في احتكار السياسة.

فالتشريع والصلاحيات التنفيذية كانت بيد الشاه وسيطر على الشرطة والجيش والسافاك.

لعب نظام الشاه بشكل متزايد دور الشرطي في الخليج خاصة وفي الشرق الاوسط بشكل عام كما هو مبين من تدخل الجيش الايراني في ظفار واستيلاء ايران على جزر في الخليج. كانت ايران مرتبطة بالولايات المتحدة بمعاهدة عسكرية ثنائية وكذلك من خلال حلف «السنتو» المركزي ، ألوف المستشارين الامريكيين ارسلوا الى ايران لتدريب الجيش والشرطة والشرطة السرية. حاول الشاه بناء أقوى جيش في غرب اسيا واصبحت ايران المشتري الرئيسي للسلاح الامريكي. وحسب تقرير قدم الى مجلس الشيوخ في ١٩٧٦ فإن ايران دفعت ١٠.٤٠٠ مليون دولار الى الولايات المتحدة في الفترة من ١٩٧٢ الى ١٩٧٦ وفي ١٩٧٢ كان هنالك نحو ١٥.٠٠٠ مستشار امريكي عسكري في ايران.

ووصل العدد في ١٩٧٧ الى ٢٤,٠٠٠ مستشار وجاء في التقرير نفسه أن الخبراء شخصوا اهدافاً ثلاثة للمصالح الامريكية في ايران. اولها الموقع الجغرافي الستراتيجي لإيران والثاني ان لدى ايران القدرة على ضمان تدفق النفط من الخليج الفارسي الى الغرب وثالث هذه الاهداف هو تزايد فرص الاستثمار في ايران.

وصل القمع ذروته في السبعينيات ولم يبق شيء من الديمقراطية او الحرية. تم فرض الحظر على كل التنظيمات السياسية وعلى الاتحادات المهنية والدينية ولم تكن هنالك حرية الصحافة. الاعضاء في البرلمان والاعيان كانوا يعينون من قبل الشاه وكل شيء كان رهن بنانه وهو الوحيد الذي يستطيع تقييد نفوذ السافاك او توسيعه، هذه الاجراءات طبقت على كل اجزاء ايران ولكنها في كُردستان كانت الاشد، تمت السيطرة على تحركات السكان وكان على كل كُردي يريد السفر حتى لمسافات قصيرة اخبار المسؤول في القرية بالسفر ويقوم الاخير بإخبار السلطات الامنية بذلك. وبعد اتفاقية الجزائر بين الشاه وصدام في ٦ آذار ١٩٧٥ وانهيار حركة البارزاني اصبحت مناطق الحدود تحت مراقبة مستمرة وساد القمع كل كُردستان وامتنع النظام عن الاعتراف بوجود قومية كُردية وانتهج سياسة الصهر للقضاء على أية معارضة كُردية وطبقها ايضاً على العرب والاذربيجانيين و البلوشي ومع ان الفرس في ايران يشكلون نصف السكان المؤلف من قوميات عدة فان هذا النظام لم يعترف بأية حقوق قومية للمكونات الاخرى. ولكن المسألة القومية لا يمكن حلها بمجرد تجاهلها.

موقف الحركات السياسية في المسألة الكُردية

كانت كُردستان تركيا تعتبر اكثر المناطق تأخراً في البلاد، اما كُردستان العراق فكانت تعتبر اكثر مناطق البلاد تطوراً لظروفها الطبيعية وصناعات النفط فيها، ولكن في السبعينيات اصبحت كُردستان ايران اكثر مناطق كُردستان ديناميكية رغم تأثرها بالحروب. بعد ادخال العلاقات الرأسمالية في الانتاج والتغيرات في بنية المجتمع تفكك المجتمع الراكد ولم يعد اقتصاده هامشياً بالنسبة لاقتصاد ايران بل حصل الاندماج فيه و مع ان كُردستان ايران هي اقل اجزاء ايران تطوراً فإنها اكثر الاقاليم الكُردية تطوراً لأن ايران بلاد تقطنها قوميات عديدة. من حيث العدد يعتبر الكُرد القومية الثانية المضطهدة بعد الاذربيجانيين الذين يبلغ عددهم نحو ١٠ ملايين، ولكن اذا ادركنا ان البرجوازية الاذربيجانية قد اندمجت بشكل تام في الجهاز المركزي للدولة منذ زمن الشاه فان الكُرد هم اخطر القوميات في ايران على النظام.

القوميات غير الفارسية تشكل اكثر من نصف سكان ايران وبهذا يكون التعامل مع مسألة القوميات مسألة صعبة وحساسة حيث يترتب على منح اية حقوق لأية قومية تقدم القوميات الأخرى بطلبات مماثلة.

موقف حزب توده ! تأسس حزب توده عام ١٩٤١ ليصبح حزباً جماهيرياً لجميع شرائح المجتمع الايراني ولكنه لم يتخذ موقفاً واضحاً من مسألة القومية والقوميات.

صحيح أن توده دافع عن الحركات القومية و الوطنية في كُردستان واذربيجان بين ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ولكن توده اصبح اكثر تحفظاً منذ ذلك التأريخ. وعند الاعلان عن منهاجه في١٩٧٥ فأنه خصص فقرتين فقط

للمسألة القومية حيث يقول أن الاضطهاد القومي ضد الشعوب في ايران هو مظهر آخر من مظاهر سياسة الطبقة الحاكمة غير الديمقراطية ويستطرد فيقول أن ايران بلد متعدد الأعراق وهنالك روابط مختلفة تربط هذه الشعوب، لقرون عديدة تقاسمت شعوب إيران مصيراً مشتركاً وتعاونت على خلق تراث وثقافة إيرانية مزدهرة. وقدمت هذه الشعوب معاً تضحيات من أجل الحركة والاستقلال، على كل حال وبسبب الإضطهاد فان بعض هذه الشعوب حرمت من الحقوق التي هي حق لها.

إن الاضطهاد اصبح عائقاً امام تقدم البلد الاقتصادي والسياسي والثقافي.

لم تصدر من توده اي اشارة الى ان الفرس عانوا من الاضطهاد القومي. برامجه تؤكد أن شعوب ايران تشترك بمصير واحد. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل أن هذا المصير تم اختياره من قبل هذه الشعوب أم أنه فرض عليها فرضاً؟ أي تراث واية ثقافة تحدث عنهما توده؟ الثقافة زمن الشاه هي ثقافة القومية المهيمنة وهي ليست ثقافة او تراث الكُرد او البلوشي مثلاً، ليس لثقافة هذه الشعوب اي وجود في ذهنية القومية الحاكمة. يرى توده ان جميع شعوب ايران يجب ان تتمتع بحقوقها وإدارة شؤونها وان يكون لها حق تقرير مصيرها ويجب اعطاءها حقوقها والاعتراف بها.

إذا قارنا هذا الموقف من توده مع المواقف السابقة له تجاه القوميات فإنه يعتبر خطوة متقدمة في مجال حقوق الاقليات القومية حيث تضمن حق تقرير المصير. وفي فقرة اخرى حول الوحدة والسيادة يقول توده ان المهمة الاولى هي الدفاع عن وحدة البلاد وضمان استقلالها السياسي والاقتصادي.

الجبهة الوطنية: تأسسَ في ١٩٥٠ من قبل الدكتور مصدق وكانت لها شعبية واسعة في صفوف الطبقة الوسطى. لم تعترف الجبهة بالمسألة القومية ولكن عندما كان النظام الشاهنشاهي يذكر الأمة الايرانية كانت منشورات الجبهة تذكر «الشعوب الايرانية».

مجاهدي خلق : تشكلت في ١٩٧٠ وخاض حرب عصابات في المدن وخاصة في طهران و بدأت كمنظمة إسلامية وفيها قاتل الاسلاميون والماركسيون جنباً الى جنب الى ان انشطر الى منظمتين إحداهما إسلامية وأخرى ماركسية.

الحزب الديمقراطي الكُردستاني الايراني

تأسس في ١٦ أب ١٩٤٥ في مهاباد وبعد سنة من تأسيسه قام مثقفون كُرد عراقيون متأثرون بشعبية جمهورية مهاباد بتأسيس فرع كُردستان العراق لـ K.D.P الايراني،

وعندما انهارت جمهورية مهاباد لم يعد هنالك طائل من بقاء فرع العراق جزءً من K.D.P الايراني واصبح يعرف بالحزب الديمقراطي الكُردستاني العراقي. لم يكن لدى أي الحزبين برنامج محدد .

في الاعوام ما قبل بيان ١١ آذار ١٩٧٠ تخلى K.D.P الايراني عن توجهاته التقدمية واصبح حزباً قومياً ووضع نفسه تحت قيادة البارزاني . كما تم تجميد نشاطه في ايران وبدأت منشورات الحزب تتحدث عن مشاكل كُردستان العراق ولم يولي أهمية تذكر لمشاكل كُردستان ايران.

ولم يذهب مؤتمر الحزب الثاني في ١٩٦٤ الى ابعد من هذا الافق الضيق ومنعت عدة وفود من المشاركة في اعمال المؤتمر من قبل انصار البارزاني.

وبعد ١١ آذار ١٩٧٠ بدأت الامور تأخذ منحى جديداً، في حزيران

١٩٧١ إختار المؤتمر الثالث للحزب لجنة مركزية جديدة وبرنامجاً جديداً وتم عقد المؤتمر الرابع في ايلول ١٩٧٣ وكان نقطة تحول في تأريخ K.D.P الايراني. بعد ادخال تعديلات طفيفة وافق المؤتمر على برنامج الحزب وعلى هياكله التنظيمية التي كانت قد تشكلت في المؤتمر الثالث، اشترك ٤٩ وفداً من داخل وخارج ايران في المؤتمر وضم المشاركون مؤسسي الحزب واعضاءً جدداً. جرى اقتراع سري لإختيار اعضاء اللجنة المركزية. كان K.D.P التنظيم الوحيد المعارض الذي استمر نشاطه في كُردستان ايران وحظي بتقدير واحترام جميع المنظمات اليسارية الايرانية. وذلك فلا عجب ان يصفه هويده رئيس وزراء ايران بأنه حزب يستغله البعض في الخارج، وهذه بعض فقرات برامج K.D.P الحزب يهدف الى تحقيق الحكم الذاتي لكُردستان ايران في اطار دولة ايران الديمقراطية، ان حكومة كُردستان ستدير شؤون كل كُردستان. اما حدود كُردستان فسوف تعين على ضوء العوامل التأريخية والاقتصادية والجغرافية بحيث تلبي رغبات الاغلبية فيها. ان السياسة الخارجية والدفاع والتخطيط الاقتصادي ستبقى بيد الحكومة المركزية في طهران. اما في الأمور الأخرى فان حكومة كُردستان ستتولى المسؤولية عنها وسيشترك ممثلون عن حكومة كُردستان في اعمال الحكومة المركزية. اللغة الكُردية ستكون اللغة الرسمية في كُردستان.

كما يكون التعليم في جميع مراحله باللغة الكُردية وكذلك الحال بالنسبة لزعمال الحكومة. تعتبر اللغة الفارسية لغة رسمية ايضاً وتدرس جنباً الى جنب مع الكُردية على ان يبدأ تدريسها في الصف الرابع الابتدائي. اما الاقليات الموجودة في كُردستان فلها حقوق متساوية مع الكُرد وسيمارسون حقوقهم الثقافية واطفالهم سيتعلمون لغة الزم في المرحلة

الابتدائية و لهذه الاقليات حق الطبع والنشر بلغاتهم، الدين و الدولة سيكونان منفصلين وحرية العقيدة مكفولة للجميع. التمييز العرقي والديني عمل غير قانوني.

شروط لابد من توفرها لتحقيق النجاح

الكُرد هم الاقلية الوحيدة التي لها اكثر من ٢٥ مليون نسمة وليست لها دولتها. انتفضوا عشرات المرات و اصبحوا قاب قوسين او ادنى من تحقيق هذا الهدف في مرات عديدة ولكن تفشل محاولاتهم لسبب او لآخر ولايزال بعض هذه الاسباب قائماً، ليس للكُرد منفذ بحري وبقوا في جبالهم معزولين، اتصالهم بالمدنية قليل جداً ومجتمعهم بقي متأخراً مقارنة بمجتمعات اخرى تجاورهم. ايام الامبراطوريتين العثمانية والفارسية كانوا مقسمين بينهما وبعد الحرب العالمية الاولى اصبحوا مقسمين بين اربع دول وسحقت انتفاضات لهم بعمل مشترك بين هذه الدول.

لقد تراكمت الهزائم الواحدة فوق الاخرى مما ادى الى ظهور المقولة بأن ليس للكُرد اصدقاء. الحق يقال بأن للكُرد اصدقاء ولكن لإيجادهم على الكُرد البحث عنهم وعلى الاخص في البلدان التي يعيشون فيها. برهنت الأحداث ان كفاح الشعب الكُردي وخاصة الشعب الكُردي في ايران لا يمكن ان ينجح بمعزل عن كفاح ونضال الشعوب الاخرى في البلاد بما أن الكُرد يعملون في بيئة ايرانية فان كفاحهم مرتبط عفوياً بكفاح الشعوب الايرانية الاخرى. والحق يقال أن كُرد ايران في كفاحهم ضد الشاه وجدوا حلفاء من بين القوى الديمقراطية في ايران اكثر وثوقاً من كُرد العراق او تركيا.

إن الشعوب التركية والعربية اصدقاء للكُرد وليس اعداءً لهم.

بعد الدرس والتحليل اختار K.D.P الايراني قرار الكفاح المسلح بإعتباره الخيار الوحيد لتحقيق اهدافه. لقد فرض هذا الشكل من النضال عليه فرضاً من قبل نظام الشاه الذي لم يكن في ظل نظامه اي مجال للديمقراطية او حقوق للمضطهدين و اقترح البرنامج الأتي:

١- العمل على الاطاحة بالنظام الدكتاتوري المؤيد للإمبريالية.

٢- اقامة حكومة وطنية ديمقراطية.

٣- ضمان الحرية لكل شعوب ايران

٤- الاعتراف بحق القوميات بإقامة حكم ذاتي لها ضمن حدود الدولة الايرانية.

٥- تأييد الحركات القومية لنيل حقوقها والحكم الذاتي.

٦- اقامة حكومة وطنية ديمقراطية مبنية على الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول وعقد علاقات الصداقة مع الدول الاشتراكية والمعادية للإستعمار كل من الديمقراطيين والمدافعين عن حقوق الانسان هم اصدقاء لنا. على جميع الدول الاشتراكية والرأي العام ودول العالم الثالث دعم الكُرد في تقرير مصيرهم.

الفصل الرابع

جمهورية مهاباد

أرشي روزفلت

تحقق حلم القوميين الكُرد في دولة مستقلة وإن كان بمقياس صغير في ايران من كـــانون الاول ١٩٤٥ الى كـــانون الاول ١٩٤٦. بدايات هذه الجمهورية الصغيرة وتأريخها القصير العاصف وانهيارها المفاجيء هي واحدة من القصص المضيئة التي يزخر بها الشرق الأوسط المعاصر. نسيجها العشائري المتنافر وتنافس الامبرياليين مع نظم اجتماعية مختلفة وقومية مثالية كلها امور توضح مدى تعقيد الصورة والمشهد الكُردي لشعب لم يتوحد يوماً من الايام وهو مقسم بين أربع دول لايوجد فيها من يتعاطف ايجابياً مع امانيه القومية.

في ايلول ١٩٤١ احتل البريطانيون والسوفيت ايران واطاحوا بهيكل النظام الذي اقامه رضا شاه بجهود مضنية وطويلة. وعندما تفكك الجيش الايراني قام الجنود ببيع اسلحتهم او تسليمها الى العشائر الكُردية التي كانت لاتزال تجوب الجبال وتحتفظ بنظمها و تقاليدها. في الشمال والى الغرب من بحيرة اورمية وجدت العشائر نفسها وقد احتوتها قوات سوفيتية قوية في كل من الرضائية وشابور وخوي وماكو. احتفظ السوفيت بعلاقات جيدة مع هذه العشائر وسمح لزعمائها بإدارة شؤون عشائرهم مقابل المحافظة على الأمن والاستقرار في مناطقهم وتأمين الحبوب للجيش الاحمر. وفي اقصى الجنوب من كُردستان وعلى مقربة من طريق بغداد- كرمنشاه وهي احدى طرق التموين الرئيسة بين

الامـريكيين والانكليـز في الجنوب وبين السـوفـيت في الشـمـال تمكنت القوات البريطانية من تهدئة العشائر.

في المنطقة الواسـعة الواقـعة بين القوات البريطانيـة والسـوفيتيـة وفي الفراغ الذي احدثه فرار الايرانيين قام الكُرد بإقامة حكمهم. في البداية كان مركزا الاضطراب يقعان في صيرمان واقرومان حيث قام محمود خان من كاني سينان ببسط سيطرته وفي بانه حيث اقام حمه رشيد خان الذي كان في المنفى في العراق امارته التي شملت سقز وسردشت. كلا الزعيمين كانا معترفاً بهما كشبه حاكمين رسميين من قبل الحكومة الايرانية لمناطقهما ولكنهما اضطرا الى الانسحاب الى داخل العراق بعد ان اعـاد الجيش الايراني تنظيم نفسـه وبحلول خـريف ١٩٤٥ وقـعت المناطق جنوب خط سـقـز - بانه - سـردشت بيد الحكومة واقتـصـرت منطقة الفراغ على مساحة صغيرة بين هذا الخط وبين القوة السوفيتية المتمركزة في الرضائية.

وحيث تقع مدينة واحدة لها ثقلها السكاني هي مدينة مهاباد والتي كانت قبلاً تعرف بـ «سوج بولاق» جنوب بحيرة اورمية بأميال قليلة.

كو مالا:

تأسس كومالا في مهاباد التي تركها الحلفاء تدير شؤونها بنفسها في ١٦ أب ١٩٤٣ قامت مجموعة صغيرة من التجار والموظفين في المدينة بتأسيس «كومالا» ولأسباب أمنية أبقي على عضوية التنظيم دون ١٠٠ عضو وكان على هيئة خلايا و كانت اجتماعاته شبه اسبوعية ولم تكن تعقد في مكان واحد مرتين متتاليتين خشية الانكشاف. اما منهجه فقد كان قومياً واقتصرت العضوية فيه على الذين هم من ابوين كُرديين وكان الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو المنحدرين من ام اشورية وأب كُردي

وهذه اشارة الى عمق العلاقة بين الاشوريين والكُرد.

توسع تنظيم كومالا بسرعة في كل اجزاء كُردستان حيث وجد الكُرد فيه قوة اكبر من قوة الاحزاب الكُردية التقليدية الاخرى. اسس كومالا فروعاً له في الموصل وكركوك واربيل والسليمانية ورواندوز و شقلاوة وكان له فرع يعمل في تركيا حيث يعتبر كل نشاط كُردي جريمة عقوبتها الموت. ارسل رؤساء العشائر القريبة من مهاباد مبعوثين يعرضون التعاون مع كومالا و لكنهم اخبروا بأنه سيطلب منهم ذلك في الوقت المناسب.

البريطانيون الذين لهم مصالح نفطية كانوا يراقبون الوضع عن كثب وكان المستشار البريطاني في الموصل يزور مهاباد وكان موظفوه متواجدين في رواندوز واربيل وكركوك والسليمانية. ولكن الانكليز لايستطيعون اظهار اي تعاطف مع الطموحات الكُردية من إثارة حفيظة وحنق العرب ولذلك فقد آثروا السكوت تجاه المقترحات الكُردية ولم يعطوها أي أذن صاغية.

التدخل السوفيتي

اما مع السوفيت فقد كان الأمر مختلفاً، في البداية لم يكن السوفيت متحمسين للعمل بنشاط بين الكُرد ولو انهم فعلوا ذلك مرة في ١٩٤٢ عندما وجهوا دعوات الى اغوات كُرد للإجتماع معهم في باكو. في ربيع ذلك العام عندما هاجم الكُرد بعض المناطق غرب بحيرة اورمية ساعد الجيش السوفيتي على عودة الجيش الايراني والشرطة الايرانية الى المنطقة. غير ان وجود هذه الوحدات العسكرية لم يكن مؤثراً لكثرة التدخل السوفيتي في امورها. شهد عام ١٩٤٤ تواجداً كثيفاً للضباط والعملاء السوفيت في كُردستان و اذربيجان . كان معظم هؤلاء من مسلمي اذربيجان السوفيتية. تمحور النشاط حول القنصلية السوفيتية في الرضائية وكان المدعو جعفروف يتجول بحرية بين العشائر الكُردية في زي كُردي. يعود تأريخ وجود السوفيت في مهاباد الى أيام عميلين سوفيتيين هما عبدالله اوف و حجيوف اللذان قدما الى المدينة وتظاهرا على انهما من التجار ويشتريان خيولاً للجيش السوفيتي الاحمر. التقى عبدالله اوف بشكل عرضي برجل كُردي في احدى الحانات الأرمنية في مهاباد وأبدى اعجابه بزي هذا الكُردي. اثار هذا الاهتمام فضول الكُردي الذي كان احد مؤسسي كومالا. تجاذبا اطراف الحديث وسأله الكُردي إن كان السوفيت مستعدون لتزويد الكُرد بالسلاح، ان هم (الكُرد) شكلوا حزباً.

حاول عبدالله اوف تجنب الاجابة على سؤال الكُردي و سأله لماذا هم

يريدون السلاح وممن هم خائفون؟ رد عليه الكُردي بأنهم خائفون من الخانات ورافقه الى دار حيث قدمه الى قادة كومالا. رتبت لقاءات مع السوفيت واصبح احد اعضاء كومالا الذي كان يتكلم اللغة الروسية عضو الارتباط بين كومالا والسوفيت. شيئاً فشيئاً تحرك كومالا ليسير في فلك السوفيت.

في هذا الوقت بدأ السوفيت بفتح جمعيات ثقافية في انحاء ايران. توسع كومالا ولم يعد بالامكان الاجتماع في الدور فطلب قادته من السوفيت السماح لهم بفتح فرع له في مهاباد.

وافق السوفيت على الطلب بسرعة وتمت إقامته تحت اسم الجمعية الثقافية الكُردستانية السوفيتية وليس الجمعية الثقافية الايرانية السوفيتية امتلأ النادي بالكُرد الذين اظهروا امتنانهم للسوفيت بإرسال عشرة صناديق من السكاير المصنوعة من التبغ الكُردي الى المنتصرين في لينينغراد.

وفي احتفال جرى في النادي في نيسان ١٩٤٥ اعلن كومالا عن نفسه وكان القنصل السوفيتي في الرضائية من بين ضيوف الشرف الذين حضروا الاحتفال. ومن الفعاليات التي قدمت كانت أوبرا التي ظهرت فيها إمرأة بإسم أم نيشتيمان وهي يعتدى عليها بشكل مشين من قبل ثلاثة اوغاد «العراق وايران وتركيا» لتنقذ في الاخير من قبل ابنائها الغيارى الذين هبوا لإنقاذها.

اما الجمهور الذي لم يكن متعوداً على مشاهدة المسرحيات فقد تأثر تأثراً كبيراً بالمشهد بحيث انهم تركوا ثاراتهم جانباً وبدأ الاعداء القدامى التقليديون بالبكاء حيث يقبل الواحد منهم الاخر والدموع تنهمر من اعينهم واقسموا للانتقام لكُردستان .

في هذا الاحتفال تم انضمام رئيس دولة كُردستان القادمة قاضي محمد الى الحزب، الأمر الذي نال استحسان السوفيت الذين لم يكونوا يميلون الى تنظيم كومالا وكانوا منذ مدة يبحثون عن شخصية يمكنهم الاعتماد عليها لقيادة كومالا وحسب توجيهاتهم، السوفيت ومنذ البداية كانوا يدركون قوة العشائر فبدأوا بالتقرب الى زعمائها والطلب اليهم بقيادة الحركة الكُردية. لم يبد الرغبة سوى ثلاثة من الزعماء هم قرني اغا رئيس عشيرة مامش وعمر خان رئيس عشائر شكاك وأمير اسعد من عشيرة دهيوكري الذي اصبح مسؤولاً عن أمن المنطقة من قبل الحكومة الايرانية - اتصالات السوفيت لم تسفر عن نتائج مشجعة.

وهكذا توجه السوفيت الى قاضي محمد الذي هو قاضي و رجل دين و أحد افراد اعرق عائلة في مهاباد و بدأوا يكثرون من زياراتهم لداره وساعدوا على تعيين ابن عمه سيف قاضي ممثلاً للحكومة الايرانية على المنطقة بدلاً من امير اسعد ومنح رتبة جنرال لقيادة الشرطة. اما قاضي محمد فلم يسمع بـ كومالا إلاّ بعد سنة من تأسيسه عندما ارسل كومالا مندوباً عنه الى قاضي محمد يعرض عليه العضوية فيه. لم يكن كومالا ميالاً لضم قاضي محمد الى صفوفه لأن شخصية قاضي محمد القوية والمحبوبة من قبل أهالي مهاباد ستجعل منه الشخص المهيمن فيه وبذلك سيفقد الحزب صفته الديمقراطية، ولكن وبضغط من السوفيت وافق كومالا على قبول انضمام قاضي محمد إليه وصدق حدسه اذ سرعان وان اصبح قاضي محمد الرجل الأول فيه.

مكن انضمام قاضي محمد الى كومالا السوفيت من جر الكُرد الى الاصطفاف حول سياسة السوفيت الذين بدأوا بإأظهار عدوانيتهم التي سبق وأن مارسوها في مناطق اخرى. قبل هذا الوقت كان توده الوسيلة

الوحيدة للتغلغل السوفيتي ولكنه لم ينجح في مد جذوره في كُردستان .
بدأ السوفيت في التفكير بإلحاق القسم الشمالي الغربي من ايران بالاتحاد السوفيتي وتمشيا مع خطتهم هذه اسسوا حزباً يستطيع إحداث ثورة من دون أن يسبب أي احراج لتوده في الاجزاء الاخرى من إيران. وبعد قيام الثورة يقوم الحزب بإعلان الاستقلال ومن المحتمل أن يطلب الحزب انضمام المنطقة الى الاتحاد السوفيتي. تلبية لطلب من الاتحاد السوفيتي الغى توده نفسه هناك وزعاد تأسيس نفسه تحت اسم «الحزب الديمقراطي الاذربيجاني» وبدأ يستخدم التركية الاذربيجانية لغة رسمية له وطلب الانفصال من ايران.

اما كُرد اذربيجان الغربية التي تضم مهاباد فلم يكن متوقعاً منهم الانضمام الى حزب تركي أذربيجاني لذلك استوجب الأمر إيجاد حزب لهم يمكن ان يهيأهم للمخطط السوفيتي، في ١٢ ايلول دعا ناماز عليف القائد السوفيتي في مياندواب الزعماء الكُرد ومعهم قاضي محمد الى تبريز و رافقه سيف قاضي للقاء القنصل السوفيتي هناك عندما وصل هؤلاء الكُرد الحائرون الى تبريز طلب منهم التوجه الى محطة القطار وادخلوا احد القطارات الذي انطلق بهم الى باكو. مكثوا جميعاً في احد المنازل لمدة ثلاثة ايام اخذوا اثناءها الى المسارح ودور الاوبرا. وفي اليوم الرابع ذهبوا بهم الى احدى البنايات حيث التقوا برئيس اذربيجان بغاروق الذي القى فيهم خطبة رنانة تطرق فيها الى المظالم التي تعرضوا لها في ظل نظام الشاه رضا وابلغهم بأن السوفيت سيساعدون الحزب الديمقراطي الجديد الذي كرس نضاله لخدمة المظلومين و حثهم على الانضمام اليه. حمل حملة عشواء على حزب توده و وصفه بأنه مجموعة من مؤيدي الشغب وهاجم كومالا الذي قال عنه بأنه نشأ في العراق

برعاية المخابرات البريطانية وأنه أداة طيعة بيد الاستعمار وبعد ان حذرهم بضرورة عدم ذكر أي شيء عن الاجتماع أُخذ الكُرد ثانية الى القطار الذي عاد بهم الى تبريز، ونقلوا بعربات عسكرية الى بيوتهم.

الحزب الديمقراطي الكُردستاني

سرعان أن ظهرت نتائج الرحلة هذه. بعيد عودتهم من باكو عقد قاضي محمد اجتماعاً مع وجهاء كُرد ليعلن نبأ تأسيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني وحث الجميع على الانضمام اليه. وكما يستشف من اسمه كان من اهدافه الديمقراطية على الطراز الامريكي وتجاوب مع ندائه عدد كبير وبحماس شديد. وصدر بيان موقع من قاضي محمد و ١٠٥ من الوجهاء يوضح ان الكُرد لايريدون شيئاً اكثر من حقوقهم الانسانية والدستورية التي حرموا منها في عهد الشاه ودونوا أهدافهم على الشكل الآت:

١- الشعب الكُردي في ايران يجب ان يحصل على حريته وعلى حكومته لإدارة شؤونه المحلية وعلى الحكم الذاتي ضمن إطار الدولة الايرانية.

٢- استعمال اللغة الكُردية في التعليم وتكون لغة الادارة الرسمية.

٣- المجلس المحلي لكُردستان يجب ان يتم عن طريق الانتخاب وحسب القوانين ويشرف و يدقق في كافة امور الدولة.

٤- جميع موظفي الدولة يكونون من اهل المنطقة.

٥- استصدار قانون واحد ينظم العلاقة بين الفلاحين والملاكين .

٦- سيبذل الحزب كل جهد ممكن لرقامة الوحدة والاخوة مع شعب اذربيجان والاقليات المتواجدة فيها مثل الأرمن والآشوريين.

٧- سيعمل الحزب من اجل تحسين حالة الشعب الاقتصادية من خلال

استغلال موارد كُردستان مع تحسين الزراعة و التجارة والتعليم والصحة.

٨- نأمل ان تنعم شعوب ايران بالحرية والازدهار.

انتهى البيان على الطريقة السوفيتية «عاش الحكم الديمقراطي الكُردي»

أدى تأسيس الحزب الجديد الى حل كومالا ورنضمام اعضائه اليه. ولكن ومنذ البداية كان الزعماء العشائريون يتوجسون خيفة من الشيوعية و كانوا حذرين كل الحذر تجاهه و ان كان عدد منهم قد وقع على وثيقة عهد بدعمه قدمها اليهم ضابط سوفيتي كان يجوب المنطقة بين العشائر. هذه المعارضة العشائرية الخفية ستضع قاضي محمد في وقت لاحق في موقف صعب لايمكن الدفاع عنه لولا وصول نجدة بمحض الصدفة من العراق، انها آتية إليه مع القادم الجديد ملا مصطفى البارزاني وعدة مئات من أعوانه.

كانت عشيرة بارزان منذ العهد العثماني احدى اكثر عشائر الكُرد إثارة للمشاكل. ففي العشرينيات. من القرن العشرين ثار الشيخ احمد البارزاني الزعيم الروحي للعشيرة وللعشائر التي تجاور بارزان ضد الانكليز الذين اضطروا مراراً الى الاستعانة بالسلاح الجوي الملكي البريطاني لإخماد الثورة. تم نفي الشيخ احمد مع شقيقه الاصغر ملا مصطفى الى جنوب العراق اولاً وبعد ذلك الى السليمانية. و في ١١ حزيران ١٩٤٢ ترك ملا مصطفى مدينة السليمانية خلسة واتجه الى مسقط رأسه في بارزان . اخذ البارزاني زمام الامور بيده وبدأ بهجماته على قطعات الجيش ومراكز الشرطة واستطاع دحر عدة حملات عسكرية. بمساعدة السلاح الجوي وشراء ذمم عدد من رؤساء العشائر

الكُردية استطاعت بغداد من دحر قوات البارزاني الذي اضطر الى الانسحاب الى ايران حيث التحق بقوات جمهورية مهاباد.

في ١١ تشرين الأول ١٩٤٥ دخل الشيخ احمد وملا مصطفى ومعهما نحو ١٠٠٠ مسلح بارزاني مع عائلاتهم ايران في موقع يقع شمال اوشنافيا، كما ضمت القافلة عدداً من الموظفين وجنوداً هاربين من الجيش والشرطة و ١٢ ضابطاً كان قد تدرب عدد منهم في المعاهد العسكرية البريطانية و شغلوا مراكز قيادية في الجيش. بعد وصولهم التقى البارزاني عدداً من الضباط السوفيت وكان على رأسهم قائد القوات السوفيتية في غرب اذربيجان ونصحه الاخير بوضع نفسه و رجاله تحت أمرة قاضي محمد وأمر الضابط سكان المنطقة بايواء واطعام البارزانيين المعدمين ، ومع نهاية تشرين الاول تضخم عدد رجال البارزاني بوصول لاجئين اخرين من العراق حتى وصل عدد المسلحين ٣٠٠٠ مقاتل مسلحين ببنادق إنكليزية و مدافع رشاشة كانوا قد غنموها من القوات العراقية.

الحكومة الكُردية

في تشرين الثاني و أوائل كانون الاول تجول العملاء السوفيت بين القبائل يخبرونهم بالتهيؤ للنضال من اجل الاستقلال وأمروا الزعماء الكُرد بالتجمع في مهاباد. الكل لبوا النداء بإستثناء مامش ومنكور ودهبوكري. في هذا الوقت كانت الحكومة الايرانية تمر بموقف صعب في الاجزاء الاخرى من اذربيجان بدأ الديمقراطيون وبينهم كثيرون من اذربيجان السوفيتية و من القوقاس يهاجمون الجنود والشرطة الايرانيين الذين ظلوا يلازمون ثكناتهم دون التجرؤ على الخروج منها كانت المنطقة تغلي في ثورة والجيش الاحمر يمنع قوافل النجدة والامدادات المرسلة من قبل حكومة طهران لتعزيز حامياتها من الوصول الى هذه المعسكرات. واخيراً وفي ١٠ كانون الاول هاجم الديمقراطيون حامية تبريز واجبروها على الاستسلام. سقطت اذربيجان الشرقية برمتها بأيدي الحكومة الاذربيجانية المشكلة حديثاً.

وبدا كما لو ان سقوط تبريز كان إيذاناً ليعلن قاضي محمد عن استقلال منطقته التي كانت فعلاً كذلك منذ مدة. في ١٥ كانون الاول ١٩٤٥ وفي اجتماع مهيب في مهاباد وحضره قادة الحزب الديمقراطي الكُردستاني وملا مصطفى البارزاني وثلاثة ضباط سوفيت كانوا قابعين في سيارة جيب ومسلحين برشاشات اعلن قاضي محمد عن قيام الجمهورية في وقار تام و رُفع العلم الكُردي على الساحة. تم تشكيل حكومة (برلمان) مكونة من ١٣ عضواً وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦

انتخب قاضي محمد رئيساً للجمهورية وابن عمه سيف قاضي وزيراً للحرب.

وكان قبل ذلك ضابط شرطة في الحكومة الايرانية وحصل سيف قاضي وملا مصطفى البارزاني وعمر خان شكاكي وحمه رشيد خان الذي رجع لتوه من العراق و زيرو بك الهركي على رتبة جنرال و زودوا بملابس عسكرية سوفيتية وقبعات لها شريط احمر وعلى أحذية عسكرية و كتافيات صلبة.

سيطرت الحكومة الجديدة على منطقة صغيرة شملت مدن مهاباد وبوكان ونغده و اوشناوه وأرسلت مندوبين عنها لحضور افتتاح برلمان اذربيجان. كما انها شكلت برلماناً مصغراً لنفسها. وارسلت الجمهورية ملا مصطفى الى الجنوب لقتال حاميات سقز و بانه و سردشت حيث تم قُطع الاتصال بين الحاميات الثلاث وبينها وبين القاعدة الرئيسة في سنندج بسبب الثلوج.

العلاقة مع تبريز

إن استيلاء الديمقراطيين في الشمال على الرضائية جلب معه مشاكل جديدة للحكومة الكُردية. مع ان غالبية سكان السهل الى الغرب من بحيرة اورمية وابتداءً من الرضائية الى ماكو هم ترك آذريون إلاّ أن العشائر في المنطقة وفي الهضاب المهيمنة على السهل هم كُرد. ان منطقة مياندواب الى الجنوب الشرقي من اورمية لها طبيعة سكانية مختلفة تطالب بها كل من مهاباد وتبريز وهي منطقة تماس واحتكاك بين الحكومتين . كان عمر خان و العشائر الكُردية لايكترثون كثيراً بالديمقراطيين الآذريين وكانوا يقومون بإعتداءات متكررة على قرى وبلدات هي تابعة للسيطرة الاذرية. في نيسان ١٩٤٦ رتب السوفيت لقاء بين قاضي محمد والقادة الاذريين في تبريز. لحسم الخلافات بينهما. كان من الاهمية في هذا الوقت ان تشكل الحكومتان جبهة موحدة وخاصة ان المفاوضات بين تبريز وطهران كانت على وشك ان تبدأ لإيجاد حل دائم لآذربيجان،

كانت نتيجة المحادثات بين قاضي محمد و بيشافاري رئيس اذربيجان وبين السوفيت التوقيع على معاهدة في ٢٣ نيسان ١٩٤٦، اثار اعلان هذه المعاهدة استياءً وغضب طهران حيث ان مواد المعاهدة ترمز الى وجود دولتين مستقلتين عن طهران لهما الحق في تبادل الممثلين وعقد معاهدات. وفيما يأتي مضمون هذه المعاهدة.

١- في اذربيجان وفي المناطق التي توجد فيها الاقليات الكُردية يعين

الكُرد في الوزارات الحكومية ويحدث المثل في كُردستان في المناطق التي توجد فيها أقليات اذرية.

٢- تشكل لجنة اقتصادية مشتركة لحل المشاكل الاقتصادية بين الحكومتين ويعين اعضاؤها من قبل رئيس البلدين.

٣- تقوم الحكومتان بتبادل الممثلين حينما يكون ذلك ضرورياً.

٤- القوات العسكرية في البلدين الموقعين على المعاهدة تساعد الواحدة الاخرى عندما تقتضي الضرورة بذلك.

٥- أية مفاوضات تجرى مع طهران يجب ان تكون في مصلحة الحكومتين الاذرية والكُردية.

٦- ان الحكومة الاذربيجانية ستتخذ الخطوات الضرورية لاستخدام اللغة الكُردية وتطوير الثقافة الكُردية وتقوم الحكومة الكُردية بخطوات مماثلة بخصوص الاذربيجانيين المقيمين في كُردستان.

٧- الحكومتان الموقعتان على الاتفاقية ستتخذان الاجراءات اللازمة لمعاقبة اي شخص او اشخاص يسعون للاساءة الى الصداقة والاخوة التاريخية بين الكُرد والاذربيجانيين.

تقدم الديمقراطيون الاذربيجانيون للتفاوض مع طهران وبموجب الاتفاق المبرم بين الطرفين اصبحت اذربيجان بكاملها جزءاً من ايران على ان يعين الديمقراطيون في اذربيجان في مناصب مماثلة لتلك التي يشغلونها حالياً. اغاظ هذا العمل من الاذريين الكُرد الذين احسوا ان رغباتهم قد جرى تجاهلها في هذا الاتفاق اذ حصل الديمقراطيون على صفة شرعية لمكتسباتهم في الوقت الذي تبقى حكومة قاضي محمد دون غطاء قانوني.

واخيراً توجه قاضي محمد الى طهران ليعرب لرئيس وزراء ايران عن عدم رضاه ازاء ما جرى بين طهران واذربيجان وطلب منه ان يجعله حاكماً على اقليم كُردي يتكون من المناطق الكُردية من اذربيجان ومناطق كُردية اخرى لاتزال ترزح تحت الحكم الايراني – اقليم يمتد من الحدود الروسية الى نقطة تقع منتصف المسافة بين كرمنشاه وسنندج ويكون الاقليم الجديد متمتعاً بحكم ذاتي الموظفون والحامية العسكرية فيه يكونون من اهل المنطقة. أما رئيس وزراء ايران المراوغ فقد وافق على اقتراح قاضي محمد ولكنه ربط هذه الموافقة بإستحصال موافقة الدكتور جعفر حاكم اذربيجان وبدوره رفض جعفر هذا الاقتراح كما كان يتوقعه رئيس وزراء ايران واستمر الاحتقان السياسي بين الكُرد والاذربيجانيين.

رغم التوصل الى هدنة بين الكُرد والاذربيجانيين من جهة وبين طهران من جهة اخرى فان أعمال القنص والمناوشات المتفرقة استمرت من وقت لآخر لتتطور في آخر الأمر الى حالة حرب. اما الايرانيون وهم على علم بموعد انسحاب السوفيت في مايس فقد بدأوا باتخاذ اجراءات عسكرية اكثر فعالية. كانت الجبهة مع الكُرد من مسؤولية الفرقة الرابعة بقيادة الجنرال همايوني الذي قدم من خوزستان حيث نفذ حملة قوية لنزع الاسلحة من القبائل العربية هناك. وفي منتصف مايس فتح همايوني الطرق وارسل التعزيزات الى سقز وبانه وسردشت.

قيل ان السوفيت وعدوا الكُرد بالطائرات والدبابات والزسلحة الثقيلة وبقبول ٥٠ كُردياً للتدريب العسكري والسياسي في باكو وكان ذلك وعداً لم يتحقق ابداً.

اما في الوقت الراهن فان على قاضي محمد الإعتماد على العشائر في

مواجهة الايرانيين. وفي التلال المطلة على قوات همايوني كانت ترابط قوة هائلة و مرعبة ولكنها منقسمة على نفسها مكونة من البارزانيين وقبائل كُردية صغيرة مستعدة دوماً للقتال والنهب وكذلك قوات حمه رشيد و فرسانه.

استمر همايوني في تحشيد التعزيزات، مارس السوفيت وقاضي محمد. الضغط على عمر خان الشكاكي والهركيين كي ينزلوا من الجبال ويساهموا في العمليات، تردد عمر خان بدعوى ان خيوله مسرحة في المراعي في مناطق بعيدة ولكنه ارسل بعضاً من رجاله في أول شهر مايس.

تميز شهر مايس بحدوث معارك قوية من قبل اعداد صغيرة من الرجال ولكن لم تحدث معركة كبيرة حاسمة وفي بداية الشهر حقق الكُرد نصراً عندما فاجأوا رتلاً من الايرانيين كان يتحرك بالقرب من سقز حيث قتلوا ٢٠ جندياً واسروا ٣٠ اخرين وغنموا مدفعين رشاشاً و ٤٠٠٠ اطلاقة. تم تجنيد الكُرد من الجنود في القوات الكُردية وارسل الاخرون الى تبريز.

ولكن تم دفع الكُرد الى الوراء عندما قاموا بهجوم على ممر محمود اباد بالقرب من سقز وكان الهدف من الهجوم قطع طريق سنندج. قام الجيش بالاستيلاء على التلال واخرج الكُرد من مواقعهم واقام ابراجاً وربايا على القمم و وضع في كل رابية ٣٠-٤٠ جندي.

واخيراً عقدت هدنة يحتفظ بموجبها كل طرف بمواقعه الحالية ويحق للكُرد تفتيش العربات الذاهبة من سقز الى بانه و سردشت لمنع وصول الاسلحة الى الحاميات وعاد الشكاك والهركيون الى الشمال .

قاضي محمد والجمهورية

ازاح قاضي محمد الستار الحديدي وسمح للمراقبين من غير السوفيت زيارة بلاده. وبما انه كان ضد للإنكليز لقيامهم بطرد ملا مصطفى من العراق وبسبب الدعاية السوفيتية المضادة للانكليز وبسبب احداث وقعت في الماضي واعتبر الكُرد انفسهم فيها ضحية الانتهازية البريطانية - كانت هذه العوامل مجتمعة من القوة بحيث لم يستطع قاضي محمد تجاهلها فهو بذلك لم يسمح للانكليز بزيارة جمهوريته الصغيرة في اوقات مختلفة كان فرنسي، و أربعة أمريكين يحلون ضيوفاً على قاضي محمد في بيته، المراقبون الذين دخلوا الجمهورية وجدوا الجمهورية حدثاً عابراً. ومع أن حكومته لم تكن تمتلك قاعدة قانونية فإنها استمرت في تصريف الشؤون مثل سابق عهدها وأصبح قاضي محمد رئيساً للحزب الديمقراطي «پيشەوا» كانت القرى تدار عن طريق الملاكين ورؤساء العشائر وبمساعدة الشرطة المكونة من سكان المنطقة في زي كُردي وبأمرة ضباط من مهاباد في ملابس عسكرية سوفيتية، اما مدينة مهاباد نفسها فإنها تحولت من مدينة كئيبة الى مدينة زاهية الالوان تضجّ بالحياة والكُرد يتجولون فيها بملابسهم الكُردية التقليدية وهم احرار تحرروا من خوفهم من الجنود والشرطة الايرانية اللذين كانا يشكلان كابوساً ثقيلاً يجثم على صدورهم.

إن الذين التقوا بقاضي محمد تأثروا كثيراً. بشخصيته وادركوا بسهولة سر تحوله الى رمز للقومية الكُردية في كل مكان من كُردستان.

انه رجل قصير القامة في الخمسين من العمر ويلبس معطفاً عسكرياً قديماً، له لحية ليست بالكثة ووجهه ينم عن الزهد و التعفف يعلوه إصفرار قد يكون سببه آلام مزمنة في المعدة. لم يكن يتناول الكحول ولايشرب الدخان ويتناول القليل القليل من الطعام. صوته ناعم حسن النبرات وايماءاته هادئة ولكنها مؤثرة. كان له إهتمام بكل العالم وشعوبه وهو يعرف عدة لغات منها الروسية و قليلاً من الانكليزية والاسبانية بالاضافة الى الفارسية. مكتبه كان يعج بالقواميس و كتب الادب باللغات الاجنبية. انه رجل له ايمان راسخ تسنده الشجاعة وروح التضحية ولكن تلطفها عقلية واسعة وروح اعتدالية.

مطالبه كانت معتدله وليست متطرفة تنحصر في حكم ذاتي ضمن الدولة الايرانية وكان يشارك الكثيرين من الكُرد الرأي أن الكُرد وهم اعضاء في عائلة عرقية ايرانية واحدة مثل الفرس فلا يوجد مانع في اندماجية كتلك التي كانت قائمة بين الميديين والفرس. قاضي محمد كان يؤمن شخصياً أن الكُرد هم من نسل الميديين وكان يرغب في اعطاء تحليله لمعنى «مهاباد» موطن الميديين.

ولكن لا يمكن انكار حقيقة كون قاضي محمد واتباعه من ذوي طموحات قومية يريدون أن يجعلوا من مهاباد مركزاً للثقافة والحركات القومية الكُردية لتحل محل كل من سوريا والسليمانية اللتان كانتا تتبوءان هذه المراكز في ذلك الوقت، بُذلت جهود كبيرة لوضع التعليم على مساره الصحيح. في البداية كان على المعلمين الترجمة الشفوية من الكتب الايرانية. ولكن وقبل فصل الخريف تم طبع الكتب المدرسية بالكُردية للمدارس الابتدائية وتم اصدار جريدة باسم كُردستان وظهرت مجلتان ادبيتان تحت اسماء هوار وهلاله. جرى طبع هذه المواد جميعها

في المطبعة المهداة من الجيش الاحمر الى الحزب الديمقراطي الكُردستاني، ويتضح مدى اهتمامه بالادب واللغة الكُردية من وجود شاعرين بين الكادر الوظيفي المرتبط بمكتبه وهما هژار و هيمن اللذان طبعت اشعارهم رغم ازمة الورق التي كانت تعاني منها الجمهورية.

ومع أن هذا المجهود في عمر الجمهورية لم يُقر بها الى مستوى المركزين المذكورين قبلاً للثقافة الكُردية حيث أن الكُردية كانت تكتب و تعلم بحرية لمدة ٢٥ سنة فإن مهاباد سياسياً كانت النقطة المحورية التي ترنو اليها عيون كل كُردي في كل مكان. من اسطنبول الى بغداد والى جبال اسيا الغربية الكل كان ينتظر ماذا سيحدث لقاضي محمد و جمهوريته. كان الرسل ينقلون اليه رأي الناس في العراق و سوريا وتركيا. كانت لجمهوريته تأثير السحر على الشباب الذين شعروا أن الأحزاب الاخرى لم تقدم شيئاً كثيراً. في العراق ظهر حزب يساري يُدعى «رزكاري» التحرير.

مشاعر غير ودية نحو السوفيت

إن الاحزاب القومية القديمة «هيوا» في العراق و «خوبون» في سوريا لم تكن متحمسة تجاه قاضي محمد و حركته بسبب ارتباطاته مع السوفيت. ان التخوف من السوفيت والكراهية لهم كانا قويين بين الكُرد لأسباب عديدة الاول ان الكُرد في الغالبية متدينون ويتشككون في موقف السوفيت تجاه الدين. كما ان الكثيرين من كُرد ايران التقوا بلاجئين من الاتحاد السوفيتي او تحدثوا مع مسلمين في الجيش الاحمر الذين اعطوا وصفاً حزيناً لحالة الشعوب الشرقية تحت الحكم الشيوعي، ويجب ان لا ننسى ان الروس كانوا دوماً اعداءً تقليديين للكُرد منذ ايام القياصرة. كما ان القوات الروسية في الحرب الاولى حاربت على قسم من ارض كُردستان التي تركوها ارضاً مدمرة تماماً، وأفرغوها من سكانها ولاتزال اثار هذا الدمار الهائل شاخصة في كثير من قرى ومدن و وديان كُردستان. وحتى في مهاباد كانت القوات الروسية تقتل كل شخص يخرج من داره وبعد ان تم نهب المدينة جرى احراقها. كل هذا لايزال عالقاً بأذهان الكُرد الذين ظلوا لمدة طويلة يخوفون أولادهم بكلمة «الروس» اذا ارادوا دفعهم الى الهدوء وعدم الحركة.

أما الروس فمن جانبهم حاولوا تبديد مخاوف الناس واعطائهم صورة مختلفة عن صورتهم في الحرب الاولى. ابرزوا الحكم الذاتي والاعمال الجريئة التي قام بها عقيد كُردي في الجيش الاحمر هو سيامند «سياماندوف» احد ابطال لينغراد. من الصعب تقدير النجاح الذي

حققوه في محاولتهم تحسين صورتهم ولكن بقي الكثيرون من رجال الدين و التجار والزعماء على كراهيتهم للسوفيت.

إمتدت أزمة الثقة والكراهية للسوفيت لتصل الى قاضي محمد لعلاقاته القوية بالسوفيت التي لايمكن اخفاؤها. كانت جدران مبنى مكاتبه مغطاة بالبوسترات السوفيتية ومجلاته وجرائده تحتوي اخبار الاتحاد السوفيتي وهي مترجمة الى الكُردية ونظم شعراؤه قصائد رنانة تمجيداً لستالين وجيشه الأحمر.

ومع هذه المظاهر البسيطة فإن كُردستان على العكس من اذربيجان كانت خالية من وكلاء سوفيت بإستثناء عدد من سواق الشاحنات الذين عملوا كعيون ومراقبين للسوفيت والعملاء السوفيت ان وجدوا فقد كانوا دائماً يعملون في الخفاء قيل ان هنالك ممثل للسوفيت في مهاباد غير ان الكُرد انكروا وجوده بينهم. كان القنصل السوفيتي في الرضائية هاشموف ومساعده علي اكبروف من بين الذين يقومون بزيارة مهاباد من حين لاخر.

اذا كان الارهاب سيد الموقف في أذربيجان الشرقية فإنه في كُردستان لم تحدث حالات اعتقال او اغتيالات سياسية بإستثناء حالة او حالتين مع هروب عدد من الكُرد الذين لم يتعاطفوا مع الجمهورية الى طهران. في شوارع مهاباد كان الناس يستمعون الى اذاعات انقره ولندن بينما في تبريز كان الاستماع الى مثل هذه الاذاعات يجلب الموت للمستمعين اليها. قد تكون اسباب هذه الحرية هي اعتدالية وليبرالية قاضي محمد و وزرائه أو أن العشائر لا تتحمل رؤية العقوبة وهي تنزل بأحد من رجالها .

فكانت النتيجة أن اصبح النظام محبوباً لدى المواطنين على الأقل في مهاباد الذين تنفسوا الصعداء بعد ان تخلصوا من اضطهاد وظلم الحكومة المركزية.

معارضة العشائر

اذا كان السوفيت قد قللوا من تدخلهم الى أقل حد ممكن لغرض ربط العشائر بالنظام فأنهم بالتأكيد لم يكونوا ناجحين. بالإضافة للإسباب التاريخية والاجتماعية و الدينية لمعارضة العشائر للسوفيت كانت هنالك اسباب اقتصادية . رجال العشائر كانوا يعتمدون على انتاجهم من التبوغ كمورد للعيش، الان وبعد ان خسروا سوقهم الداخلية في ايران للتبوغ فانهم بدأوا يلاقون صعوبة العيش. استنزفت المواد الغذائية وفي كثير من المناطق كان على الاهالي اشراك البارزانيين في القليل المتبقي لديهم.

هذا الاستياء العشائري كان شديداً في الجنوب الى درجة ان ابن قرني اغا المدعو مام عزيز زعيم عشيرة مامش ومعه بايزيد آغا رئيس عشيرة منكور بدأوا بمعارضة قاضي محمد علناً بشكل اضطر معه نائب القنصل السوفيتي في الرضائية الى تهديدهم بإرسال البارزانيين لمقاتلتهم. وعندما استمر مام عزيز في المعارضة قام البارزانيون بالهجوم عليهم واجبروا مام عزيز على الهرب الى العراق مع افراد من عشيرته اما في الرضائية في الشمال فان العشائر بدأت تتطلع الى قيادة عمر خان شكاكي الذي استقال من وزارة قاضي محمد وبقي في زين دشت عاصمته الجبلية في شاهبور، العشائر الوحيدة التي بقيت على ولائها وكان بالامكان الاعتماد عليها هي كورك في مهاباد .. وقسم من عشيرة زرزه في اوشناوه . وحتى ملا مصطفى واتباعه لم يكونوا على علاقة

جيدة مع قاضي محمد الذي لم يعد في استطاعته اطعامهم.

وهكذا وجد قاضي محمد نفسه بدون دعم في مواجهته حكومة طهران التي ازدادت عدوانية يوماً بعد يوم. على الرغم من الوعود السوفيتية بالسلاح والمواد فإنه وجد نفسه في خريف ١٩٤٦ بدون أسلحة ولا رجال مدربين وفي الحقيقة بدون جيش فعال. بعد أن إتضحت اكثر فأكثر استعدادات الحكومة ارسل قاضي محمد رسائل ملحة و ملهبة للمشاعر الى العشائر التي بقيت يستنجد بها يخبرها بأن السوفيت وعدوه بالسلاح والمساعدات وطلب منها القدوم الى الجبهة لمواجهة الايرانيين، ولكن نداءاته لم تجد اذاناً صاغية ورفضت العشائر هذا الطلب.

عودة الايرانيين الى كُردستان

في هذا الوقت بدأت الاحداث تتسارع فطهران تصر ان على الديمقراطيين تسليم مقاطعة سنجان التي هي ليست تابعة لاذربيجان. وعندما اتضح ان الايرانيين عازمون على تحقيق مطلبهم هذا بالقوة تنازل الديمقراطيون عنها وبنهاية تشرين الاول كانت سنجان بالكامل بأيدي الحكومة الايرانية. في منتصف ليلة العاشر من كانون الاول هاجم الايرانيون مواقع الديمقراطيين في ممر كافلانكو جنوب ميانه وفي غضون ٢٤ ساعة انهارت المقاومة بشكل تام ولاذ القادة الديمقراطيون بالفرار الى الاتحاد السوفيتي بعد سنة من سيطرتهم على تبريز. وفي برقيته الاستسلامية الى قافام رئيس وزراء ايران اخبر رئيس الديمقراطيين انه احاط سيف قاضي علماً بقراره ونصحه بعدم القيام بأي عمل ضد الايرانيين.

في ١٣ كانون الاول ١٩٤٦ ظهر صدر قاضي شقيق قاضي محمد والنائب في البرلمان الايراني والقائم بالوساطة بين اخيه والايرانيين في مياندواب وقابل همايوني واخبره بأن الكُرد مستعدون لإستقبال الايرانيين سلمياً. اخبره همايوني بأنه سيدفع بقواته الى مهاباد عندما يخرج البارزانيون من منطقة مهاباد وارسل قوة استطلاع من العشائر الموالية للحكومة وعلى رأسها دهبوكري ومامش ومنكور التي عادت حديثاً من العراق بقيادة العقيد غفاري. على مقربة من مهاباد التقى بهم مبعوث قاضي محمد الذي اخبرهم بأن الاتفاق يقضي دخول القوات

النظامية وليس رجال العشائر الذين قد يخلقون المشاكل. في ١٥ كانون الاول وبعد ان انسحب البارزانيون الى نغده دخل الجيش مهاباد وانتهت الجمهورية التي عمرت سنة من الزمن.

أُستقبل الجيش الايراني استقبالا عظيماً وتبادل قاضي محمد الزيارات مع قادة الجيش ولكن في ١٧ كانون الاول جرى اعتقال عدد من الكُرد وفي ١٨ كانون الاول تم القاء القبض على قاضي محمد وابن عمه سيف قاضي وآخرين. القادة الوحيدون الذين بقوا احراراً هم اولئك الذين فروا الى العراق أو اختبأوا بين الجبال وكذلك الشيخ حجي بابا لمركزه الديني الكبير. بالاضافة الى الاعتقالات عوقب الزعماء الكُرد بإيواء رجال العشائر الموالية للحكومة في بيوتهم وإطعامهم وفي ٣٠ كانون الاول قبض على صدر قاضي شقيق قاضي محمد وجلب من داره في طهران واودع السجن مع اخيه علماً بأنه طيلة فترة عهد الجمهورية لم يكن يغادر داره الا بطلب من الحكومة للتوسط بينها وبين شقيقه.

طلب الجيش من الاهالي تقديم شكاويهم ضد المعتقلين للمظالم التي تكون قد لحقت بهم. وبعد محاكمة عسكرية حكم على قاضي محمد وصدر قاضي وسيف قاضي بالاعدام وفي فجر ٣١ أذار ١٩٤٧ تم تنفيذ الحكم فيهم في الساحة الرئيسة (جارجرا) في مهاباد، وهكذا اسدل الستار على أول جمهورية كُردية وعلى قادتها في مشهد يعيد الى الاذهان المآسي و الويلات التي حلت بهذا الشعب على مدى اكثر من قرن.

انطلقت الحكومة والقوات العسكرية لازالة أي اثر للجمهورية. اغلقت المطبعة الكُردية ومنع التدريس بالكُردية وتم احراق جميع الكتب المطبوعة بالكُردية ولادخال الرعب في قلوب السكان قامت السلطات باعدام ١١

رئيساً من رؤساء العشائر الصغيرة.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا انه في كل مكان في اذربيجان قام الفلاحون والعمال والتجار بقتل الديمقراطيين عند ظهور اول علامة لإنهيارهم وكان رد الفعل هذا دليلاً على مدى كره الناس لنظامهم. اما في مهاباد فقد جرى كل شيء بهدوء تام وهذه حالة متميزة اذ لم يكن لقاضي محمد جهاز شرطة سرية لقمع الناس كما فعله الديمقراطيون في اذربيجان وهذا يُثبت شعبية نظام قاضي محمد على الأقل في عاصمته مهاباد.

والى الشمال فإن عمر خان والعشائر المتحالفة معه لم تشترك في هذه الاحداث. اما الجيش الايراني الذي لا يريد ان يكون لعمر خان فضل عليه فانه لم يخبره بتحركه نحو اذربيجان وبذلك فانه عند الوقت الذي بدأ يستجمع رجاله للهجوم على الديمقراطيين. كانت المعركة قد آتت على نهايتها. ارسل عمر خان و رؤساء العشائر الاخرون برقيات تأييد وولاء الى القائد الايراني. وقُبل الجميع في حظيرة النادمين إلا زيرو بك الذي سبق وان قام بعض رجاله بقتل جنود بعد ان نصبوا لهم كميناً بالقرب من بالانش عند الرضائية. هرب هو و معه عدد من رجاله وبعض من الآشوريين الى اوشناوه، حيث لحق بمصطفى البارزاني، رفض البارزاني نزع سلاحه او العودة الى العراق واندلع القتال مرة اخرى.

في حزيران شق البارزانيون طريقهم شمالاً نحو ماكو كما لو أنهم يبغون الذهاب الى الاتحاد السوفيتي.

خلاصة ما تقدم والدروس المستنبطة

انتهت محاولة انشاء دولة كُردية بسيطرة الايرانيين على مهاباد مثل هذه المحاولة كمثل سابقاتها فشلت بسبب انقسام الكُرد انفسهم. احدى ابرز مشاكل الحركة الكُردية هي ان جميع مناضليها وليس قادتها فقط يجب ان يأتوا من بين اناس مدنيين هم اكثر ثقافة وفهماً وليس من العشائر الذين لا يملكون ثقافة ولا يحسنون إلاّ مهنة السلب والنهب عند شعورهم بضعف الحكومة. في ١٩٤٦ وقفت العشائر ضد الدولة اما في ظل حكومة قاضي محمد فكانت هذه العشائر متململة كما كان حالها زمن الحكومة المركزية مع أنها وقاضي محمد ينحدرون من أصل واحد. بسبب هذا الشعور ولعدم رضاها عن ارتباطات قاضي محمد بالسوفيت فإنها جميعاً تقريباً و قفت مع الجيش ضد قاضي محمد. اما السبب الاخر لسقوط الجمهورية فهو عدم وصول المعونة السوفيتية وأن حزباً قومياً والذي كان بوسعه توحيد معظم الكُرد تسرب اليه عناصر اجنبية استغلوا الحزب لصالحهم ثم تركوه لينسف نسفاً ويسحق سحقاً بنيت الجمهورية بحماية الجيش الاحمر وبقيت قائمة بعد انسحاب هذا الجيش على امل عودته وعندما فقدوا الامل بعودته لم يبق مبرر لبقائها.

شكلت هذه النهاية المأساوية للجمهورية ضربة كبيرة لتطور الحركة القومية الكُردية. لم يعد هنالك حزب كومالا او الحزب الديمقراطي الكُردستاني. كثيرون من القادة طواهم الثرى بعد ان التف حبل المشنقة حول رقابهم او أنهم ذهبوا الى المنفى او أصبحوا نزلاء للسجون. ولكن

هل يعني هذا نهاية الحركة القومية الكُردية؟ وجدت الجمهورية سندها من بين العناصر التقدمية المنورة التي هي متجهة نحو الازدياد عدداً وأهمية ولم يقف ضدها إلاّ اولئك الذين هم مرشحون للزوال.

يبقى ان نتساءل هل ان القومية شيء عملي في بيئة تكون الولاءات فيها للزعماء العشائرين والدينيين؟ لم يسبق للكُرد ان توحدوا في دولة مستقرة واحدة وليست لديهم ثقافة موحدة.

الكُرد وقد فصلت بينهم حواجز جبلية كانوا دائماً يبحثون عن حاجاتهم الثقافية و الاقتصادية في عواصم الدول التي احتوتهم.

لو ان الدول التي يتواجد الكُرد فيها كانت مستعدة لمنح الكُرد قدراً من الحكم الذاتي ولو أنها تخلت عن سياسة صهرهم وقتلهم فانهم بدون شك كانوا سينجحون في كسب ودهم مثل الذي يحدث في سويسرا وغيرها ذات الاعراق المتعددة. لقد بدأ العرب بفعل شيء من هذا القبيل وان خطوة مماثلة من قبل الفرس ستكون بادرة جيدة لتحقيق التقارب بين الشعبين.

الفصل الخامس



كُردستان العراق

عصمت شريف وانلي

منذ نهاية الحرب الاولى عندما فرضت القوى العظمى حلولها غير المتكافئة وغير العادلة لمشاكل الشرق الاوسط فإن الشعب الكُردي عانى بشكل مستمر من صنوف القهر القومي في كل الدول التي تشكلت حديثاً. في بعض الحالات كان هذا القهر وحشياً كما كانت الحال في العهد الكمالي في تركيا وفي حالات اخرى كان القهر اكثر مراوغة كما كانت الحال مع ايران. ان الانظمة التي تعاقبت على الحكم سواءً سمت نفسها اشتراكية او ديمقراطية مؤيدة للغرب او ليست مؤيدة له فإن محور الاضطهاد بينها بقي ثابتاً فالعراق الذي وجد نفسه قوياً بعد اتفاقية ٦ اذار ١٩٧٥ في الجزائر شن حملته التعريبية في السبعينيات بطرد اعداد كبيرة من الكُرد واسكان العرب في اراضيهم.

وعبر السنين تحول مركز استقطاب الحركة القومية الكُردية بانتظام. نشطت اولاً في كُردستان تركيا بين ١٩٢٥ و ١٩٣٨ تم تحول هذا المركز الى كُردستان العراق بين ١٩٤٣ و ١٩٤٥ و بعد ذلك الى كُردستان ايران في عهد جمهورية مهاباد ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ليعود مرة اخرى الى العراق من ايلول ١٩٦١ الى اذار ١٩٧٥ و برهنت الثورة الكُردية في العراق من ١٩٦١ الى ١٩٧٥ على انها اطول الثورات الكُردية عمراً واكثرها قوة من الناحية العسكرية على مدى تاريخ الحركة القومية الكُردية رغم نهايتها المؤسفة والغريبة.

جغرافية كُردستان العراق الطبيعية والبشرية

كثيراً ما يشار الى كُردستان العراق على أنها كُردستان الجنوبية ولكنها في الواقع تحتل مركز وسطاً بين الاقاليم الكُردية. انها حلقة وصل بين ما يعرف بكُردستان تركيا - كُردستان الشمالية او الغربية وبين مايسمى كُردستان الشرقية او كُردستان ايران الواقعة الى الشرق والجنوب الشرقي وهي تحادد المناطق الكُردية من الجزيرة السورية.

هذا الجزء «كُردستان العراق» دون الأجزاء الاخرى غني ويمتد في منطقة جبلية تغطيها الغابات إبتداءً من جبال زاكروس في ايران الى كُردستان تركيا. إن أعلى قمة فيها تقع في حصاروست في سلسلة جبال هلكُرد التي تهيمن على طريق هاملتون الستراتيجية بالقرب من الحدود الايرانية و يبلغ ارتفاعها حوالي ١٢,٢٢٥ قدماً. تنتهي المنحدرات الجبلية لتلتقي بالسهول الخصبة في اربيل وحرير و شهرزور و كركوك وتفصل سلسلة حمرين هذه السهول عن ميسوبوتاميا وتعمل هذه السلسلة كحدود طبيعية بين المناطق الكُردية والعربية.

يسود كُردستان العراق مناخ البحر المتوسط وهو بارد في الشتاء و تسقط الثلوج على المنحدرات الجبلية وحار جاف في الصيف. تقطع المنطقة عدة انهار مثل دجلة والزاب الصغير والكبير ونهر ديالى وهو معروف عند الكُرد بنهر سيروان بساتين الحور «سبيندار» تملأ وديان كُردستان. وفي الجبال وعلى الاخص في منطقة بهدينان جنوب الحدود مع كُردستان تركيا تغطي اشجار البلوط سفوح الجبال، الانتاج

الزراعي فيه شبيه الى حد كبير بذلك الموجود في الأجزاء الأخرى كما فيها الاعناب والخشب والفواكه والجلود والصوف واللحوم ومنتجات الالبان.

التربة غنية بالمعادن وخاصة بالحديد والكروم ولكنها لاتستغل بشكل جيد والثروة الكبيرة فيها هي النفط ولكن استفادة الكُرد منه قليلة.

الحكومة في تقديراتها لعدد السكان الكُرد تميل الى التقليل منه. بغداد اما لأنها لاتمتلك إحصائيات عن حجم الاقليات في العراق او أنها لا تريد الاعلان عنها. وفي جهد شخصي قمت به في ١٩٧٠ وبالاعتماد على احصاء ١٩٥٧ توصلت الى نتيجة مفادها ان عدد السكان في كُردستان العراق بما فيهم الاقليات غير الكُردية يمثل ٢٢٪ من مجموع سكان العراق البالغ يومئذ ٦,٥٣٨,١٠٩ نسمة. وبعد تعديل الحدود لعدد من الوحدات الادارية بعد اتفاقية ١١ اذار ١٩٧٠ اصبحت الجمهورية تحوي ١٦ محافظة اربع منها تقع كلياً في كُردستان وهي اربيل و دهوك وكركوك و السليمانية.

حيث تشكل دهوك واربيل والسليمانية منطقة الحكم الذاتي و دهوك محسوبة على منطقة بهدينان . وهنالك مناطق اخرى تقع أجزاء منها ضمن كُردستان مثل نينوى (الموصل) التي تحتوي على اقضية عقرة وشيخان و سنجار ونواحي زمار التي تمتد من تلعفر الى تل كوجك (ربيعه) والى فيشخابور شمال غرب الموصل وهي مناطق كان من المفروض ان تكون جزءً من كُردستان (دهوك). ويصح القول عن محافظة ديالى حيث اقضية ميدان وقره تو و خانقين و مندلي و كذلك مناطق صغيرة شمال شرق بدرة و جصان في واسط (الكوت).

اذا أُخذنا كل هذه الأمور بنظر الإعتبار فإنه أمر جدير بالاهتمام

القيام بتقدير نفوس سكان كُردستان عام ١٩٧٥.

والأرقام اما مأخوذة من احصائيات عراقية رسمية او بتقديرات شخصية عندما لم تكن الاحصائيات متوفرة كما هي الحال مع الاقضية التي تقع ضمن المحافظات التي يقع قسم منها في كُردستان مثل نينوى وديالى.

إن الارقام ٦٥٣,٠٠٠ للسليمانية و ٥٦٤,٠٠٠ لأربيل و ٦٤١,٠٠٠ لكركوك تم الحصول عليها من المحافظتين في أب ١٩٧٥ خلال جولة في العراق بدعوة من الحكومة العراقية وهي ارقام أعلى من التقديرات الحكومية الرسمية لسنة ١٩٧٥ وحسب تقديرات وزارة التخطيط.

تشير إحصائيات الحكومة أن سكان العراق ارتفع من ٨,٢٦١,٠٠٠ في ١٩٦٥ الى ١١,١٢٤,٠٠٠ في ١٩٧٥ وعليه فان كُردستان بنفوسها البالغة ٢,٨٠٠,٠٠٠ في ١٩٧٥ تكون نسبة ٢٦,٠٧٪ من السكان وهي نسبة اقل من ٢٧,٢٪ في ١٩٥٧ ولمعرفة عدد الكُرد في الجمهورية

(جدول بنفوس السكان في كوردستان العراق مايس ١٩٧٥)

أ- المحافظات التي هي بشكل كلي في كوردستان	عدد النفوس في ١٩٧٥
سليمانية	٦٥٣,٠٠٠
أربيل	٥٦٤,٠٠٠
دهوك	١٦٨,٠٠٠
المجموع في الحكم الذاتي	١,٣٨٥,٠٠٠
كركوك	٦٤١,٠٠٠
المجموع	٢,٠٢٦,٠٠٠

ب- الاقضية في محافظات أجزاء منها تقع في كوردستان.	
عقره (نينوى)	٩٠,٠٠٠
شيخان (نينوى)	٥٠,٠٠٠
سنجار (نينوى)	٥٤,٠٠٠
زمار (نينوى)	٥٠,٠٠٠
المجموع	٢٤٤,٠٠٠
قره تو - ميدان - خانقين-مندلي (ديالى)	١٨٠,٠٠٠
مناطق شمال شرق بدره (واسط)	٥٠,٠٠٠
المجموع	٢٣٠,٠٠٠

ج- المهجرون واللاجئون	٣٠٠,٠٠٠
المجموع الكلي في ١٩٧٥	٢,٨٠٠,٠٠٠

العراقية يستوجب طرح ٢٥٠,٠٠٠ نسمة من السكان غير الكُرد الذين يعيشون في كُردستان واضافة ٣٠٠,٠٠٠ نسمة من الكُرد المقيمين في العاصمة و ٥٠,٠٠٠ كُردي في الموصل و ١٠٠,٠٠٠ من المقيمين في الجنوب وبذلك يرتفع عدد الكُرد في العراق في ١٩٧٥ الى ٣ ملايين أي نسبة ٢٨٪ من نفوس العراق وهذه نسبة تزيد قليلاً عن تلك التي قدمتها وهي ٢٧.٥ ومبعث الاختلاف قد يكون تقديري لنفوس كُرد المدن العربية في العراق كانت نفوس بغداد في ١٩٧٤ ٢.٨٠٠,٠٠٠ نسمة ونفوس الموصل ٥٠٠,٠٠٠ نسمة، ان عمليات التهجير والتحويل لا تؤثر في الاعداد لأنها وقعت داخل العراق.

المحافظة	المجموع الكلي	المساحة داخل كوردستان	داخل الحكم الذاتي
السليمانية	٤,٦٧٧	٤,٦٧٧	٤,٦٧٧
دهوك	٣,٨٠٤	٣,٨٠٤	٣,٨٠٤
اربيل	٥,٩٧٣	٥,٩٧٣	٥,٩٧٣
كركوك	٧,٦٢٢	٧,٦٢٢	———
نينوى	١٤,٨٤٧	٤,٣٠٠	———
ديالى	٦,١٤٠	٢,١٥٠	———
واسط	٥,٧٧٧	٠,٣٥٠	———
المجموع	٤٩,٠٠٠	٢٩,٠٠٠	١٤,٤٥٤

مساحة كُردستان بالاميال المربعة

(كُردستان العراق تغطي مساحة من الارض تبلغ ٢٩,٠٠٠ ميل٢)

ان مساحة كُردستان البالغة ٢٩,٠٠٠ ميل[٢] تشكل ١٧٪ من مساحة العراق البالغة ١٧٠,٩٩٤ميل٢، ان كثافة السكان في كُردستان ١٠١ لكل ميل٢ بينما هي في المنطقة العربية ٥٧ نسمة للميل[٢] و ٦٥ بشكل عام.

إن نسبة السكان في الريف كانت ٥٥٪ من مجموع السكان الكُرد. اما الرحل من الكُرد فقد اختفوا نهائياً ان ٥٪ من الكُرد يصعدون الجبال للرعي في الربيع والصيف ولكنهم يلازمون قراهم في فصلي الخريف والشتاء ويقومون بزراعة الزرض مثل غيرهم من الفلاحين.

من بين أهم المدن الكُردستانية كركوك الواقعة في وسط حقول النفط . في ١٩٦١ وقبل بدء الحروب في كُردستان كانت نفوسها ١٥٠,٠٠٠ وكان الكُرد يشكلون فيها ٦٠٪ والتركمان ٤٠٪ وفي كركوك وأجزاء من المحافظة شرعت الحكومة بشكل منظم ومدروس بتقليل نسبة الكُرد وذلك بإحلال العرب مكانهم و بلغت نفوس المدينة في ١٩٧٥ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة.

اما السليمانية التي تقع وسط سهل خصب فأنها بنفوسها البالغة ١٦٠,٠٠٠ نسمة في ١٩٧٥ مركز مدني وثقافي مهم في كُردستان. شوارعها منظمة ونظيفة ومناخها معتدل حتى في الصيف. سكانها اناس نشطون واسواقها عامرة.

اما اربيل فهي عاصمة الاقليم للحكم الذاتي ونفوسها تقارب عدد نفوس السليمانية وفيها بعض الصناعات الخفيفة مثل السكاير والسجاد وهي اقل تمدناً من السليمانية ومتمسكة اكثر بالتقاليد. وهنالك مدينة كويسنجق ويبلغ عدد سكانها نحو ٧٠,٠٠٠ نسمة وهنالك مدينة خانقين التي كانت في يوم ما مركزاً لأهل الحرف اليدوية وتقع على طريق تربط بغداد و كرمنشاه وهي مهددة اليوم في هويتها الكُردية بسبب سياسة التعريب. وهنالك بلدات صغيرة.

يبلغ عدد سكانها بين ١٠,٠٠٠ - ١٥,٠٠٠ والعمادية هي الأجمل لموقعها الجميل وآثارها التاريخية.

في الحرب الاولى استولت القوات البريطانية على ولايتي البصرة وبغداد وتشكلان المنطقة الجنوبية من ميسوبوتاميا والتي سماها الجغرافيون في العصور الوسطى بالعراق. طالب الشريف حسين بهاتين الولايتين لتكونا دولة جديدة وذلك في رسالة الى البريطانيين في ١٥

تشرين الاول ١٩١٥، وفي ٢٤ تشرين الاول وافقت لندن على هذا المطلب هديةً منها للشريف لخلقه مشاكل للأتراك.

المنطقة التي طالب بها الشريف لم تكن تشمل ولاية الموصل وعندما أحكم الانكليز سيطرتهم على الولايتين اوضحوا انهم يتوقعون من العرب تفهم مصالح بريطانيا.

وجاء احتلال ولاية الموصل بعد التوقيع على هدنة مودرس في ٣٠ أب ١٩١٨ وحتى الى ذلك التأريخ لم يحتلوا الولاية بأكملها. وفي ١٩١٩ ثارت السليمانية ضدهم عندما جمع الشيخ محمود البرزنجي قواته في منطقة تمتد الى الحدود الايرانية. وبعد ذلك وبعد دحر حركة الشيخ محمود من قبل الجيش البريطاني كتب السير ارنولد ويلسن الضابط السياسي في بغداد قائلاً ان الكُرد لايرغبون في البقاء تحت الحكم التركي ولا أن يكونوا جزءًا من الدولة العربية في العراق. واكد ويلسن ان كل اربعة اشخاص من ٥ في كُردستان العراق يؤيدون شيخ محمود في سعيه لإقامة دولة كُردية مستقلة. الكُرد تواقون الى إقامة كُردستان مستقلة والى قطع علاقتهم مع تركيا.

ولكن المستعمرين البريطانيون الذين سيطروا على المنطقة كانوا يرغبون في استغلال حقول النفط في كُردستان ولذلك قرروا التعامل مع الطموحات الكُردية بشكل صارم. كانوا مصممين على إقامة دولة عميلة تضم ولايات البصرة و بغداد و الموصل و اختارت للدولة اسماً هو «العراق» واختاروا لها ملكاً هو الامير فيصل ابن شريف مكة الذي سبق لهم ان نفوه الى سوريا. وفي نيسان من عام ١٩١٩ وامام اللجنة الشرقية في لندن اوصى السير ارنولد ويلسن حكومته ان تضم الى العراق كل المناطق الكُردية في ولاية الموصل وكذلك الزجزاء الكُردية

الواقعة شمال ولاية الموصل والتي سوف لن تدخل ضمن الدولة الزرمنية المرتقبة أي بكلمة اخرى جميع حوض الزاب الكبير. كما اوصى ويلسن حكومته ان لاتربط نفسها بأية إلتزامات تجاه الكُرد. اما فيما يتعلق بمنح الكُرد في كُردستان نوعاً من الحكم الذاتي فمن الافضل ترك الأمر الى البريطانيين وعدم اثارته في مؤتمر السلام اذا كان ذلك ممكناً.

لم يحدث هذا، في مشروعه حول عصبة الأمم زمر الرئيس الامريكي وودرو ويلسن ضرورة مراعاة القومية عند التعامل مع البلدان غير التركية التي سوف تنسلخ عن الامبراطورية العثمانية وذكر ثلاثة بلدان بالاسم يمكن لها ان تحصل على الاستقلال كدول والتي يجب ان لا تتجزأ وهي (ارمينيا و كُردستان والعربية السعودية الآن)

كان الكُرد في موقفهم سلبيين، ارسل الجنرال شريف باشا الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني وخدم لبعض الوقت سفيراً لتركيا لدى السويد لتقديم مطالب الكُرد الى مؤتمر السلام في باريس وحصل شريف باشا على بعض التضمينات. ان القسم الثالث من معاهدة سيفر الموقعة في ١٠ أب ١٩٢٠ من قبل الحلفاء و حكومة اسطنبول يختص بكُردستان. المواد ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ تخطط لإنشاء دولة كُردية مستقلة والتي تكون عند تأسيسها تحت حكم الإنتداب لعصبة الامم. تقوم هذه الدولة على معظم كُردستان الامبراطورية العثمانية (الان كُردستان تركيا و العراق و سوريا). اما حدودها مع دولة الأرمن فانها سوف تحدد فيما بعد من قبل لجنة دولية.

المادة ٦٤ من المعاهدة اشترطت على ان الكُرد القاطنين في ولاية الموصل يجب ان يعطوا فرصة للإنضمام الى هذه الدولة الكُردية المستقلة.

على كل حال كان هنالك تناقض بين سياسة بريطانية المقررة في معاهدة سيفر وبين تلك التي تتبعها فعلاً في الشرق الاوسط. في ٢٣ أب ١٩٢١ و عقب استفتاء مزيف قام السير بيرسي كوكس بتتويج الأمير فيصل الذي هو ليس عراقياً، ملكاً على العراق بما في ذلك ولاية الموصل، وفي تقريره الى لجنة عصبة الامم للاقاليم التي هي تحت الانتداب اوضح سير كوكس ان الكُرد يخشون على مصالحهم إذا ما اخذت بغداد بزمام الصناعة والاقتصاد في العراق ويعتقدون بانهم سيخدعون.

قررت منطقة السليمانية عدم المشاركة في انتخاب ملك العراق وفي كركوك رفضوا ترشيح الامير و طالبوا بحكومة من بني جلدتهم. رفضت السليمانية بالاجماع اي نوع من الارتباط بحكومة بغداد.

في ١٩٢٢ تمكن مصطفى كمال من التغلب على حكومة اسطنبول التي كانت قد وقعت معاهدة سيفر. وجدير بالذكر بزن مصطفى كمال قد ولد في ارضروم واحرز انتصاره الاول بمساندة الكُرد واعلنت الحركة الكمالية عن عزمها إقامة دولة تركية عصرية يعيش فيها الترك والكُرد على قدم المساواة ولهم حقوقهم القومية. رفضت الحركة معاهدة سيفر التي كانت من ناحية منصفة لرقرارها حق تقرير المصير للشعوب غير التركية في الامبراطورية ولكنها كانت مجحفة لتركيا حيث انها ادخلتها الى مصاف المحميات التي هي تحت الانتداب البريطاني او الفرنسي او الايطالي او اليوناني.

تحت شعار الأخوّة التركية الكُردية الذي رفعته الكمالية طالب الكماليون بإعادة ولاية الموصل اليهم ولغرض ابعاد هذا التهديد لخططها بصدد العراق قام البريطانيون الذين اعطوا صلاحيات الانتداب على العراق بموجب مؤتمر سان ريمو في ١٩٢٠ باصدار اعلان مشترك مع

حكومة ملك العراق يعترف بحقوق كُرد ولاية الموصل في اقامة حكم ذاتي لهم ضمن حدود العراق. قامت سلطة الانتداب بإيصال هذا الإعلان الى مجلس عصبة الأمم في٢٤ كانون الاول ١٩٢٢.

اراد اصحاب هذا الاعلان تأكيداً دولياً لضم الولاية المتنازع عليها الى دولة العراق وبذلك يضمن لبريطانيا حق استغلال حقول النفط في كُردستان الجنوبية.

ان حكومة جلالة ملك بريطانيا وحكومة العراق تعترفان بحق الكُرد الذين يعيشون ضمن إطار دولة العراق ان يقيموا حكومتهم ضمن هذه الحدود والحكومتان تأملان بأن المجموعات الكُردية المختلفة سيتوصلون فيما بينهم الى اتفاق بأسرع وقت ممكن حول شكل وحدود الحكومة التي يريدونها. على هذه المجموعات إرسال مندوبهم للتفاوض على علاقاتهم السياسية والاقتصادية مع حكومة جلالة الملك والحكومة العراقية.

ان اعلان ٢٤ كانون الأول أعطى نوعاً من الرطمئنان الى منطقة السليمانية التي لم تكن ترغب في الوقوع تحت سلطة ملك العراق وحاولت مواصلة الكفاح من اجل كُردستان حرة وموحدة.

بعد إطلاق سراحه من السجن رجع شيخ محمود الى مدينة السليمانية وقام من جديد بجمع الرجال على جانبي الحدود مع ايران وشكل ادارته الثانية واعلن عن قيام دولته الكُردية ولإظهار معارضته لملك العراق أعلن عن نفسه ملكاً على كُردستان. حدث هذا في ١٩٢٣، ولكن في نهاية الأمر قبلت حركته بإعلان ٢٤ كانون الاول ١٩٢٢ واعترف بأن الحكومة الكُردية تبقى حكومة حكم ذاتي ضمن إطار الدولة العراقية.

ان انتصار الكماليين اجبر الحلفاء على عقد مؤتمر لوزان ١٩٢٢ – ١٩٢٣ من اجل معاهدة سلم جديدة مع تركيا والتي ستحل محل معاهدة

سيفر لم يحضر المؤتمر اي وفد كُردي او أرمني او عربي اعترف الكماليون بخسارتهم للاقطار العربية ولكنهم أرادوا الموصل وطالبوا بها من بريطانيا التي تمارس حق الانتداب عليها، وفي المؤتمر ابدى كل من عصمت اينونو واللورد كورزون اهتمامهما بالمصالح الكُردية.

غير ان مصير كُردستان لم يكن سبباً للنزاع بين انقرة ولندن . مهما بلغ الموضوع من اهمية بالنسبة للكُرد فأنه لم يخرج من كونه خلافاً حول الحدود بين الجمهورية التركية والمملكة العراقية .

لم يستطع المؤتمر حسم النزاع وانتهى بالتوقيع على معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ والتي استنسخت معاهدة سيفرز وقامت الجمهورية التركية كقوة جديدة مقابل قبول انقرة بمواد قليلة تصر على احترام الحقوق القومية واللغوية للاقليات غير التركية ولم تطبق تركيا اية مادة من هذه المواد المادة ٣ من المعاهدة اشترطت بأن الحدود التركية العراقية يجب ان تثبت على طول خط يقرر طبقاً لقرار مجلس عصبة الامم.

وفي الفترة من كانون الثاني الى آذار ١٩٢٥ قامت لجنة تحقيقية دولية تابعة لعصبة الامم بزيارة الولاية المتنازع عليها (الموصل). وفي ١٦ تموز رفعت اللجنة تقريرها في جنيف. لم تتحيز الى جهة دون اخرى ولكنها قدمت إقتراحاتها المختلفة وتركت للمجلس إصدار قراراته حول الموضوع.

جاء في التقرير بأن غالبية السكان في الولاية هم كُرد وهم ليسوا عرباً او تركاً. انهم يتكلمون لغة آرية وان توجهاتهم هي كُردية وبإستثناء عدد قليل من الذين يعرفون الكتابة والقراءة فلا يوجد توجه عراقي في الولاية. العلاقة بين العرب والكُرد بدت مهزوزة، الأمر الذي يتطلب القيام بعمل ما

لحماية الآشوريين والكلدان. اما على المستوى القومي فقد توصلت اللجنةآخذة الأساس العرقي للقرار فإن احسن حل يكمن في اقامة دولة كُردية مستقلة اذ ان الكُرد يؤلفون ٥/٨ من عدد السكان فيها واذا أرتأى هذا الحل فان العدد سيزيد.

عندما يشمل العدد الايزيديين الذين هم كُرد زرادشتيون والترك الذين يسهل احتواءهم في الكُرد. طبقاً لهذا التقييم فان الكُرد سيشكلون ٧/٨ سكان الولاية.

على كل حال و لضمان ديمومة الحياة الاقتصادية للعراق اقترحت اللجنة إلحاق الولاية بدولة العراق بعد توفر الشرطين الاتيين.

١- بقاء البلاد تحت حكم الانتداب لمدة ٢٥ سنة.

٢- اخذ رغبات الكُرد بنظر الاعتبار في ان يكون الموظفون الاداريون والقضاة والمعلمون في مناطقهم من الكُرد وتكون اللغة الكُردية اللغة الرسمية في كل الانشطة.

ان مناقشة التقرير أمام الجلسة الخامسة والثلاثين في ايلول ١٩٢٥ في جنيف تميزت بتنافس خطابي وسجال كلامي بين ممثلي تركيا وبريطانيا. الجدير بالذكر أن كمال اتاتورك قد انتهى لتوه من اخماد دموي رهيب لثورة الشيخ سعيد بيران الذي كان يسعى إلى استقلال كُردستان الشمالية وأن الجيش البريطاني هو الآخر اخمد ثورة كُردية يقودها الشيخ محمود البرزنجي في كُردستان الجنوبية.

وفي ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ وفي الجلسة السابعة والثلاثين حسم مجلس عصبة الامم لصالح بريطانيا، الحقت ولاية الموصل المتنازع عليها بدولة العراق وجرى تثبيت الحدود بين تركيا والعراق واضيفت الملاحق الآتية:

١- إن بريطانيا باعتبارها قوة إنتدابية مدعوة لتقديم محضر بالاجراءات التي ستتخذها لضمان أن الكُرد المذكورين في لجنة التحقيق الدولية سيتمتعون بحكم محلي كما اوصت به اللجنة.

٢- بريطانيا مدعوة ايضاً أن تقدم إلى المجلس معاهدة جديدة مع حكومة العراق والتي ستكفل ديمومة الانتداب لمدة ٢٥ سنة او الى حين قبول العراق في عصبة الامم.

وفي ١٩٢٦ اصدرت بغداد قانون اللغات المحلية والذي لم يطبق بفاعلية سمح بموجبه لكُرد العراق بقدر من التعلم بالكُردية على المستوى الابتدائي فقط وانحصر هذا على محافظة السليمانية واجزاء من محافظة اربيل وسمح بالطبع باللغة الكُردية على مستوى الاشخاص والمؤسسات غير الحكومية واشترك الكُرد في الوزارات.

في حزيران ١٩٣٠ وقعت المعاهدة الانكلو - عراقية نهاية لحكم الانتداب على العراق واعترفت بالاستقلال للمملكة العراقية. لم يرد فيها ذكر للكُرد وانتفضت السليمانية احتجاجاً على اهمال حقوق الكُرد بزعامة الشيخ محمود و تبعتها بارزان في ١٩٣٢ عندما قبل العراق في عصبة الأمم . مرة اخرى يقوم الجيش البريطاني بإعادة النظام الى المنطقة . حاول الثائرون الكُرد تذكير عصبة الزمم بوعودها بخصوص حكم ذاتي لهم ولكن في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢ اعلنت اللجنة الدولية المختصة بالموضوع ان مناقشة مسألة الحكم الذاتي لزقليات معينة في العراق هي خارج صلاحية اللجنة.

وفي ٨ تموز ١٩٣٧ وقعت كل من تركيا وايران والعراق ميثاق سعد اباد. المادة السابعة منه كانت متعلقة بتشكيل ونشاط اتحادات او تنظيمات او جماعات مسلحة تحاول القضاء على مؤسسات قائمة. بكلمة

اخرى انها كانت موجهة ضد الحركة الكُردية.

في ١٩٤٣ انتفض ملا مصطفى البارزاني وانتشرت الثورة بسرعة. تقهقر الجيش العراقي واضطر الى التخلي عن مناطق شاسعة في بهدينان واربيل. في ١٩٤٥ استطاعت طائرات القوة الجوية الملكية البريطانية (RAF) إجبار الثوار الى الانسحاب داخل ايران حيث كانت هنالك جمهورية كُردية تشكلت أواخر هذه السنة في مهاباد. بعد سنة من نشوئها انهارت الجمهورية الفتيّة الصغيرة وشق البارزاني مع رجاله طريقه في كُردستان الشمالية الى الاتحاد السوفيتي.

ان رحلة الـ «٥٠٠» ويعني بالعدد «٥٠٠» عدد المقاتلين الذين رافقوا البارزاني في رحلته الى الاتحاد السوفيتي في ١٩٤٧ دخلت سجلات الحركة القومية الكُردية. منح البارزاني ورجاله حق اللجوء وبقوا في الاتحاد السوفيتي لمدة ١١ سنة.

حرب التحرير ١٩٦١ - ١٩٧٥

في الفترة التي اعقبت الحرب الاولى يمكن تشخيص ثلاثة احزاب يسارية سرية ضمن القوى المعارضة للنفوذ البريطاني والملكية العراقية. كان هنالك الحزب الشيوعي العراقي (ICP) المؤلف من عرب و كُرد وآقليات عراقية اخرى. وهنالك الحزب الديمقراطي الكُردستاني وهو مؤلف كلياً من الكُرد وهنالك الحزب الديمقراطي الذي يجد الدعم من المثقفين العرب ومن شخصية زعيمه الجادرجي.

الحزب الديمقراطي الكُردستاني الذي تأسس في ١٦ أب ١٩٤٦ على نهج الحزب الديمقراطي الايراني وذلك بتوجيه من البارزاني وزملائه قبل انسحابه الى الاتحاد السوفيتي، انتهج الحزب خطاً ماركسياً لينينياً. اعترف بوجود شعب كُردي مضطهد و ممزق والحزب يكافح من اجل تقرير المصير للشعب الكُردي ولكن هذا هدف بعيد المهمة الحالية للحزب هي الديمقراطية للعراق وتحريره من الاستعمار والرجعية وستأتي بعد ذلك كُردستان متمتعة بالحكم الذاتي وتكون ضمن وحدة العراق. المكون من عرب و كُرد.

بإستثناء الحكم الذاتي الكُردي فإن أهداف الحزب الديمقراطي الكُردستاني لم تكن تختلف عن اهداف الحزب الشيوعي والوطني الديمقراطي. وانطلق هذان الحزبان ليصبحا حزبين جماهيريين ونجحا في ذلك.

وكان للحزب الشيوعي فرع كُردي هو فرع كُردستان وكانت قيادته

مزيجاً من القوميات. كلا الحزبين كانا يستلهمان من الماركسية اللينينية و جمهورهما كان يأتي من نفس الطبقات والشرائح الاجتماعية، الحزبان حاولا الحصول على الاعضاء من كُردستان. الحزب الشيوعي بفرعه الكُردي وقيادته المختلطة خرج بسهولة منتصراً في هذا التنافس على كسب الاعضاء حتى خريف ١٩٦٠.

انب الحزب الشيوعي العراقي الحزب الديمقراطي الكُردستاني للقومية البرجوازية الصغيرة ولتهجماته على الملك العربي ولمطالبه المتعلقة بالنفط الكُردي ورفضه المشاركة في النضال المشترك للأحزاب المعارضة.

أما K.D.P فمن جانبه انتقد الحزب الشيوعي لموقفه غير الحاسم حول المسألة القومية و رفضه الاعتراف بوجود شعب كُردي. بقي الموقف على ماهو عليه دون تغير الى ١٩٥٦ عندما اصدر الحزب الشيوعي في مؤتمره الثاني قرارات مهمة:

١- ان القسم الذي يقطنه العرب من العراق جزء مكمل للوطن العربي. في وحدته السياسية العراق دولة عربية على الصعيدين القومي والدولي وهو عضو مهم بين مجموعة الدول العربية.

٢- ضمن حدوده الراهنة المرسومة من قبل الاستعمار العراق يضم جزءً من كُردستان.

٣- وعليه فان العراق مكون من شعبين رئيسين هما الشعب العربي والشعب الكُردي.ان الشعب الكُردي في العراق جزء مكمل للشعب الكُردي الذي بلاده هي كُردستان المقسمة بين تركيا والعراق وايران وسوريا. الشعب الكُردي له كل مقومات الشعب وهو يشكل مجموعة ثابته له تاريخ مشترك وارض مشتركة ولغة واحدة وله القدرة على خلق اقتصاد يقود به الى التحرر والوحدة .

عندما اطاح عبدالكريم قاسم بالنظام الملكي واقام مكانه النظام الجمهوري في ١٤ تموز ١٩٥٨ لم تكن العملية مجرد إنقلاب عسكري، إنها ثورة أيّدتها القوى الوطنية والديمقراطية. الدستور المؤقت الذي اصدرته في ١٧ تموز دُوّن فيه جميع الحريات. ومما جاء فيه المجتمع العراقي مبني على التعاون التام بين جميع مواطنيه. العرب والكُرد شركاء متكافئون في هذا الوطن والدستور يضمن حقوقهم ضمن العراق الموحد.

لأول مرة في تاريخ الكُرد تقوم دولة تشمل على قسم من كُردستان بالاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكُردي في دستورها منح قاسم الصفة القانونية لـ K.D.P و رحب بالبارزاني كبطل عند عودته من الاتحاد السوفيتي وأجاز صدور ١٤ مطبوعة كُردية بما فيها جريدة «خبات» لسان حال K.D.P و «كُردستان» وهي جريدة اخرى تنطق باسم نفس الحزب و «زين» الحياة و «آزادي» الحرية وهي تمثل الفرع الكُردي للحزب الشيوعي العراقي و «هتاو» الشمس.

ولسوء حظ الجميع كانت فترة الحرية هذه قصيرة سارع قاسم الى تعزيز سلطاته الشخصية من خلال الدكتاتورية العسكرية. بدأ بسحب الحرية التي سبق له وان منحها وبدأ الهجوم على الاحزاب واحداً تلو الآخر الحزب الشيوعي الذي لم يصبح حزباً قانونياً اصبح رسمياً حزباً غير قانونياً و بحلول ١٩٦٠ جاء دور الكُرد ليتحملوا جزءً من هذا القمع. تم تسليح بعض العشائر الكُردية المناوئة للبارزاني وحدثت هجمات على البارزانيين وفروع K.D.P. رفض قاسم الحكم الذاتي الكُردي وقدم ابراهيم احمد سكرتير K.D.P ومحرر جريدة خبات لسان حال K.D.P الى المحاكمة بتهمة بث روح الكراهية بين المواطنين بسبب نشره كلمة

كنت قد ألقيتها في مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب عام ١٩٦٠ في بغداد (صاحب الكلمة هو عصمت شريف وانلي).

وجرى اعتقال اخرين من قادة الاحزاب واضطر اخرون على الاختباء والابتعاد عن الانظار وتم غلق الجرائد و المجلات الكُردية واحدة فواحدة ووصل الامر ذروته عندما بدأت جريدة الثورة وهي صحيفة عربية بنشر سلسلة من المقالات تدعو فيها الى صهر الكُرد في المجتمع العربي.

وبما ان بغداد لم تعد آمنة له غادرها ملا مصطفى الى مسقط رأسه بارزان التي قُصفت بالطائرات في ١٣ ايلول ١٩٦١. في الحقيقة اصبحت كُردستان كلها عرضة للغارات الجوية التي بدأت في ٩ ايلول ١٩٦١ .

بعد الحرب الثانية ومع تأسيس الجمهورية في مهاباد بدأت اليوم مع الثورة في كُردستان مرحلة ثورية لتحل محل المرحلة التقليدية في نضال الحركة الكُردية.

هنالك جملة نقاط يجدر بنا الوقوف عندها عند التدقيق في ثورة ١٩٦١.

١- انها ثورة كُردية ذات اهداف قومية معتدلة وتسعى الى تحقيق حكم ذاتي لكُردستان ضمن وحدة العراق.

٢- مع أنها ثورة كُردية فإنها بقيت ثورة عراقية جغرافياً اهتمت بالعراق ولم تقحم كُردستان تركيا او ايران في الصراع و طالبت بعراق ديمقراطي.

٣- لها مضمون اجتماعي متقدم في صالح الطبقة العاملة في العراق بشكل عام وفي كُردستان بشكل خاص.

٤- انها حركة شعبية قومية احتوت شرائح الشعب الكُردي كلها تحت قيادة K.D.P.

٥- اعطى K.D.P للحركة الكُردية هيكلاً عسكرياً وسياسياً واداريا . بدأت الحركة بسيطة وسرعان ان اصبحت منظمة وظهر جيش كُردي ثوري بلغ تعداده ١,٠٠٠ رجل .

في ايلول ١٩٦١ ليصبح ٥٠,٠٠٠ في ١٩٧٥ ووسعت الحركة مساحة ساحة عملياتها وسيطرتها لتبلغ ١٢,٠٠٠ - ١٥,٠٠٠ ميلاً مربعاً من اراضي كُردستان وكان لها نوع من الادارة في هذه المناطق . في ١٩٦٤ تم انشاء اجهزة تنفيذية وادارية وقضائية ومالية وضمت اقسام التعليم والصحة والعدل والدفاع والأمن القومي الذي أوجد دائرة للاستخبارات بإسم «باراستن» .

اخطأ قاسم في تقديراته لقدرات الكُرد في التنظيم والمقاومة، اضعفت الحرب قاسم عسكرياً وسياسياً، وجد الحزب الشيوعي نفسه في موقف حرج جداً حيث بدأ الحزب بتأييد قاسم في حربه ضد البارزاني ولكنه اخذ بالتراجع عن مواقفه. وفي تقرير اللجنة المركزية للحزب حول انسب الحلول للمسألة الكُردية انتقد ICP قاسم لإهماله المسألة الكُردية وإنكاره وجود كُردستان وانتقد التقرير ايضاً البرجوازية الكُردية التي وضعت مصالحها القومية فوق المصالح المشتركة وهي في ذلك عرضت قضيتها القومية للعزلة و الخطر اعترف ICP بأنه في ظل الظروف الراهنة فان الحل الامثل يكمن في جعل الاتحاد الكُردي العربي ديمقراطياً حقاً و ذلك بإقامة حكومة الحكم الذاتي في كُردستان تعمل في اطار الدولة العراقية.

كان المستفيد الوحيد من الموقف هو العدو القديم لكل من الحركة القومية الكُردية والحزب الشيوعي، حزب البعث في ٨ شباط ١٩٦٣ قام

البعثيون بإنقلاب اطاحوا بعبدالكريم قاسم واقاموا نظام حكم الرعب وكان أول ضحاياهم ٧,٠٠٠ شيوعي. وبعد وقف لإطلاق النار لفترة استطاع خلالها النظام من اعادة تسليح الجيش باسلحة بريطانية شن الجيش في ١٠ حزيران ١٩٦٣ هجوماً كبيراً ضد الكُرد. في هذه الحملة تم دفن ٣٠٠ مدني في السليمانية وعثر على القبر الجماعي بعد فترة. وفي كركوك باشرت الحكومة ببرنامج التعريب وذلك بطرد الكُرد من قراهم واسكان العرب محلهم.

وفي بيان نشرته وكالة تاس السوفيتية للأنباء أعلنت الحكومة السوفيتية بأنها لاتستطيع تجاهل ما يجري في العراق حيث ان سياسة حكومة بغداد تجاه الكُرد من شأنها الإخلال بالسلم في الشرق الاوسط.

وفي هذا الوقت استيقن الجيش العراقي من استحالة سحق المقاومة الكُردية رغم وجود لواء من الجيش السوري ارسل من قبل نظام البعث في سوريا كي يقاتل الكُرد مع الجيش العراقي.

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ قام رئيس الجمهورية عبدالسلام عارف الذي لم يكن عضواً في حزب البعث بطرد احمد حسن البكر رئيس الوزراء وجميع البعثيين الاخرين من الحكم. وفي ١٠ شباط توصل عارف الى وقف لإطلاق النار مع البارزاني وهكذا اسدل الستار على الحرب الثانية في كُردستان .

وبعد سنتين من هذا التأريخ وبالتحديد في ٤ أذار ١٩٦٥ اندلع القتال من جديد في الربيع. بعد وقت قصير من بدء الهجوم مات عبدالسلام عارف في حادث تحطم مروحية وتولى الحكم شقيقه عبدالرحمن عارف و واصل الحرب في كُردستان. واستمرت المعارك الى حزيران ١٩٦٦ عندما حدثت هزيمة القوات العراقية في معركة جبل هندرين. رتب وقف

لإطلاق النار مع البارزاني.

وفي ١٧ تموز ١٩٦٨ ثار البعث لنفسه من آل عارف وذلك بتدبير إنقلاب عسكري. اما القادة العسكريون الذين قاموا بالانقلاب فقد كانوا بقيادة احمد حسن البكر الذي كان رئيساً للوزراء يوم اطيح به من قبل عبدالسلام عارف عام ١٩٦٣ واصبح صدام حسين نائباً لرئيس الجمهورية.

في نيسان ١٩٦٩ شن النظام البعثي الجديد الحرب الرابعة في كُردستان وجرت معارك في سهول اربيل. اما في كركوك فقد جرى ترحيل الفلاحين الكُرد من مناطقهم او انهم أبيدوا.

في الوقت الذي استمرت فيه المعارك فإن احمد حسن البكر الذي أراد أن يظهر بمظهر الأب للأمة حاول التقرب الى اليسار وارسل عزيز شريف للتفاوض مع البارزاني. توجت هذه المفاوضات التي بدأت في البداية بشكل سري بإتفاقية ١١ اذار ١٩٧٠ .

اتفاقية ١١ اذار ١٩٧٠ والمرحلة الانتقالية

اتفاقية ١١ اذار هي ثمرة النضال الطويل للقوى الثورية في كُردستان وهي حصيلة ونتاج مفاوضات دؤوبة وشاقة بين الطرفين المتحاربين. لم تعلن الاتفاقية على الشعب العراقي في بيان مشترك يحمل تواقيع الطرفين المتفاوضين بل اذيع على هيئة بيان صادر من مجلس قيادة الثورة ان مقدمة البيان المطول اشارت الى المحادثات بين مجلس قيادة الثورة و رئيس الحركة الكُردية ملا مصطفى وان الطرفين اتفقا سوية على شروط ومواد البيان وعزما على وضع البيان حيز التنفيذ. ولغرض المحافظة على المظاهر والشكليات فقد ترك الى مجلس قيادة الثورة أمر

إعلان المواد الخمس عشرة التي تتكون منها الإتفاقية. واشارت المقدمة الى ان المؤتمر القطري السابع لحزب البعث المنعقد في اواخر ١٩٦٨ قد تبنى عدداً من المبادىء وعلى ضوء هذه المبادىء قرر مجلس قيادة الثورة:-

الاعتراف بوجود الشعب الكُردي.

* إقامة جامعة في مدينة السليمانية ومعهد كُردي للعلوم.
* الاعتراف بالحقوق الثقافية واللغوية للشعب الكُردي.
* إقامة أطرٍ ادارية لتطوير الثقافة الكُردية.
* جعل الكُردية وسيلة التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات ومعاهد المعلمين وفي أكاديمية الشرطة والجيش.
* السماح للمثقفين والشعراء والكتاب نشر نتاجاتهم وإقامة اتحادات لهم.
* زيادة عرض البرامج الكُردية في تلفزيون كركوك و ذلك بتأسيس محطة كُردية فيها.
* جعل الادارة لامركزية وإستحداث قضاء جديد في كركوك.
* اصدار عفو عام عن المدنيين والعسكريين الذين اشتركوا في الاعمال العسكرية في الشمال.

اهم بنود اتفاقية ١١ آذار وأدناه مواد الاتفاقية:

١- المادة الاولى: الاعتراف باللغة الكُردية وكذلك العربية كلغتين رسميتين للمنطقة التي غالبية سكانها من الكُرد تكون الكُردية لغة التعليم في الاقليم وتدرس اللغة العربية في جميع المدارس الكُردية و تدرس اللغة الكُردية كلغة ثانية في بقية اجزاء البلاد ونعني بها العراق العربي

وفي اطار القوانين الموضوعة.

٢- المادة الثانية: تشترط المادة مشاركة اخواننا الكُرد في الحكومة انداداً وبدون تمييز بين كُردي وغير كُردي في الوظائف العامة والوزارية والعسكرية القيادية.

٣- المادة الثالثة: تعويض عما فاتهم في السنوات السابقة في مجال التعليم والثقافة وذلك بإتخاذ جملة من الاجراءات التي من شأنها الارتقاء بتعلم اللغة الكُردية.

٤- المادة الرابعة : تنص على ان الوظائف الرئيسة مثل مدراء الشرطة والقائمقاميين ومدراء الامن ستشغل من قبل الكُرد في المناطق الكُردية.

٥- المادة الخاصة: تعترف حكومة العراق بحق الكُرد في اقامة اتحاداتهم الطلابية والشبابية والنسوية ونقابات المعلمين وتكون هذه الاتحادات اعضاءً في الاتحادات والمنظمات المركزية المماثلة لها.

٦- المادة السادسة: وتنص على عودة جميع المدنيين والعسكريين الذين حاربوا الى الجانب الكُردي الى وظائفهم وبدون أية شروط.

٧- المادة السابعة: وتنص على تشكيل لجنة ترتبط بوزارة شؤون الشمال تتولى مسؤولية التخطيط للإرتقاء بكل مرافق الحياة في المنطقة وبشكل خاص تطوير الاقتصاد فيها وولتعويض المساوىء التي تراكمت و الاضرار التي وقعت وستعين ميزانية لهذا الغرض.

٨- المادة الثامنة: وتنص على عودة اللاجئين العرب والكُرد الى اماكنهم الاصلية وبكلمة اخرى ان على العرب الذين تم اسكانهم في كُردستان مغادرة المنطقة لإفساح المجال للكُرد المطرودين منها بالعودة.

٩- المادة التاسعة : وتتعلق بشمول كُردستان بقانون الإصلاح الزراعي بما في ذلك توزيع الأرض على الفلاحين.

١٠- المادة العاشرة: سيعدل الدستور المؤقت في الأمور الآتية:

١١- شعبان رئيسان الشعب العربي والشعب الكُردي يكونان الشعب العراقي والدستور يعترف بالحقوق القومية للشعب الكُردي وحقوق الاقليات الاخرى ضمن الوحدة العراقية.

١٢- تضاف الفقرة الآتية الى المادة الرابعة من الدستور «اللغة الكُردية واللغة العربية» هي اللغات الرسمية في المناطق الكُردية.

١١- المادة الحادي عشرة: المحطة الاذاعية والاسلحة الثقيلة المستخدمة أثناء الثورة ستسلم الى الحكومة.

١٢- المادة الثانية عشرة: يكون احد نواب رئيس الجمهورية كُردياً.

١٣- المادة الثالثة عشرة: اجراء التغييرات في القوانين حول الحدود الادارية بشكل ينسجم وروح الاتفاقية.

١٤- المادة الرابعة عشرة: وتعالج الحكم الذاتي وموارد كُردستان وخاصة حقول النفط. بعد اعلان البيان ستتخذ الاجراءات و بالتعاون مع اللجنة العليا لتوحيد الوحدات الرئيسية وحسب الاحصائيات الرسمية التي تجري لهذا الغرض. ستحاول الحكومة بكل قوة ضمان تمتع الشعب الكُردي بالحكم الذاتي وستعقد اجتماعات بين اللجنة العليا ومحافظي المنطقة الشمالية. وبما ان الحكم الذاتي يمارس في اطار الجمهورية العراقية فإن إستغلال ثروات المنطقة الطبيعية يكون من قبل الحكومة المركزية.

١٥- المادة الخامسة عشرة: وتنص على أن الشعب الكُردي سيشترك في

السلطة التشريعية بمستوى يتناسب وعدد نفوسهم.

على كل حال كان توقيع الاتفاقية محل ترحيب و ابتهاج الطرفين بإعتبارها حدثاً تاريخياً. وجهت دعوة رسمية الى وفد كُردي رسمي ليحضر مشاهدة الرئيس العراقي احمد حسن البكر وهو يعلن من على شاشات التلفزيون ان الشعب عرباً وكُرداً قد استعادوا وحدتهم وان العلاقات الاخوية وطيدة وليس بوسع احد نسفها. وفي مقابلة نشرت في نفس اليوم أثنى البارزاني الذي لازم مقره في كُردستان على حكمة القادة البعثيين وارسل نجله ادريس البارزاني وفي برقية اكد البارزاني دعم الشعب الكُردي للنضال الذي يخوضه الشعب العربي ضد اعدائه. وكبادرة تدل على حسن النوايا الغت الثورة الكُردية الهياكل الادارية التي شكلتها منذ ١٩٦٤ وعلى الاخص الجهاز التنفيذي.

جرى تعديل وزاري لتضم خمسة وزراء كُرد وكلهم مرتبطون بـ K.D.P. وتم تعيين المحافظين والقائمقاميين لإدارة المنطقة الكُردية. ولكن اللجنة العليا التي ورد ذكرها في المادة الرابعة والتي هي لجنة مشتركة من البعث و K.D.P ومهمتها الاشراف على تنفيذ مواد وبنود الاتفاقية سرعان وأن بدأت تصادفها المشاكل. أية مناطق تكون مشمولة بالحكم الذاتي؟ ماهي المؤسسات والصلاحيات الممنوحة لها؟ ماهي الموارد المالية لميزانيتها؟ اثناء سير المفاوضات التي تمخضت عن إتفاقية ١١ آذار اتفق الطرفان على نقطتين مهمتين لم يرد لهما ذكر في بيان مجلس قيادة الثورة R.C.C ، النقطة الاولى شددت على أن الفترة الانتقالية يجب ان لا تتجاوز اربع سنوات وأن الاعلان عن قيام الحكم الذاتي سيذاع في ١١ أذار ١٩٧٤ كأقصى حد. اما النقطة الثانية فقد اقترحت اجراء احصاء سكاني في كركوك في ١١ آذار ١٩٧١ لتقرير مصير المحافظة. على كل

حال قام البعث بتأجيل هذا الاستفتاء المرة تلو الاخرى ولم يتحقق على الاطلاق. كانت بغداد تعلم ان غالبية سكان المحافظة كُرد.

في ١٧ تموز ١٩٧٠ اعلن الدستور المؤقت وهو الرابع من نوعه منذ ١٩٥٨ ولكن التعديل الذي تقرر بموجب المادة العاشرة من الاتفاقية لم يرد له ذكر.اما المادة التي تخص الكُرد فقد اولت تأكيداً على الواجبات ولفها الغموض في الحقوق.

كانت المشكلة الكبيرة تكمن في تلكؤ البعث في تقاسم السلطة، المادة الخامسة عشرة كانت تنص على مشاركة الكُرد في السلطة التشريعية. ولكن اية سلطة تشريعية سيشتركون فيها؟ منذ ١٩٥٨ وعلى مدى اثنتاعشرة سنة لم يكن هناك برلمان او انتخابات. كلما رحل دكتاتور جاء دكتاتور مكانه يعين الوزراء ويفسر القوانين ويضعها حسب هواه. حسب دستور ١٩٧٠ السلطة التشريعية هي امتياز بيد مجلس قيادة الثورة.

وعملياً كان الوزراء الكُرد الخمسة لا يملكون حولاً ولاقوة. صياغة القرارات وكل شيء كان يحسم مسبقاً من قبل مجلس قيادة الثورة. ان وزير شؤون الشمال «التعبير المستخدم للدلالة على كُردستان» محمد عبدالرحمن وكان عضواً في المكتب السياسي لـ K.D.P يتصارع من اجل تنفيذ ولو جزئي للمادة الاولى لإتفاقية ١١ أذار.

وفي ١٩٧١ استخدمت اللغة الكُردية كأداة في التعليم في مدارس بعض المناطق ذات الاغلبية الكُردية مثل خانقين وكركوك ولكنها لم تدخل المدارس الثانوية فيها وهذا الاجراء لم يتوسع ليشمل دهوك ايضاً ومناطق من محافظة نينوى ناهيك عن كُرد بغداد، كما ان اللغة الكُردية لم تصبح لغةً رسمية كما اشترطته المادة المقررة في الاتفاقية.

ربما كان K.D.P ليقبل بكل هذا ولديه القناعة بأن الوقت كفيل لإحداث

التغيير المطلوب في الاتجاه الصحيح ولكنه لايستطيع تجاهل حقيقه ان سياسة التعريب كانت لاتزال نشطة طوال الفترة الانتقالية لا في كركوك فحسب بل وايضاً في سنجار.

في أواخر ١٩٧١ حدث تطور اخر، رداً على استيلاء ايران على ثلاث جزر في الخليج الفارسي قام العراق بطرد نحو ٥٠,٠٠٠ من الرعايا الايرانيين ومن بينهم ٤٠,٠٠٠ كُردياً فيلياً الذين استقروا في بغداد وخانقين لأجيال عديدة.

في التاسع من شباط ١٩٧٣ فتحت المدفعية العراقية نيرانها على قرية بوسننان في سنجار. وفي ٢٦ شباط جرت عملية تفتيش من بيت الى بيت في نفس المنطقة واجبرت الالوف من الكُرد الايزيديين على ترك بيوتهم والذهاب الى منطقة زاخو. بدأت الهجرة وفي ٦ أذار اجبر اهل قرية غير Ghere في كركوك على ترك قريتهم ليسكنها رجال عشائر من العرب مع عوائلهم. وفي ٧ أذار حدث نفس الشيء لأهالي قرية قازان بلاغ التي تقع هي الاخرى في كركوك.

وفي ٢٦ أذار جاء دورديناترو في سهل عقرة وبعدها جاء دور منطقة الشيخان، وفي ٢٤ مايس وفي حزيران من ٨-٢٨ عام ١٩٧٣ تم ترحيل عدة قرى في منطقة خانقين. وفي شباط ١٩٧٤ تم طرد العمال والموظفين الكُرد من شركة نفط كركوك وتعيين عمال وموظفين عرب محلهم وتطلب الأمر تهجير ٤٠٠ عائلة كُردية.

بلغ التوتر ذروته بعد محاولتين لإغتيال البارزاني وكلتا المحاولتين جرى تدبيرهما من قبل قوات الأمن العراقية.

جرت المحاولة الاولى في ٢٩ ايلول ١٩٧١ عندما كان البارزاني يستقبل وفداً من علماء الدين أرسل من قبل بغداد في مقره في وادي

جومان على مقربة من طريق هاملتون.

اما المحاولة الثانية فحدثت في ١ تموز ١٩٧٢ وكانت من تدبير ناظم كزاز رئيس جهاز الامن العراقي.

وفي ١٥ تشرين الاول ١٩٧١ دعا احمد حسن البكر ومجلس قيادة الثورة الاحزاب السياسية الى تشكيل جبهةً وطنية تقدمية بقيادة حزب البعث ورد K.D.P على هذه المبادرة ضرورة ان يكون المشاركون في الجبهة شركاء متساوين سياسياً وضرورة اجراء انتخابات حرة وسن دستور للبلاد.

في ١٥ تشرين الاول اقترح الرئيس البكر تأسيس برلمان مكون من ١٠٠ عضو يرشحون من قبل مجلس قيادة الثورة. وعدد من قبل شركاء البعث. رفض البارزاني المقترح واكد على الطابع الكُردي لكركوك واتهم حكام بغداد بتعريب المحافظة.

واحتج البارزاني على إساءة استخدام السلطة وعمليات التعذيب السري التي تطال الشيوعيين العراقيين وقال ان ابواب كُردستان مفتوحة امام كل من يبحث عن اللجوء.

قصد بحق لجوء الشيوعيين. منذ ١٩٦٣ لم يلتجأ قادة الحزب الشيوعي الى كُردستان فحسب بل وسمح لهم البارزاني بتشكيل وحدات كجزء من جيش كُردستان الثوري - البيشمركة. تكونت هذه الوحدات من العرب والكُرد الشيوعيين وتعمل بأمرة القيادة العليا وتقاتل جنباً الى جنب مع البيشمركة حتى اتفاقية ١١ أذار ١٩٧٠، وعندما طلب البعث من الحزب الشيوعي الانضمام الى الجبهة الوطنية التقدمية قبل الحزب الدعوة.

ونتيجة لهذا السلوك حدثت مشاكل بين ICP و K.D.P وفي ذكرى ١٧ تموز التي هي ذكرى انقلاب البعث في ١٩٦٨ تم تشكيل الجبهة الوطنية

التقدمية وضمت في صفوفها بالاضافة الى حزب البعث راعي الجبهة كلاً من اللجنة المركزية الفصيل المنشق عن ICP وفصيل اخر منشق من K.D.P وهو فصيل عزيز عقراوي الذي اصبح وزيراً للدولة وكوفىء ICP بمنصب وزاري آخر وكلاهما لا يتمتعان بقوة التصويت على القرارات. وهنا يجدر بالذكر ان الحزب الشيوعي كان قد انشطر الى شطرين وهما اللجنة المركزية وهو الفصيل المؤيد لموسكو وهو ايضاً يميل الى التعاون مع البعث والفصيل الاخر الذي هو القيادة المركزية الموالي للصين وبقي متعاوناً مع K.D.P في كُردستان.

هذا التغيير المفاجيء في السياسة لم يكن بسبب ارتباطات K.D.P مع ايران. كان ICP يعلم بشكل جيد بهذا الإرتباط أيام كانت وحداته تقاتل جنباً الى جنب مع K.D.P والجرحى منه كانوا يؤخذون للعلاج في مستشفيات ايران حالهم في ذلك حال مقاتلي K.D.P.

وفي ٩ نيسان ١٩٧٢ وقع الاتحاد السوفيتي والعراق معاهدة الصداقة والتعاون بينهما. وفي تشرين الثاني ١٩٧٣ قامت وحدات من الحزب الشيوعي «اللجنة المركزية» والتي كانت لاتزال تحت سيطرة جيش كُردستان الثوري وخاصة في دربندي خان بعمليات ضد بيشمركة K.D.P الذين كانوا والى زمن قريب رفاقاً يحاربون معاً. اتهم K.D.P الحزب الشيوعي «اللجنة المركزية» بإثارة المشاكل بعد تلقيه الاسلحة من بغداد.

وإدعى الشيوعيون أن قوات K.D.P هي البادئة في استفزاز الوحدات الشيوعية.

وفي كانون الاول ١٩٧٣ وكانون الثاني ١٩٧٤ استطاع البشمركة من طرد عناصر اللجنة المركزية من حوض دربنديخان واجبرهم الى

الاحتماء بمقرات الجيش العراقي. اقامت الاحزاب الشيوعية في العالم الدنيا ولم تقعدها واتهمت K.D.P بإضطهاد وقمع الشيوعيين في كُردستان.

طوال الفترة الانتقالية برهن البعث انه لم يكن مفاوضاً موثوقاً به مع K.D.P وبعد ان استسلم الحزب الشيوعي «اللجنة المركزية» للضغوطات والمغريات التافهة انقلب على الحليف القديم له. المحزن في الأمر أن الأسلحة التي كان العراق يتلقاها كانت تأتي من الاتحاد السوفيتي في مثل هذه الاجواء والحرب اصبحت و شيكة الحدوث لم يكن لدى البارزاني خيار آخر غير خيار اعادة علاقاته مع طهران. هل كانت الحركة الكُردية متسرعة عندما رفضت الاشتراك في الجبهة الوطنية التقدمية؟ قد يكون الأمر كذلك ولكن هل تركت عملية التعريب المستمرة خيارات اخرى امام البارزاني؟ .

التميز والاستغلال الاقتصادي في كُردستان

وراء خطب البعث الرنانة والتقدمية كانت تقبع سياسة التمييز والاستغلال الاقتصادي ضد كُردستان.

وثيقتان من K.D.P تلقيان كثيراً من الضوء وتقدمان أمثلة معينة ومحددة. قدمت الاولى في حزيران ١٩٧٤ الى امين عام الامم المتحدة والثانية كانت كراساً قدم في حلقة حول حقوق الأقليات نظمت برعاية الأمم المتحدة في أوهريد في يوغوسلافيا بين ٢٥ حزيران الى ٨ تموز ١٩٧٤.

التمييز السياسي تعزز من خلال حملات الإرهاب التي شنت ضد الكُرد اثناء الفترة الانتقالية و ضحته ٣٥ حالة لهجمات عسكرية عراقية

على السكان المدنيين بين ٩ حزيران ١٩٧٣ الى مايس ١٩٧٤ فمثلاً في ١٩ آب ١٩٦٩ قامت وحدات من الجيش بالسيطرة على قرية دوكان في منطقة شيخان على مسافة ٢٥ ميل شمال الموصل التجأ سكان القرية الى احد الكهوف. الرجال القادرون على حمل السلاح كانوا قد غادروا القرية قبل فترة من هذا الوقت. جمع الجنود الحطب واشعلوا ناراً كبيرة عند مدخل الكهف الذي بداخله نحو ٦٧ شخص. معظمهم من الاطفال والشيوخ والنساء. لم يُنج من هؤلاء احد. وفي ايلول ١٩٦٩ تم تطويق قرية صوريا في منطقة زاخو بالدبابات وسويت بالارض وقتل جميع الكلدان من اهل القريةً عقاباً لإشتراك البعض من مسيحيي كُردستان في الثورة مع البارزاني.

وفي التعليم كان التمييز واضحاً. في ١٢ ايلول ١٩٧١ كان يوجد في اربيل وهي اغنى محافظات كُردستان ٧٠ طفل في سن التعليم لكل ١٠٠٠ مواطن بينما كان المعدل في البصرة مثلاً ١٢٠ طفل لكل ١٠٠٠ مواطن. النسبة المئوية للطلاب الكُرد في الجامعات هي ٦,٤٪ من المجموع الكلي في ١٩٧٠ – ١٩٧١ و ٦,١٪ في ١٩٧١ – ١٩٧٢ وفي الفترة من آذار الى كانون الأول ١٩٧٠ تم إغلاق ١١٠ مدرسة في محافظة دهوك وفي المناطق الكُردية من محافظة الموصل. وبعد تطبيق قرار التعليم بالكُردية في ١٩٧١ مارست السلطات الضغط على أولياء أمور الطلبة في خانقين لنقل اولادهم من الدراسة الكُردية الى العربية وتم نقل ٤٠٠ منهم الى الدراسة العربية ، اما نسبتهم في المعاهد العسكرية فكانت حوالي ٢٪ ولم يعد يقبل الكُرد من الضباط في كلية الاركان و كذلك كانت الحال معهم في الكلية الجوية العسكرية.

في السلك الدبلوماسي التمييز كان كبيراً. من بين ٥٠٠ دبلوماسي

عراقي كان عدد الكُرد منهم ١٠ فقط وكان واحدُ من هؤلاء العشرة بدرجة سفير.

وفي التجنس بقي ألوف الكُرد الذين سكنوا العراق لعقود طويلة بدون جنسية ، القانون ٣٦ في ١٩٦١ لايعتبر رعايا الدول العربية الساكنين في العراق أجانب. بينما لايطبق على الكُرد من كُردستان تركيا وايران وسوريا حتى وان مرّت عليهم عقود من الزمن في العراق.

وهنالك التميز الاقتصادي. على مدى اربع سنوات في الفترة الانتقالية تلقت المناطق الكُردية ٧-١٢٪ من ميزانية العراق الانمائية. ومن بين ١٥٠ مشروعاً كانت حصة كُردستان منها أربعة فقط ان صناعة الحديد اقيمت في المنطقة العربية مع ان خاماته تستخرج في كُردستان.

ان مصفاة النفط التي كان من المزمع اقامتها في كركوك ١٩٧٠ حولت الى حمام العليل في الموصل رغم اضافة زيادة ٢٠٪ الى تكلفة الانتاج. اما بالنسبة لفتح الطرق فإن كُردستان كانت مطوقة. ان الطريق الجديدة بين كركوك والموصل مرّت بجانب اربيل وأريد لها خدمة التعريب في المنطقة مثلها مثل المشاريع الإروائية في كركوك والتي كان الهدف منها إرواء سهل جنوب كركوك وشرقها حيث كان من المقرر توطين العرب فيه.

كان التبغ مشكلة للفلاح الكُردي وهو يزرع على نطاق واسع وخاصة في منطقة السليمانية كان لإحتكار الحكومة للمنتوج وتسعيره أثر سيء على الفلاح الكُرد يستهلكون ١٥٪ من الانتاج ويصدر الباقي الى القسم العربي من العراق والى بعض دول الخليج من قبل الدولة. كان K.D.P محقاً في الطلب لوضع حل عادل لمشكلة التبغ.

في ١٩٦٤ اصدرت الحكومة قانون النفط المرقم ٨٠ وبموجبه سيطرت الدولة على كل الحقول غير المستثمرة من قبل الشركات النفطية وانشأت

شركة النفط العراقية ولكن مجال نشاطها كان محدوداً جداً. في ١ حزيران ١٩٧٢ اصدرت حكومة البعث قرار تأميم النفط. وفي ١ اذار ١٩٧٣ انصاعت الشركات النفطية للقرار وقبلت بشروط العراق وبعد مدة اممت حصة كولينكيان وحصة هولندا والولايات المتحدة.

روّج البعث لشعاره «نفط العرب للعرب» من دون اشارة الى ان نسبة كبيرة من نفط العراق هو من كُردستان. ولكن السؤال هو كم من هذا النفط يستخرج من أرض كُردستان وكيف تصرف إيراداته؟ ان حقول النفط الكُردية تقع في كركوك وخانقين وعين زالة وهذه الحقول مربوطة بأنابيب بموانئ على البحر المتوسط في بانياس وطرابلس وهي متوقفة في الوقت الحالي واستعيض عنها بخط الانابيب المار عبر تركيا الى ميناء جيهان على البحر المتوسط.

في ١٩٦١ بلغت طاقة النقل في هذه الخطوط الى ٤٠ مليون طن متري في السنة مقارنة بـ ١٠ مليون طن من النفط المستخرج في الرميلة والزبير والمصدّر عن طريق ميناء فاو.

ساهمت كُردستان بحوالي ٨٠٪ من انتاج النفط العراقي في تلك السنة وبلغ دخل العراق منه ٢٠٠ مليون دولار ويمثل ٩٠٪ من صادرات العراق و ٦٧٪ من مجموع الدخل العراقي. هذه النسبة كانت ٩٢٪ في ١٩٥٦ و ٨٨٪ في ١٩٥٧.

بين ١٩٦٩ و ١٩٧٤ ازداد الدخل من النفط بمقدار ثلاثة اضعاف حيث ارتفع من ١,٢١٨ مليون دينار الى ٢,٥٥٠ مليون دينار وتعود هذه الزيادة الى ارتفاع اسعار النفط حيث قفز سعر البرميل الواحد من ٢,٨ دولار الى ١١,٢٥ دولار. بصورة عامة فإن ٣٠٪ من دخل النفط يخصص للميزانية الاعتيادية ويذهب الباقي الى القطاع العام والى

مشاريع الاستثمار وشراء الاسلحة.

في ١٩٧٥ وعندما كان سعر البرميل ١١,٢٥ دولاراً فان دخل العراق من النفط يقدر بـ ٢.٨٣٤ مليون ديناراً طبقاً لما اوردته فايننشيال تايمز وقدر انتاج حقول كركوك وخانقين وعين زالة بنحو ٧٥٪ من الانتاج الكلي للنفط في العراق، كان دخل العراق من نفط كُردستان عام ١٩٧٤ ٥,٧٦٢ مليون دولار وفي ١٩٧٥ كان ٧,١٧٨ مليون دولار.

في ١٩٧٤ بلغ دخل الفرد في العراق ٩٧٠ دولاراً سنوياً وبدأ العمل بمشاريع التنمية ولكن معظمها ذهب للمنطقة العربية. ان الاعوام ١٩٧٤ و ١٩٧٥ لم تجلب معها الا الحروب والدمار. ولاشك ان الزيادة في دخل البلاد من النفط كانت عاملاً في شن حربه ضد كُردستان في ١٩٧٥.

انهيار مشروع الحكم الذاتي

رغم توتر الموقف فـأن K.D.P حاول التوصل الى إبرام اتفاقية عن طريق المفاوضات مع البعث حول الحكم الذاتي المقترح في ١١ أذار ١٩٧٠، في ١٧ كانون الثاني ١٩٧٤ بدأ وفد من K.D.P المفاوضات مع الحكومة وظهرت خلافات كبيرة حول مواضيع مهمة بما في ذلك حدود ومساحة الاقليم وتعريف مؤسسات الحكم الذاتي المقترح والاستفتاء ومصير سياسة التعريب في كركوك وحصة الكُرد من الدخل الوطني وخاصة الدخل من النفط.

توقفت المفاوضات اولاً ثم الغيت من قبل البعث وفي ٢٢ شباط توجه وفد آخرمن K.D.P الى بغداد على أمل بدء المفاوضات من جديد ولكن الحكومة رفضت استقباله. وفي ٣ آذار اعلنت الجبهة الوطنية التقدمية أن الحكومة ستعلن قانونها للحكم الذاتي دون استشارة K.D.P خلافاً

لبنود اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ وفي ٨ آذار وفي اخر محاولة لمنع اندلاع الحرب استقبل صدام ادريس البارزاني نجل ملا مصطفى في بغداد حيث اقترح بأن تؤجل الحكومة إعلان قانون الحكم الذاتي من جانب واحد و تمدد الفترة الانتقالية سنة اخرى الى ١١ آذار ١٩٧٥ مع ان الوضع الراهن قلق ولكن هذا افضل من حالة الحرب، في ١١ آذار ١٩٧٤ اصدر مجلس قيادة الثورة قانون الحكم الذاتي لكُردستان.

في اليوم الثاني على صدور الإعلان اصدر المكتب السياسي في K.D.P بياناً تحت عنوان «وجهة نظر K.D.P حول مسألة الحكم الذاتي» كشف فيه عن اسرار المفاوضات وخاصة المواقف التي اتخذها الطرفان حول المواضيع المختلف عليها. اهم المعوقات التي اعترضت طريق المفاوضات هي تلك المتعلقة برسم الحدود ومصير كركوك وسياسة التعريب حيث نصّت المادة الاولى:

آ- «منطقة كُردستان تتمتع بالحكم الذاتي» اصبحت في القانون الجديد يرمز اليها مصطلح «اقليم».

ب- المنطقة تمتد على القطاعات ذات الاغلبية الكُردية والاحصاء العام سيقرر حدودها كما هو المتفق عليه في بيان ١١ آذار ١٩٧٠، سوف تستخدم الارقام الواردة في احصاء ١٩٥٧ قاعدة لتقرير المناطق ذات الغالبية الكُردية التي ستجري فيها عملية الاحصاء الجديدة.

ج- ستشكل المنطقة وحدة ادارية واحدة لها مسؤولياتها ضمن الأطر التشريعية والسياسية والاقتصادية للجمهورية العراقية.

د- المنطقة هي جزء مكمل للأرض العراقية وشعبها جزء متمم للشعب العراقي.

هـ- أربيل هي المركز الاداري للحكم الذاتي .

و- مؤسسات الحكم الذاتي جزء من مؤسسات الجمهورية العراقية.

كان الذي ترمي اليه المادة ١٤ من اتفاقية ١١ آذار إجراء إحصاء من شأنه تحديد منطقة الحكم الذاتي ويعمل كأساس لتثبيت الحدود لها. ولكن في بيان ١١ آذار ١٩٧٤ قرر البعث رسم حدود منطقة الحكم الذاتي حسب ارقام اختارها هو الشيء الذي يناقض المادة ٣ من المواد السرية للإتفاقية التي تنص على اجراء الاحصاء في تأريخ لا يتجاوز ١١ آذار ١٩٧١ . واقترح K.D.P أن تخضع عملية الإحصاء للشروط الآتية:

أ- اتخاذ الاجراءات الضرورية لتمكين جميع الكُرد الذين شُردوا او طُردوا منذ ١٩٦١ من العودة الى اماكنهم ويعتبرون من سكانها.

ب- عدم صياغة الارقام في ضوء الوحدات الادارية التي اقيمت بعد اتفاقية ١١ آذار لأن هذه الوحدات اقتطعت من المنطقة بصورة مفتعلة وقلصت من حجم المناطق الكُردية.

ج- ضرورة الغاء التغييرات التي حصلت على التركيبة القومية للسكان والناجمة من تطبيق السياسة العنصرية في التعريب.

د- على K.D.P والبعث التعاون لإقامة ادارة مشتركة لإدارة كركوك والمناطق المتنازع عليها في نينوى و ديالى وإن الجو السلمي كفيل بإجراء عملية إحصاء سلسة.

هـ- إن الظروف التي جرى فيها احصاء ١٩٥٧ يجب ان تخضع للدراسة وكذلك الظروف التي جرى فيها توطين الناس من مناطق اخرى في كُردستان.

و- الاحصاء الجديد يجب ان يجرى بإشراف من البعث و الحزب الديمقراطي الكُردستاني.

قبلت الحكومة من حيث المبدأ فكرة الادارة المشتركة لكركوك وخانقين

وسنجار ولكنها أجّلت الاحصاء الى أجل غير مسمى ولم تعمل شيئاً لإقامة الادارة المشتركة في المناطق المختلف عليها وفي نفس الوقت استمرت في سياستها تجاه الكُرد والتركمان في كركوك.

في مفاوضات كانون الثاني ١٩٧٤ افصحت الحكومة عن موافقتها على التنازل عن منطقتين من المناطق الست وهما جمجمال وكلار القريبتان من السليمانية ولم تبد مرونة حول مناطق ديالى ونينوى. هكذا قرر البعث بشكل انفرادي تحديد منطقة الحكم الذاتي لتشمل السليمانية وأربيل ودهوك التي تشكل ١٤,٤٥٤ميل٢ من اصل ٢٩,٠٠٠ميل٢ التي هي مساحة كُردستان.

اثناء المفاوضات أصر K.D.P على أن منطقة الحكم الذاتي يجب أن تحصل على نصيب من الميزانية العامة وعلى نصيب من ميزانية التطوير وحصة من النفط تتناسب وعدد نفوس الكُرد في منطقة الحكم الذاتي. وحتى في هذا المطلب المعتدل وافق K.D.P على احتساب حصة الحكم الذاتي من الميزانية بعد طرح نفقات الدفاع والمشاريع العامة ذات الأهمية الوطنية.

لم تكلف الحكومة نفسها عناء الإجابة على هذه المطالب واحتفظت لنفسها حق السيطرة التامة على المبالغ التي ترصد لميزانية الاقليم.

النقطة الاخرى التي كانت موضع الخلاف بينهما هي موضوع السيطرة التشريعية على قرارات ودستورية القوانين. أراد البعث إخضاع سلطات الحكم الذاتي لسيطرة محكمة التمييز التي رئيسها وجميع اعضائها معينون من قبل الحكومة. اما K.D.P فاقترح ممارسة هذه السيطرة من قبل هيئة قضائية يرأسها رئيس محكمة التمييز العراقية ويكون نصف اعضائها معينين من قبل المجلس التشريعي في الحكم

الذاتي والنصف الآخر من قبل المجلس الوطني العراقي.

رفض البعث أي تمثيل للكُرد في هيئة تشريعية مهمة، تمسك K.D.P بفكرة انتخاب مجلس النواب في غضون ٦ أشهر من تأريخ ١١ آذار ١٩٧٤ وأن يمارس البرلمان حقه في استصدار القوانين باسم كل الشعب وكان يرى في هذه الفكرة نهاية الفترة الانتقالية. وافقت الحكومة على إقامة مجلس وطني ذا صلاحيات محددة وأن يبقى اقل شأناً من مجلس قيادة الثورة.

كما رفض البعث أي حق للأقليم في الاشراف على الشرطة وقوات الامن. الاحتفاظ بسجلات البلديات يكون خارج نطاق صلاحية الحكم الذاتي.

كما ان الحكم الذاتي لايتولى شؤون الري والتصنيع من بين ٨٠ عضواً في المجلس التشريعي كان ٧٢ منهم معينين من قبل رئيس الجمهورية، هاشم عقراوي الذي هو احد المنشقين على K.D.P اصبح رئيساً للمجلس التنفيذي وعُين بابكر اغا البشدري رئيساً للمجلس التشريعي وهو رئيس عشيرة لم يلعب في حياته اي دور في الحركة الكُردية.

في ٥ تشرين الاول ١٩٧٤ عقد هذا البرلمان الذي كان يفترض فيه تمثيل الشعب الكُردي دورته الاولى في أربيل. ارسل احمد حسن البكر وهو السكرتير العام للقيادة القطرية لحزب البعث طه محي الدين معروف ممثلاً عنه والحرب الخامسة في كُردستان على الأبواب حيث حدثت إشتباكات متفرقة بين الكُرد والقوات الحكومية.

وفي هذه المرحلة كانت الحكومة منهمكة في استعداداتها للحرب وأسست فرقة عسكرية جديدة هي الثامنة في تسلسلها التأريخي وجعلت مقرها في اربيل. وفي شباط ١٩٧٤ اصبح طه الشكرجي قائداً لهذه

الفرقة. وطه الشكرجي هذا معروف بأعماله الرهيبة التي ارتكبها بحق الكُرد في ١٩٦٣ اثناء الحملة العسكرية على كُردستان. اعقب ذلك طرد العمال الكُرد والتقنيين في شركة النفط وتم طرد ٤٠٠ عائلة. وفي ٨ شباط ١٩٧٤ أُخليت ١٥ قرية كُردية في محيط كركوك. وفي ٢١ من الشهر نفسه اخليت العوائل الكُردية في مدينة كفري وسويت بيوتهم بالأرض.

وأغلقت جريدة «برايتي» لسان الحزب الديمقراطي الكُردستاني. وفي ٢٤ شباط صدر المرسوم المرقم ١٧٦ يفرض حظراً على كل التنظيمات السياسية غير المنطوية تحت لواء الجبهة الوطنية والتقدمية. وكان المستهدف الاول من هذه التنظيمات K.D.P واستهدف المرسوم ايضاً «القيادة المركزية» والجناح اليساري لحزب البعث العراقي الذي يعمل من سوريا.

وفي ١١ آذار اعطت الحكومة ملا مصطفى البارزاني مهلة ١٥ يوم لقبول المرسوم. رفض الحزب الديمقراطي الكُردستاني الانذار و بدأت الاذاعة الكُردية تعلن ان الكفاح لن يتوقف الا بعد ضمان جميع حقوق الشعب الكُردي. لم تبدأ المعارك على الفور حيث ان الجيش العراقي لم يستكمل بعد استعداداته للمعركة. بين ١١ و ١٥ أذار التحق نحو ١٠٠,٠٠٠ كُردي و معظمهم من المدن والبلدات التي استولت عليها القوات العراقية او هي مهددة من قبلها وانضموا الى الثورة واصبح عدد نفوس كُردستان الحرة ١,٥ مليون نسمة و معظم هؤلاء لم يسبق لهم الاشتراك في الثورة في السنين السابقة . في ١١ آذار استقال الوزراء الخمسة واتجهوا صوب جومان حيث مقر البارزاني.

وبدأت الحرب الخامسة في كُردستان

طوال فترة الحرب لم يغفل النظام عن مشروع التعريب في المنطقة الكُردية . أجبرت الأساليب الوحشية عشرات الألوف من القرويين على مغادرة قراهم. بدأت الهجرة نحو المناطق العليا من بهدينان عند قضاء العمادية والى وادي جومان الذي امتلأ بالنازحين الذين تم اجلاء عدد منهم الى ايران بمساعدة الهلال الاحمر الايراني- جمعية الشمس والاسد- وهكذا بدأت محنة اللاجئين في ايران.

قام وفد من الاتحاد الدولي لحقوق الانسان بزيارة جومان من الفترة ٣١ تشرين الاول الى ١١ تشرين الثاني ١٩٧٤، ضم الوفد كاتباً فرنسياً هو دومونيك ايودي ومحاميان فرنسيان هما باترليك بادوين و تيري مايكنون. وجاء في تقريرهم: ان الممر الذي يشكل الحدود مع ايران يحوي ٢٥,٠٠٠ لاجيء ولا تتوفر ابسط متطلبات الحياة. الناس يتزاحمون على اطراف الطريق بدون مأوى ولدى البعض منهم بعض البطانيات ومن حسن حظهم أن الثلوج لم تسقط بعد. على هؤلاء المنكوبين الانتظار لأكثر من شهر بينما يتم نقلهم من قبل الهلال الاحمر و جمعية الشمس والاسد الى معسكرات اللاجئين في ايران والى جانب المعسكر هنالك مقبرة تتوسع كل يوم حيث يدفن فيها بين ٣٠-٤٠ شخص جلهم من الاطفال والشيوخ بسبب الجوع والبرد والانهاك.

قام وفد من منظمة «دواء بلا حدود» بزيارة وادي جومان ومنطقة دركالة و راناكة من الفترة ١٣ ايلول الى ٢ تشرين الاول و برفقتهم الاطباء الفرنسيون جاك دينية وبرنارد كوجر وماكس ريكاميرو قدموا التقرير الذي احتوى على: لا توجد تسهيلات صحية ولا أبنية و لا خيام العائلات تنتظر. جاء هؤلاء من منطقة قلعة دزه ومن بهدينان. كثيرون من

النازحين يرفضون مغادرة كُردستان وهنالك من نصب له خيمة بجانب الطريق او انشأ له كوخاً من الطين.

السل الرئوي وإلتهاب المجاري التنفسية والتيفوئيد وذات السحايا كانت منتشرة بين النازحين بسبب سوء التغذية والبرد وعدم توفر العلاج.

المرضى كانوا افضل حظاً من الجرحى لعدم توفر من يقوم بإجراء عمليات حتى وإن كانت بسيطة، يوجد مركز للعمليات ولكنه مجهزاً بشكل جيد وعلى الجرحى والمرضى الذين قدموا من مسافات طويلة في سيارة جيب او على ظهور الدواب الانتظار بينما تنقلهم سيارة الاسعاف الوحيدة الموجودة الى بيران شاه او الرضائية. المصابون بجروح في الرأس او الصدر كانت فرصة بقائهم على قيد الحياة جد ضئيلة.

ارتفع عدد اللاجئيين الكُرد من ١٤٥,٠٠٠ في خريف ١٩٧٤ الى ٣٠٠,٠٠٠ لاجيء قبل نهاية الحرب في ربيع ١٩٧٥. اسرع العراق بإرسال ١٢٠,٠٠٠ جندي الى الجبهة ضد الكُرد وارسل نحو ٨٠٠ دبابة و ٢٠ بطارية مدفعية متحركة تساندها القوة الجوية المؤلفة من ١١,٠٠٠ رجل وهم مجهزون بعدة مئات من الطائرات. وأرسل ايضاً نحو ٢٠,٠٠٠ شرطي.

واجه هذا الحشد الهائل من القوات ٥٠,٠٠٠ مقاتل كُردي وعدد من الميليشيات يقومون بمساعدة المدنيين ويحفظون الامن. ومع عدم توازن القوى وخاصة في ناحية السلاح فان البشمركة بفضل وعورة المنطقة وللإسناد الشعبي لهم فقد تمسكوا بالأرض بشجاعة.

في آب وصلت آليات الجيش المدرعة الى سفوح الجبال وبدأت بالتغلغل في وديانها، استطاع لواء من الجيش الوصول الى رواندوز التي تحيط بها قمم جبلية عالية بما فيها قمة جبل كورك. وعندما حصل المدافعون

عنها على قطع مدفعية بعيدة المدى وعلى سلاح ضد الدبابات استطاعوا استعادة المدينة وبقيت المدينة بين هجوم وهجوم مضاد والنتيجة كانت دمار المدينة.

حاولت بغداد عزل منطقة بهدينان عن بقية أجزاء كُردستان ولكن محاولتها هذه فشلت ولكن الهجرة ازدادت بسبب نقص المواد الغذائية بسبب الحصار الشديد عليها من قبل الحكومة، المسافة من الحدود السورية الى الحدود الايرانية في الشرق هي رحلة اسبوعين مشياً على الاقدام. هلك الكثيرون منهم اثناء الرحلة هذه في الجبال المغطاة بالثلوج.

آتت الحرب الخامسة الى نهايتها بعد صفقات دولية واقليمية على حساب الكُرد الأمر الذي يكشف أن القيادة الكُردية العليا ارتكبت اخطاءً جسيمة. كانت هذه الحرب اكثر الحروب دموية من بين الحروب الخمس. حسب بيان عراقي فان القوات المسلحة خسرت ١٦٤٠ قتيلاً و ٧,٩٠٣ جريحاً . اما خسائر الكُرد فلم يكن من السهل تقديرها حيث ان الاصابات بين المدنيين لم تكن قليلة.

اتفاقية الجزائر وأسباب الكارثة

لا استطيع كتم حنقي كلما فكرت في الظروف التي قادت الكُرد الى هذه الحرب - عدم الارتياح للنهاية التي آلت اليها الحرب وعلى ستراتيجية الحركة في الحكم الذاتي والتحالفات الخارجية وعلى ما فعلته بغداد بكُردستان بعد انهيار الحركة.

في فترة ما بين ١٩٧٠ و ١٩٧٥ اختار البعث شركاءً وحلفاءً أجانب لتغيير مسار الحرب، شنَّ صدام هجومه بعد ان تأكد من تعاون الحزب الشيوعي «اللجنة المركزية» معه ومن معونة الاتحاد السوفيتي العسكرية له. انهى الحرب بعد ان دخل فيها شاه ايران وكيسنجر «الولايات المتحدة» و بومدين «الجزائر»، لقد كان انتصار صدام المهم في لعبة الدبلوماسية هذه توقيع معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي في ٩ نيسان ١٩٧٢، وعد السوفيت بتقديم السلاح والخبراء مقابل استخدام موانيء العراق من قبل اسطوله الحربي.

من وجهة نظر السوفيت لم تكن المعاهدة ضد الحركة الكُردية. القادة السوفيت الذين الى وقت قريب ابدوا تفهماً لنضال الشعب الكُردي برّروا عقد المعاهدة لمساعدة العراق في الاستمرار في الكفاح ضد شركات النفط العالمية وأملوا ايضاً في جمع الطرفين على صلح بينهما، لم تكن موسكو غافلة عن المساعدات التي قدمها الشاه لـ K.D.P و التي سحبها منه بعد إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ كان السوفيت على علم ايضاً بالصعوبات التي يواجهها الكُرد مع البعث. عبر الكُرد عن المظالم التي

طالتهم عن طريق الدبلوماسية بالطرق الحزبية ايضاً وخاصة في ١٩٧٠ عند الاحتفال بميلاد لينين. وبعد ذلك في ١٩٧١ في مؤتمر الحزب الشيوعي وفي ١٩٧٢. عندما زار كوسجين بغداد واخيراً في آب من نفس السنة عندما زار وفد من K.D.P موسكو بدعوة سوفيتية.

على كل حال أبرمت الصفقة مع شريك كان قد بدأ حملة التهجير بهدوء و راحة وهي سياسة وصفتها جريدة ازفستيا لسان الحزب الشيوعي السوفيتي في ١٩٦٣ بأنها عمل من أعمال هتلر. وبعد التوقيع على المعاهدة لم يعد لدى السوفيت سبباً لمنع البعث من الاستمرار في سياسته او اقناع الضحية بالقبول بها، بتسليح البعث وباعطائهم شهادة حسن سلوك جيد فإن الاتحاد السوفيتي ترك الكُرد دون سند. اما والحالة هذه فلم يجد الكُرد بداً في التوجه الى الشاه في طلب المساعدة.

بعد التوقيع على المعاهدة دعا الزعماء السوفيت ملا مصطفى لزيارة موسكو ولأنه لايستطيع مغادرة كُردستان فإنه ارسل وفداً عنه لمقابلة سوسلوف عضو المكتب السياسي في آب ١٩٧٢ وبعد ذلك اجتمع الوفد بـ اوليانوفسكي المسؤول عن العلاقات مع حركات التحرير الشعبية في ايلول. عرض الوفد مظالمه وطلب من السوفيت ممارسة نفوذه ومساعيه لدى الحكومة العراقية لإقناعها بالعودة الى المفاوضات. اجاب سوسلوف على اسئلتهم دون إعطاء جواب محدد شارحاً صعوبة ايجاد حلول للنزاعات الحدودية بين القوميات. وفي هذا الوقت بدأ تدفق السلاح السوفيتي على بغداد فلم يجد البارزاني سبيلاً غير سبيل التحالف مع الشاه.

وهكذا اجبر ملا مصطفى البارزاني على قبول عرض الشاه بتقديم مساعدات عسكرية ولكنه لم يكن يثق بالشاه على الاطلاق.

عندما جاء الرئيس الامريكي نيكسون الى طهران في ٣٠ مايس ١٩٧٢ بعد ان اجتمع في موسكو مع برجنيف اثار الشاه المسألة معه وطلب من الرئيس مساعدته في دعم الكُرد لخلق مشاكل لجاره العدو. وحسب تقرير بايك الى مجلس الشيوخ فإن الزعيم الكُردي عبّر عن عدم ثقته بالشاه على عكس ثقته بالأمريكيين.

في البداية لم تكن لدى الأمريكيين رغبة في التورط بعمليات ولو بشكل غير مباشر مخافة إطالة امد التمرد وبذلك يشجع الانفصاليين في التمادي في طموحاتهم فهيأ فرصة للسوفيت لخلق مشاكل لحلفاء امريكا. ولكن في اجتماع للحكومة وفي أجواء سرية حث جون.بي كونالي الذي كان يرأس حملة نيكسون في الانتخابات على قبول المشروع، ان المساعدة الامريكية البالغة ١٦ مليون دولار الى الكُرد تمت بموافقة الرئيس عليها وذلك بعد لقاء عقد بين الشاه و وزير خارجية امريكا هنري كيسنجر تولت C.I.A المشروع ولم تتدخل وزارة الخارجية في المسألة. لم يكن البارزاني على علم بما يجري وراء الكواليس وكل ما يهمه انه يتعامل مع الرئيس الامريكي ووزير خارجيته.

كانت هذه البادرة كفيلة بتبرير مخاوف الزعيم الكُردي وإزالة الشكوك التي ساوره. لقد كانت المساعدة على حد قول بايك رمزية اذا ما قورنت بالمعونة التي يقدمها الشاه للكُرد. لقد كشفت الوثائق التي ابرزت امام اللجنة بأن امريكا تصرفت كضامن على أن الشاه لن يتخلى عن الكُرد.

كانت العملية امريكية وبكلمة اخرى انها كانت نيكسونية منذ البداية. شدّد تقرير بايك على ان شاه ايران والرئيس نيكسون وكيسنجر لم يكونوا راغبين في انتصار الكُرد. املوا ان يستطيعوا من استنزاف موارد العراق عن طريق دعم الكُرد ولم يكن الشاه يريد قيام حكم ذاتي

للكُرد في العراق. كانت ايران وأمريكا تأملان معاً من الاستفادة من حالة معلقة ليضعف فيها العراق برفض الكُرد التخلي عن حكم ذاتي لهم. إنهما أي ايران وامريكا لا ترغبان في حل المشكلة بطريقة او بأخرى. بالنسبة الى كيسنجر فأن هذه السياسة من شأنها ردع صدام من القيام بمغامرة دولية. ان الكُرد الذين شجعوا على القتال لم يكن يدرون بأحابيل سياسة كيسنجر. انه عمل مشين حتى في اطار عملية سرية. لم يكن البارزاني على علم بما يخطط له كيسنجر وأرسل إليه يوم زواجه بهدايا وان بقي الأمر سراً.

المثير في مذكرة المخابرات المركزية C.I.A التي فصّلت موقف ايران والحكومة الامريكية أنها بدأت بالتداول قبيل وصول المارشال اندريه كريجكو وزير الدفاع السوفيتي الى بغداد. طبقاً لما اوردته مجلة نيويورك تايمز فإن الوزير جلب معه خطة لحل النزاع بين بغداد والكُرد، ولكن بارزاني رفضها بناء على نصيحة من ايران والولايات المتحدة.

وطبقاً لما ذكرته الصحافة فإن المساعدة التي قدمتها ايران والولايات المتحدة للكُرد لم تكن بالسخية ولم تخرج عن نطاق بنادق رشاشه و بعض المدافع القديمة التي اكل عليها الدهر وشرب و بعض المضادات الجوية و مدفعية ذات طاقة واطئة. على كل حال قاوم البيشمركة بنجاح هجوم القوات العراقية في صيف ١٩٧٤ ونتيجة لذلك بدأ صدام بالتقرب الى الشاه أملاً ان يجد وسيلة اخرى لحل المشكلة. جرى هذا التقارب بشكل سري اولا من خلال ممثلي مصر و الجزائر اللذين تباحثا في الأمر اثناء مؤتمر القمة العربية الذي انعقد في الرباط في تشرين الاول ١٩٧٤.

كان توقيت المبادرة جيداً فكيسنجر كان في منتصف محاولته لفك

القوات بين مصر واسرائيل في سيناء. لم تكن هذه الجهود محل ترحاب السوريين الذين بهذه الطريقة سيعانون من العزلة ولن يستطيع تجنيد الدعم لهم على اسس قومية. قدر كيسنجر وأنور السادات أنهم إذا استطاعوا مساعدة العراق في التخلص من الشوكة الكُردية التي تؤرقهم فان بغداد ستكون ممتنة لهم ولن تمانع في مواصلة المفاوضات بين مصر و اسرائيل. تم إرسال الدبلوماسي المصري اشرف مروان الى كل من بغداد وطهران لاستطلاع آراء الفريقين. اوضحت ايران انها ستقبل بإجراء محادثات والتخلي عن الورقة الكُردية لقاء بعض التنازلات من العراق في الخليج الفارسي وان تكف بغداد عن معاداتها لايران وعدم تأييد سوريا في معارضتها لإتفاقية سيناء بين مصر واسرائيل. قام محمد يزيد سفير الجزائر في بيروت بنقل دعم هواري بومدين للمشروع الى صدام، اصبح حل المسألة واضحاً.

وفي الحقيقة تمت التسوية في الجزائر اثناء مؤتمر اوبك في ٦ آذار ١٩٧٥، تعهد الشاه بغلق الحدود مع كُردستان العراق وسد المنافذ الجبلية لمنع تسلل العناصر المخربة الذين كانوا والى زمن قريب يصفهم الشاه بالأبطال والصحافة الايرانية تقدمهم كأخوة للإيرانيين – هؤلاء المحاربون الآريون الذين يشكلون رأس الرمح للشعب الايراني. مقابل التخلي عن الكُرد حصل الشاه على تغيرات في الحدود التي ستمر عند عبادان في منتصف شط العرب لكي تتفق مع البروتوكول الفارسي العثماني الذي وضع في ١٩١٣ في اسطنبول والذي استنسخ بالتسوية البريطانية في ١٩٣٧ التي وضعت شط العرب برمته ضمن الحدود العراقية.

تم التأكيد على إتفاقية الجزائر بالمعاهدة العراقية الايرانية التي تم

التوقيع عليها في ١٣ حزيران ١٩٧٥ من قبل وزراء خارجية البلدين ومن قبل عبدالعزيز بتفليقه وزير خارجية الجزائر ضامناً لنوايا البلدين الحسنة وارسل الرئيس بومدين مجموعة من الضباط الجزائريين لمساعدة الدولتين على غلق الحدود من الجانب الايراني.

في شباط وبأيام قليلة قبل التوقيع على إتفاقية الجزائر قامت القيادة الكُردية التي اقلقتها المفاوضات بين العراق وايران ومصر والجزائر بإرسال وفد الى مصر لاستطلاع الخبر. التقى الوفد بالرئيس المصري انور سادات وطلب منه حماية حقوق الكُرد في حالة اتفاق بين العراق وايران.

طمأنهم الرئيس المصري بعدم وجود أية مفاوضات بينهما فبعد عودتهم الى كُردستان أذيعت انباء اتفاقية ٦ آذار في الجزائر.

رحب الشاه بإتفاقية الجزائر لجملة من الأسباب:

اول هذه الاسباب هو عدم رغبته في رؤية حكم ذاتي كُردي في العراق. والسبب الثاني انه اراد بها ابعاد بغداد عن موسكو من خلال صفقة على حساب الكُرد، واراد الشاه ان يعترف به كقوة رئيسة في الخليج حتى وإن كان ذلك يعني وصفه بشرطي الخليج كما فعل في ظفار من سلطنة عمان.

لاقت محاولات الشاه للتقرب من صدام إستحسان وترحيب كيسنجر طالما ان الاثنين كانا يعتبران الكُرد على أنهم مجرد ورقة يلعبون بها.

ولكن في ١٩٧٢ لم يكن صدام بعد مستعداً للمساومة مع جاره ولم يكن كذلك في آب ١٩٧٤ عندماالتقى الدبلوماسيون الايرانيون والعراقيون في اسطنبول بطلب من الشاه. كان صدام لايزال يأمل في حسم المسألة عسكرياً والمعركة المقبلة في آب على الأبواب.

في مقالة له في ليموند يقول كيراس أن الشاه ولغرض جعل القوة الكُردية معتمدة عليه سهّل في تدفق الاسلحة الى الكُرد وزودهم بسلاح متقدم ضد الدبابات والمدفعية من عيار ١٥٥ ملم في رواندوز وجومان ولكنه زودهم بذخيرة تكفي للقتال لمدة ٣ أيام فقط كي لايعطي الكُرد مجالاً للمناورة السياسية.

وحسب تقارير المراسلين الاجانب الذين كانوا في كُردستان العراق عند عقد اتفاقية الجزائر فإن الشاه كان اشد صرامة في تطبيق القرار وبنود الاتفاقية مما كان يتوقعه صدام. بعد ٨ ساعات من الاتفاق في الجزائر بدأت الناقلات الايرانية بسحب المدافع من عيار ١٥٥ملم من داخل الاراضي العراقية وبدأت القوافل العسكرية على طريق هاملتون تتحرك نحو الاراضي الايرانية وهي تنقل المعدات والذخيرة وحتى قسماً من الاغذية والمواد التموينية.

ان اتفاقية الجزائر مثال اخر يجسد التحالف غير المقدس للسياسة التي هي مابين الدول التي قسمت بينها كُردستان.

في الحقيقة أن اهداف بغداد الستراتيجية لم تتغير، حلف بغداد في ١٩٥٥ ومعاهدة الصداقة موسكو في ١٩٧٢ واتفاقية الجزائر مع طهران في ١٩٧٥ كانت جميعها خدع سياسية في الوقت الذي بقي الهدف الرئيسي ثابتاً لا يتغير وهو أن تصبح اكثر قوة و بإستيراد التكنولوجيا الحربية والسلاح المتطور من هذه الدول او تلك لسحق العدو في الداخل. لم يكن مهماً طبيعة هذا الحليف اشتراكياً كان أم رأسمالياً .

في بداية الحرب في كُردستان وفي خطاب له في ٧ نيسان ١٩٧٤ إحتفاءاً بذكرى تأسيس البعث طمأن صدام تركيا بأنها ستستلم النفط العراقي الرخيص «اننا نعتبر تركيا واحدة من الدول الصديقة وعلى هذا

الاساس فإننا نجهزها بالنفط واننا مستعدون لتلبية كل طلب يردنا منها. ومن جانبها قامت تركيا بغلق حدودها بإحكام طوال فترة الحرب. وبعد انهيار الحركة في ٦ آذار ١٩٧٥ حاول الكثيرون عبور الحدود الى تركيا ولكنهم منعوا من ذلك.

تلقى الكُرد في كُردستان انباء اتفاقية الجزائر بدهشة. هرع البارزاني الى طهران. وعندما عاد الشاه من الجزائر قدّم للبارزاني خيارات ثلاث : الاستسلام الى السلطات العراقية قبل انتهاء فترة العفو الصادر من السلطات العراقية او اللجوء الى ايران او الاستمرار في القتال مع غلق الحدود في وجهه ووجود مراقبة ايرانية جزائرية عليها. من طهران ارسل البارزاني برقية الى كُردستان يطلب من اللجنة المركزية في الحزب الاجتماع واتخاذ قرار، اجتمعت اللجنة في حاج عمران في ٧ آذار و ملا مصطفى لايزال في ايران جاء القرار باستمرار القتال ولكن بوحدات صغيرة وفي هذا الوقت استمر القتال بكل ضراوة وانتظرت القيادة بفارغ الصبر عودة الرئيس وهم يأملون أن يبارك خطوتهم هذه عند العودة الى كُردستان.

عاد البارزاني الى كُردستان وفي ١١ آذار ترأس اجتماعاً للقيادة السياسية والقادة العسكريين واستمر الاجتماع حتى اليوم الثاني، وبعد ان اطلع الحاضرين على محادثاته مع الشاه هنّأ القيادة على قرارهم الصائب، الحرب استمرت. على كل حال كان البارزاني متردداً . في ١٧ آذار ومن خلال المكتب ارسل K.D.P برقية الى احمد حسن البكر اقترح عليه فتح مفاوضات جديدة ومن اجل منع اراقة مزيد من الدماء جاء الجواب على برقية البارزاني بالرفض في ١٨ آذار.

وفي ليلة ١٨ آذار وفي اجتماع موسع للمكتب السياسي والقادة

العسكريين اخبر البارزاني الحاضرين بقراره الشخصي بعدم مواصلة الكفاح وبالانسحاب الى ايران. واذا رغب البعض في الاستمرار في القتال فإنهم احرار في فعل ذلك. قبل الجميع بقراره واتبعوه الى المنفى في ايران ومن ضمنهم قادة K.D.P وقادة الجيش و معهم ايضاً اولئك الذين نادوا بقوة الى إستمرار الحرب. بدأت الهجرة الى ايران في ٢٢ آذار يتقدمها الاداريون الذين اتلفوا السجلات قبل الانطلاق.

اما المقاتلون فقد هشموا اسلحتهم والقوا بالثقيلة منها في الانهار. وفي ٢٧ آذار عبر البارزاني وعائلته ومعه قادة K.D.P و القادة العسكريون الحدود التي كانت مفتوحة للحركة في الاتجاهين لاعطاء الكُرد حرية الحركة في اي اتجاه يختارون. لبعض الوقت كانت الحركة في الاتجاهين. ومع ان الكثيرين من المدنيين لحقوا بالبارزاني الى ايران فان اخرين وخاصة اللاجئون الذين سبق لهم الفرار الى ايران في فترات سابقة فأنهم تحركوا في الاتجاه المعاكس نحو العراق. رغم ذلك فان عدد اللاجئيين في ايران ارتفع من ١٥٠,٠٠٠ لاجيء الى ٣٠٠,٠٠٠ لاجيء بينهم نحو ٣٥,٠٠٠ مقاتل.

كانت للجميع حرية الاختيار. استسلم عدة الاف من عناصر البشمركة مفضلين العودة على المنفى وتشتت الاف اخرون في الريف تجنباً للنفي من قبل السلطات ومن بين قادة K.D.P الذين اثروا الاستسلام على النفي كان صالح اليوسفي زعيم الجناح اليساري في المكتب السياسي والذي كان يعارض التعاون مع الشاه والولايات المتحدة ولكن بدون جدوى حيث فقد اليسار اغلبيته منذ ١٩٧٢. الان حاول انقاذ ما يمكن انقاذه ولكن بدون فائدة.

لماذا غيّر البارزاني رأيه بين ١١ آذار و ١٨ آذار؟ هل كان السبب

قنوطه من كسب حرب بعد ان رفض البعث التفاوض معه ؟ قد يكون قيام امريكا بنأي نفسها بعض الاثر في هذا التغير في موقفه، في ١٠ آذار ارسل البارزاني رسالة الى كيسنجر يذكره بوعوده له . لم يرد كيسنجر على رسالته الأمر الذي سبب بعض القلق والحيرة لدى جهاز الاستخبارات مخافة قيام الكُرد بكشف وعود نيكسون لهم . استفسر كولبي الذي كان رئيساً للمخابرات المركزية من كيسنجر حول الموضوع وتلقى الجواب الآت : ان العمليات السرية ليست مهمة تبشيرية. قد تكون هنالك اعتبارات اخرى وراء قرار القيادة بالإنسحاب الى ايران. اطعام المشردين وايوائهم في وادي جومان واماكن اخرى مشكلة. حماية هؤلاء باتت صعبة. كما ان الحصول على الذخائر والاسلحة اصبح ايضاً امراً صعباً وهي ضرورية لمحاربة جيش عصري مدرب ومجهز تجهيزاً جيداً . ولكن الناظر بهذا المنظار يتجاهل حقيقة ان الكُرد انفسهم خلقوا مشاكل ليس بالصواب القفز فوق الأخطاء التي ارتكبتها القيادة الكُردية. ومن بين تلكم الاخطاء يبرز إثنان، الخطأ الأول الاساسي كان في حقل السياسة الستراتيجية الذي ارتكب في ١٩٧٢ قبل اندلاع الحرب الخامسة و الاعتماد على امريكا وعميلها الشاه في تمويل وتسليح حرب شعبية ذات طبيعة تحررية. اما الخطأ الثاني فيتعلق بالقرار السياسي الذي ادى الى تصفية الثورة من قبل القيادة وقرار الانسحاب الى ايران.

فالخطذين أرتكبا في ١٩٧٢ و ١٩٧٥ عندما كانت الضغوطات الدولية كبيرة.

ان المسؤولية عن الاخطاء لا يمكن القاؤها كلياً على عاتق البارزاني بل انها تقع على عاتق القادة جميعاً وطبيعي ان هذا يشمل البارزاني و

اولاده وعائلته، ولكنها تؤشر ايضاً المكتب السياسي وجهاز الاستخبارات «باراستن» وغيرهما من مفاصل الحزب.

ان خلفية البارزاني الارستقراطية النبيلة اعطته دوراً هو اكبر من دور رئيس للحزب. انه بطل قومي وزعيم لا يشق له غبار واليه يرجع جميع شرائح الشعب من خارج K.D.P هو الذي سمح للشيوعيين بحمل السلاح داخل الثورة بعد ان حاول البعث ابادتهم. كانت هذه نقطة تحول كبيرة في السياسة وبعد ذلك في ١٩٦٤ جرى تعديل المكتب السياسي بأمر منه.

مبدأ اتخاذ القرار بشكل جماعي تم تجاهله من قبل القيادة وتم اتخاذ قرارات ذات طابع مصيري بشكل انفرادي من قبل البارزاني نفسه ان الخطأ الذي ارتكب في ١٩٧٢ يجب ان لا يلقى على عاتق البارزاني وحده بل يجب ان تتحمله القيادة كلها. ان عدداً من اعضاء المكتب السياسي خطوا خطوات مهدت الطريق الى التحالف مع الشاه وامريكا ولم يحتج احد سوى صالح اليوسفي. القيادة كانت متوجسة من الشاه ولكنها كانت تثق ثقة عمياء في الضمانات الامريكية المقدمة من نيكسون و وزير خارجيته كيسنجر الضمانة الكاذبة كانت سارية المفعول لفترة قصيرة وبعدها اصبح الكُرد ورقة اخرى ليُلعب بها. وانه من سخرية الاقدار ان ترى الكُرد وهم المضطهدون الذين يخوضون حرباً للتحرير القومي يحصلون على الدعم من الامبريالية وعملائها في حين أن مضطهديهم كانوا يتلقون الدعم من المعسكر الاشتراكي والقوى التقدمية.

السؤال الآخر الذي يطرح نفسه هو هل ان القيادة بذلت كل ما في وسعها لتجنب اندلاع حرب جديدة مع البعث؟ نستطيع القول انها فعلت ذلك ولكن قد لا تكون على اطلاع بدقائق الامور، القيادة رفضت الحكم

الذاتي الذي اعلنه البعث من جانب واحد في ١١ آذار ١٩٧٤، لو لم تكن الوعود الامريكية فإن القيادة كانت بالتأكيد ستلجأ الى الف حيلة وحيلة لطرقت اكثر من باب في سبيل اطالة المفاوضات وبناء قوتها.

السؤال الآخر هو هل ان القيادة بذلت كل جهدها لضمان كسب الحرب واحراز النصر؟ للأسف الشديد الجواب عليه يكون بالنفي. لقد ارتكبت اخطاء كبيرة في هذا الحقل. ان حرباً شعبية تحررية ضد حكومة قائمة لا تكتسب بالحرب فقط. انها حرب سياسية واقتصادية ونفسية وجماهيرية تتطلب حشد وتعبئة كل الطاقات مصحوبة بتنفيذ قوي ممزوج بالتقشف .ان موقع الشعب الكُردي الجيوبوليتيكي (الجغرافي و السكاني) يتطلب مثل هذا الاجراء.

ان المساعدة الامريكية ولّدت اعتداداً بالنفس كان اكثر مما يجب عند الحركة التي لم تفعل شيئاً لكسب ود اليسار العراقي العربي او صداقة العالم العربي او تأييد و دعم حكومات الدول العربية، صحيح ان الحزب الشيوعي العراقي وقف مع البعث ضد الحركة ولكن حتى الشيوعيون الكُرد الذين حاربوا في صفوف الثورة وجدوا انفسهم منبوذين و منفورين. ان الاستخبارات الكُردية «باراستن» قامت بقتل فاخر ميركه سوري هو شيوعي كُردي اتهم بالتجسس للبعث مع انه كان بطل معركة هندرين في ١٩٦٦ عندما تحقق اكبر انتصار عسكري للثورة. اعدم بدون محاكمة مع افراد عائلته ولم يُقدم دليل واحد يثبت خيانته.

تركت للبعث الساحة الدولية لإحتكار الرأي التقدمي العالمي واحسن البعث التصرف في استغلالها في الداخل والخارج. لم يبذل مجهود كافٍ لشرح قضية الكُرد للرأي العام في العالم الثالث. لم يفصل ما فيه الكفاية لكسب صداقة القوى التقدمية والاشتراكية الاوروبية لقضيتهم

والكُرد المتواجدون في تلك الاقطار لم تكن لديهم الوسائل اللازمة للعمل.

اما على صعيد البيت الكُردي و على نطاق العلاقات الانسانية والاجتماعية والاقتصادية فإن الاعتداد بالنفس لدى القادة برهن انه كان كارثيا، مزهوة بالضمانات الامريكية تصرفت القيادة كما لو انها قاب قوسين او ادنى من قيام دولتها . اقيمت وزارات و ادارات بيروقراطية الى حد البذخ والتبديد.

كما تم تطعيم المراتب في الجيش الثوري بعناصر غير كفوءة، الاتصالات بين الجبهة والمستشفيات ومراكز الامدادات كانت غير منظمة.

لم يكن هناك تفكير باقتصاد الاكتفاء الذاتي والذي كان مفيداً جداً. ولم يفكر احد في احداث اصلاح زراعي كان الحزب قد وعد به في منهاجه. ما الفائدة من انتاج رز او حنطة و حكومة الشاه ترسل اليهم شاحنات محملة بهما. لم يفكر احد في تبغ الفلاحين الذي تكدس و تعفن طالما ان هنالك سيكاير امريكية يمكن الحصول عليها. النتيجة تلف للانتاج وخسارة دخل.

منذ بداية الحرب لم يفعل شيء لمنع صدام من تقسيم كُردستان الى قسمين.

كما بدأت القيادة بدعوة الكوادر المحلية والاقليمية في الحزب واتحادات الطلبة والشباب والنساء بالتوجه الى مقرات الحزب (الثورة). وجاء دور الكوادر العلمية والمثقفين الذين تكدسوا في وادي جومان بدون عمل او مسؤولية تتناسب ومؤهلاتهم وتضخمت الأجهزة الادارية والحزبية النتيجة كانت حدوث عجز في امكانيات الحزب لتنظيم نشاط سري في المدن التي هي تحت سيطرة الحكومة.

كما ان شجب الاذاعات الكُردية للقصف العراقي نشر الرعب في قلوب

السكان وشجع على الهجرة خرج عشرات الالوف من بيوتهم هائمين. في بداية ١٩٧٥ اصبح ثلث سكان كُردستان المحررة مشردين. لايمكن الاقتصاد ان يقوم وهذا العدد من الفلاحين مشردين. اصبح الرأسمال البشري عبئاً على الثورة وليس عوناً لها.

كما تفشى حكم النخبة في صفوف الحزب والقوات ولم يتخذ أي اجراء للحد من هذه الظاهرة وفرضت المجموعات النفعية حكمها على الاخرين.

اما على الصعيد العسكري المحض فانه على الرغم من تبني تكتيكات قديمة اكل الدهر عليها وشرب فان جهوداً جبارة بذلت ومن الانصاف ان نقول ان شعوباً مضطهدة قليلة قاتلت بمثل الشجاعة التي قاتل بها الشعب الكُردي. ولكن كل شيء بني على فرضية زائفة مفادها ان المعونة الاجنبية لن تنقطع. وعندما وصلت المدفعية الثقيلة بدأت القوات الكُردية تخوض حرباً تقليدية بين دولتين وتركزت المعارك حول وادي جومان حيث القيادة واعداد كبيرة من الكُرد في خنادق شُقت في الجبل.

ان الاسلحة المتطورة التي زودهم بها الشاه مكّنت البشمركة من مواجهة الخصم بشكل افضل عن السابق، اصبحت القوات الكُردية متلهفة لرد هذا الجميل من الشاه الى درجة انها قامت بتسليم عدد من الكُرد الايرانيين المعارضين للشاه والذين حاولوا الحصول على ملاذ بين اقرانهم كُرد العراق.

اما الخطأ السياسي الاخر الذي ارتكب فهو قرار الانسحاب الى ايران. لايمكن التفكير في مثال اخر لحرب شعبية تنتهي بنهاية محزنة كهذه بعد قرار القيادة في وقت لا يزال الشعب الكُردي راغباً بل و قادراً على القتال. هذا ما يحدث عندما تقبل الخيارات المهمة في برنامج الحزب بحماس من قواعده ولكنها تبقى حبيسة طالما ان الامر متعلق بالقيادة.

سياسة بغداد تجاه كُردستان

من الفترة ١٨ أب الى ٦ ايلول ١٩٧٥ كنت ضيفاً على الحكومة العراقية للإطلاع على اوضاع اقراني الكُرد في العراق. كان وفدي سيعقد محادثات مع القادة العراقيين حول كيفية تحسين قانون الحكم الذاتي وتوسيع رقعته ومداواة جروح ١٤ سنة من الحروب وإحياء روابط الصداقة والاخوة بين العرب والكُرد. تم الاتفاق على هذه الأهداف قبل الانطلاق في رحلتي. وكفّل المتحدثون معي بإسم حكومتهم حرية التحرك في البلاد بما فيها كُردستان والاتصال مع من اشاء و منحوني تفويضاً مطلقاً لإختيار من اشاء لمصاحبتي.

بشير بومعزة الذي كان يوماً ما عضواً في المكتب السياسي لجبهة التحرير الجزائرية ووزيراً عدة مرات في حكومة بن بلا وهواري بومدين وعضو في المعارضة الجزائرية وافق بسرور على الانضمام الى الوفد وهو يأمل بأن تساعد اتصالاته في بغداد على تعزيز محادثاتي السياسية مع الحكومة وبذلك تستطيع إعادة الروابط العربية الكُردية. كما ضم الى الوفد جين كلود من جنيف عن الاتحاد العالمي لحقوق الانسان للتحري في مجال حقوق الانسان دون انحياز الى جانب او اخر واخيراً دعوت القس جوزيف باري من الكنيسة الكلدانية المولود في السليمانية.

بعد قضاء ثلاثة ايام في بغداد التقينا خلالهما بالوزيرين الكُرديين في الحكومة وكذلك بوزير العدل، غادرنا بغداد في الصباح الباكر من يوم ٢١ آب في سيارتين وضعتا تحت تصرفنا تحملان لوحات وزارة الاعلام،

صاحبنا في الرحلة موظفان من الوزارة هما A و B اللذان كانا عضوين في حزب البعث، محطتنا الاولى في كُردستان كانت خانقين ومنها الى دربندي خان والسليمانية وكركوك واربيل حيث مكثنا ايام واثناءها كنا نذهب بالمروحية الى رواندوز و وادي جومان وقرى عديدة في المحافظة. كانت لنا أحاديث طويلة مع الاداريين المسؤولين عن الحكم الذاتي. عاد جين كلود الى بغداد ومنها الى سويسرا في ٢٧ أب عندما انتهى بنا المقام في اربيل. قال بأن الشروط لإجراء تحقيق في حقوق الانسان لم تتوفر، في ٢٨ أب واصلنا الرحلة الى الموصل ومنها الى عقرة ودهوك وسواره توكه وشيخان وسرسنك والعمادية. وفي ٣٠ آب عدنا الى بغداد لإجراء محادثات لمدة ايام مع قادة بعثيين. في ٢٠ آب كنا قد قابلنا وزير العدل الدكتور مظهر الشاوي الذي ينحدر هو الاخر مثل رئيس الجمهورية ونائبه من مدينة تكريت كان يجيد اللغة الفرنسية وقدم نفسه على انه مستقل وتكنوقراط وقاضي وهو عضو في لجنة صياغة قانون الحكم الذاتي الكُردي سألناه لماذا لا تحترم الحكومة قوانينها التي تشترط توسيع الحكم الذاتي ليشمل جميع الاماكن ذات الغالبية الكُردية؟ قال ان هذا سؤال سياسي وعلينا توجيهه الى وزراء سياسين ولكنه أردف قائلاً بأن بعض المناطق مثل كركوك هي مناطق مختلطة ويصعب تطبيق القانون وقلنا له ان المحافظة كانت دائماً ذات اغلبية كُردية وسألناه طالما ان الكُرد هم اقلية في العراق فلماذا لا يطبق نفس الشيء على الاقلية العربية في كركوك ضمن إطار الحكم الذاتي لكُردستان الذي سيشمل المحافظة مرة اخرى طلب منا توجيه السؤال السياسي الى وزير سياسي. وسألناه ايضاً عن السبب في عدم شمول الايزيديين بمنطقة الحكم الذاتي علماً بأن لهم ديانتهم الخاصة ومنطقتهم التي يعيشون فيها

وهي متجانسة عرقياً؟ كان جواب الوزير المفاجئة الاولى لنا عندما قال «الايزيديون عرب أمويون» كان علينا ان نعرف بأن منطقتهم قريبة على عين زالة في زمار الغنية بالنفط.

وفي ٢١ آب وفي دار القائممقامية في خانقين دعي وفدنا الى لقاء رسمي نظمه قائممقام المدينة عندما اردنا القيام بجولة في المدينة لمتابعة تحقيقاتنا اراد الموظفون الموجودون وعددهم ١٥ موظفاً ان يصاحبوننا في الجولة هذه. وبعد اخذ ورد وافقوا على قيامنا بالتجول في المدينة بوحدنا. في الحقيقة اينما اتجهنا كان علينا المصارعة مع الموظفين المحليين قبل ان يسمح لنا بحرية الحركة والإتصال التي منحتنا الحكومة.

في ٢٦ آب استقبلنا هاشم عقراوي رئيس المجلس التنفيذي لمنطقة الحكم الذاتي. لقد تم طرده من مجموعة سياسية تسمي نفسها الحزب الديمقراطي الكُردستاني الذي انشق على K.D.P الاصلي اثناء الحرب الخامسة اقامت المجموعة مكاتب لها في بغداد وانضم الى جبهة البعث الوطنية التقدمية.

وقبل ايام من هذا اللقاء كنا قد التقينا بسكرتير هذا الحزب عزيز عقراوي. كنت قد تعرفت عليه اثناء الحملة في الستينيات عندما التقيت به لوحده . اوضح لي بأنه محطم ووطني يعذبه ضميره اما زميله رئيس المجلس هاشم عقراوي فقد كان مختلفاً عنه. وعندما سألناه هل هو مرتبط بحزب؟ قال ان جميع اعضاء المجلس التنفيذي قرروا الاستقالة من احزابهم وهم جميعاً مستقلون، كان واضحاً جداً لدينا ان اعضاء المجلس التنفيذي كانوا موظفين معينين من قبل البعث ويأتمرون بأوامره وأنهم ليسوا بأي شكل من الاشكال ممثلين لرغبات الشعب الكُردي السياسية. وعندما واجهناه بالسؤال عن عمليات الترحيل في كالور كرمه

لوجه رد قائلاً «إن حكومتنا التقدمية» إعترفت دستورياً وقانونياً بالحكم الذاتي والحقوق القومية للشعب الكُردي وهذا هو الشيء المهم، وعندما ألحنا عليه بالسؤال عن الايزيدية وعن خانقين اعطى العقراوي الجواب نفسه. يبدو انه يهتم بمضمون القانون اكثر من ارواح البشر المشمولين به وانه يفضل المحتوى الخيالي القانوني على الواقع الحقيقي المر.

لم يكن رئيس المجلس التنفيذي سوى محافظاً من حجم أكبر ولم تكن منطقة الحكم الذاتي إلاّ تركيبة مصطنعة محتوية على ثلاث محافظات وجميعها خاضعة لبغداد.

الاداريون التقليديون للمحافظات الثلاث كانوا خاضعين لوزير الداخلية ويؤدون عملهم بدلاً من ان يكونوا التعبير الديمقراطي لارادة الشعب الكُردي القومية هذه الادارة المهزوزة سمحت لنفسها ان تُستخدم كأداة وغطاء لسياسة التعريب في كُردستان مضطربة. عندما ذهب الاب باري لزيارة الكنيسة المحلية رافقنا بومعزة في جولة في المنطقة التجارية. المدينة كُردية والسكان يتكلمون الكُردية. خانقين والمناطق المحيطة بها والتي هي أجزاء تكمل كُردستان لم تكن مشمولة بالحكم الذاتي. على كل حال خانقين تقع وسط حقول للنفط.

وفي السوق تحدثنا الى مجموعة من طلاب المدارس الذين اكدوا اثنين من الشكوك التي كانت تراودنا، الاول و منذ انهيار الثورة المسلحة في كُردستان حلت اللغة العربية محل اللغة الكُردية لغة للتعليم والسلطات اعطت المدارس اسماءً جديدة ترتبط بالتاريخ العربي، الثاني ان المزيد من كُرد خانقين والمناطق المحيطة بها أُرسلوا للعمل في البصرة والمناطق العربية في العراق. حل محل الموظفين والعمال في حقول النفط اخرون عرب.

طرحنا نفس الاسئلة على اصحاب الدكاكين الكُرد وهم جميعاً أعطوا الجواب نفسه وسرعان ان تجمهر حولنا ١٠٠ شخص في السوق المزدحمة، تقدم نحونا رجل وتبين بأنه معلم عربي نقل الى احدى مدارس خانقين قبل اربعة اشهر وبدأ المعلم بالتحدث الينا قائلاً ان زمرة البارزاني الخائنة فرضت الكُردية كلغة للتعليم في هذه المدينة. وعندما انهارت الزمرة عاد الحق وعاد معه التعليم بالعربية. اوضحنا له ان السكان هم من الكُرد ولايتكلمون العربية وانه امر طبيعي بالنسبة اليهم ان يتعلموا بالكُردية. سألنا اصحاب المحلات التجارية وطلاب المدارس ان كانت هذه رغبتهم فاجابوا جميعاً بالإيجاب. اكد المعلم انه يملك البرهان بأن الاهالي أرادوا هذا التغيير - اباء الاطفال قدموا عرائض طالبوا فيها إعادة التعليم بالعربية.

عند عودتنا الى دار الحكومة عند الظهر تقدم الينا المرافق أ وقال «أي سفير اجنبي كان سيطرد من العراق اذا ما قام بـ ١/١٠٠مما فعلنا اليوم» « حكومتنا اعطتكم حرية الحركة وليس حق التحريض على إثارة القلاقل بين المواطنين، واستطرد قائلاً بأن الرحلة لايمكن لها ان تستمر على هذا النحو، عليّ الاتصال ببغداد لتلقي توجيهات جديدة من القيادة القطرية. لم نكترث بما قاله وواصلنا الرحلة.

في كل من السليمانية وكركوك وعلى الاخص في جمجمال الواقعة على بعد ١٥ ميل شرق كركوك شاهدنا عدة صفوف من بيوت مبنية من السمنت ذات طابق واحد بنيت هذه البيوت بالقرب من الطرق الرئيسة لإيواء الفلاحين الذين من المزمع ترحيلهم من المنطقة الجبلية اليها. وعندما توقفنا عند نقطة بالقرب من مضيق بازيان انبرى مرافقنا أ في شرح هذه التطورات قائلاً ان الحكومة الثورية قد شكلت مكتبا لإعادة

توطين القرويين و تزويدهم بالخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية. ان الحكومة الثورية متلهفة لإيصال المنافع والخدمات الى الفلاحيين الكُرد الذين عانوا كثيراً ولهذا السبب طبقت الخطة في الشمال اولاً وسوف تتطور الخطة لتشمل العراق كله.

ان قرى كُردستان نمت وتطورت عبر قرون طويلة من التعايش الهاديء السلس المتوازن بين الطبيعة والبشر، كل قرية في كُردستان لها ساقيتها او نهرها و حقولها و بساتينها و مقبرتها . ان هذه الاكواخ الستراتيجية هي أفران في الصيف وثلاجات في الشتاء. انها تطفل على أسلوب الحياة لمجتمع سيفقد توازنه الطبيعي نتيجة لهذا التدخل.

زرنا قرية تدعى الهاشمية في منطقة خانقين على مسافة ربع ساعة من خانقين. اهل القرية جميعاً هم من الكُرد، في بيت رئيس القرية تحدثنا مع ابن الرئيس البالغ من العمر ٣٠ سنة والذي جاء من البصرة لقضاء عطلة مع والديه شرح لنا أنه في الخمس سنوات الاخيرة كان يعمل في شركة النفط في خانقين ولكن قبل خمسة اشهر ارسلته السلطات للعمل في جنوب العراق.

إن الارقام التي جمعها ممثل الاتحاد الدولي لحقوق الانسان جين كلود تشير الى أن في خانقين وحدها تم نفي ٥٠٠٠ شخص الى جنوب العراق ولكن ربما كان هذا نموذجاً لأسلوب البعث في احترام الشخصية المعنوية للحكم الذاتي.

في ٢٣ آب ذهبنا الى مبنى نقابة المعلمين في كركوك. رئيس النقابة يدعى اكرم مروان وهو معلم عربي له نائب كُردي وآخر تركماني ولم ينطق اي من النائبين بكلمة واحدة طوال فترة بقائنا معهم. شرح لنا مروان انه قبل ١١ آذار ١٩٧٠ كانت اللغة العربية هي لغة التعليم

الوحيدة في المحافظة. ولكن ومنذ ١١ آذار ١٩٧١ فتحت الوزارة مدارس تدرس باللغة الكُردية او التركمانية تبعاً لرغبة السكان. وعندما سألناه لماذا تكون الدراسة في اغلب المدارس بالعربية وغالبية السكان في المحافظة هم كُرد وان القومية الثانية هي التركمانية؟ قال مروان ان التأهيل والاستعدادات لم تستكمل بعد.

غادرنا كركوك في مساء ٢٣ آب متوجهين الى اربيل. كنا نعرف ان المنطقة التي نسافر خلالها هي منكوبة بسبب سياسة التعريب التي كانت مستمرة على امتداد الطريق الى التون كوبري على نهر الزاب الصغير الذي يفصل حدود كركوك عن منطقة الحكم الذاتي. معظم القرى التي كان بإستطاعتنا مشاهدتها من الطريق كانت مهجورة. على مسافة ٢٠ دقيقة من كركوك طلبنا من السائق ان ينعطف شرقاً نحو قرية تبعد بضع مئات من الامتار عن الطريق العام.

إخترناها بشكل اعتباطي ولا نعرف اسم القرية بقي مرافقنا (ب) صامتاً ووقفت السيارات على بعد ١٠٠م من القرية واسرع اطفال القرية ومعهم بعض الكبار نحونا. كانوا جميعاً يتكلمون الكُردية. الكبار تكلموا عربية غير متقنة. الصغار كانوا يتحدثون بها بشكل افضل بسبب تعلمهم لها في المدرسة. كانوا بين سن ١٢ الى ١٤ سنة وكان احدهم يحمل كتباً مدرسية تحت ابطه وكانت مطبوعة بالكُردية. هل يعني هذا ان ما قاله مروان نقيب المعلمين في كركوك قبل ساعة كان صحيحاً وان الروايات عن التعريب مبالغ فيها؟ ادعى اكبر الاطفال سنا (١٦) سنة انه كان ملتحقاً بالبشمركة. علمنا ان هذه القرية اسمها «كالور كورمه جوله» وان السهل الممتد في كركوك الى حدود منطقة الحكم الذاتي مأهول بالكُرد. لازالت الشكوك تراودنا فقد يكون السكان خائفين من قول الحقيقة

سياراتنا تحمل لوحات وزارة الاعلام العراقية وعندما أخبرناهم بأننا وفد دولي وان عليهم ان يكونوا مطمئنين وان يخبرونا بالحقيقة. اخبرنا الطلاب بأن قريتهم مبلغة رسمياً بالاخلاء وان مجموع العائلات فيها هو ٩٠ عائلة وهم جميعاً كُرد وسوف يتم ترحيلهم الى البصرة واراضيهم ستوزع على عرب سيأتون من الجنوب وقد بنت لهم الحكومة قرية عصرية.

وقال الاطفال بأن عدداً من القرى قد اخليت فعلاً في زور كوزرو وكيتكة ودبس وكورزي .

وعند الاستدارة بسياراتنا تهيئاً للمغادرة هرع الاطفال نحونا متوسلين ان نقوم بعمل شيء لمنع ترحيلهم وقال احدهم انهم لايريدون ان يُنفوا من ارضهم. التفتنا الى مرافقنا «آ» الذي اشاح بوجهه عنا.

اول شيء جذب انتباهنا في اربيل عاصمة الاقليم هو لافتة مرفوعة على واجهة قاعة المدينة مكتوبة بالعربية والكُردية «البعث طريقنا». طالما ان هنالك حزب ديمقراطي كُردستاني قانوني في عراق البعث، حزب هو عضو في جبهة البعث الوطنية التقدمية وسكرتيره عزيز عقراوي وهو وزير فلا غرابة ان يتمتع البعث بهذا الاحتكار السياسي في كُردستان ذات الحكم الذاتي. في كل مؤسسات الحكم الذاتي وفي كل مكان من كُردستان لحزب البعث فروع مزدهرة. زرنا هذه الفروع ولكننا لم نجد طريقنا الى مكاتب حزب اخر اعضاء في ما يسمى بالجبهة الوطنية و التقدمية ولم تطأ قدمنا ابنية الحزب الشيوعي ولم نجد مقراً له لا في كُردستان ولا في اي مكان من العراق. رد على هذا التساؤل احد البعثيين قائلاً انه سمح لبعض قادة الشيوعيين بالانضمام الى الجبهة على اساس فردي وليس حزبي. لايسمح لهم بتشكيل تنظيمات ولايسمح

لهم بنشر افكارهم وعندما يموت هؤلاء يكون الحزب الشيوعي قد انتهى.

وفي صباح ٢٨ أب غادر وفدنا المكون الآن من ثلاثة اعضاء اربيل متوجهاً الى الموصل على بعد ١٥ ميل من الموصل مررنا بقرى تم تغيير اسمائها حديثاً. فقره قوش اصبح اسمها الآن الحمدانية. قام محافظ الموصل فليح حسن بأخذنا في سيارته الى مدينة بعشيقة الصغيرة الواقعة الى شرق الموصل. سكان المدينة خليط من الكُرد والعرب والكلدان. توجهنا الى غرفة وجدنا فيها نحو ١٥ شخصاً ومعظمهم من الشباب. قدمهم المحافظ الينا على انهم ايزيديون عرب امويون. عندما خالفناه الرأي في هذه التسمية طلب منا ان نسألهم شخصياً عن رأيهم في ذلك. قالو بصوت واحد إنهم يزيديون عرب امويون. سألناهم ان كانوا اعضاء في حزب البعث قالوا انهم كذلك.

ولجعل المشهد اكثر اقناعاً ومصداقية فقد جلبوا شيخاً من شيوخهم. هذا الشيخ لم ينطق كلمة واحدة من العربية ويعرف الكُردية فقط. اعدنا لذاكرته بأن كتابهم المقدس مكتوب بالكُردية ولكن رجل الدين هذا اصر وهو يتكلم بالكُردية انه عربي.

وبعد فترة وجيزة توجهنا الى سهل عقرة حيث كان في انتظارنا مشهد مثير. اصطف سكان المنطقة الزراعية بطول ٤٥ ميل وعرض ٢٠ ميل على جانبي الطريق لإستقبالنا بأمر من المحافظ. عشرات الالوف من الفلاحين امروا بالوقوف على جانبي الطريق تحت اشعة الشمس اللاهبة منذ الصباح. كان الوقت قد تجاوز الحادية عشرة وتطلب الأمر ساعتين اخريين لقطع المسافة.

بدا الانشراح ظاهراً على محيا المحافظ بسبب هذا الانجاز الكبير المثير. لم يجد أية غضاضة في جمع هؤلاء القرويين في هذا الحر

الشديد، حاول بشير بومعزة التخفيف عنا بالقول انهم في بلادهم يفعلون الشيء ذاته.

اخبرنا ان جميع الكُرد الذين التجأوا الى الموصل اثناء الحرب تم اسكانهم في سهل عقرة مع العشائر التي حاربت الى جانب الحكومة مثل عشائر الهركي. قد يكون هذا صحيحاً إذ اخبرنا بعض القرويين انهم هركيون. وعند توقف لنا حاول احد القرويين ان يدس ورقة مطوية في جيبي لاحظ المحافظ ذلك وطلب مني ان اعطيه الورقة عند عودتنا الى السيارة المكتوب في الورقة هو «نحن ٥٠٠ عائلة من شيخان. حاربنا في صفوف الثورة الكُردية ولكن قبلنا بالعفو الذي اصدرته الحكومة وسلمنا انفسنا. ولكن الحكومة قامت بمصادرة اراضينا وارسلتنا الى سهل عقرة ولاتتوفر لدينا مصدر للرزق، اننا نطالب بالعدالة فقط. اصر المحافظ على اخذ القصاصة. سمحنا له بقراءتها بعد ان اقسم بشرفه بأنه لن يتخذ أي إجراء ضد صاحبها واحتفظنا بالورقة.

شيخان وعين سفني مركزها منطقة مشمولة بالتعريب، الكُرد وخاصة الكُرد المسلمون قد طردوا منها، المسيحيون والايزيديون سمح لهم بالبقاء على شرط الاعتراف بأنهم من اصول عربية. ولكن حتى سكان سهل عقرة لم يأمنوا من سياسة التعريب، المنطقة ربطت بمحافظ فليح حسن ولكن الاسوأ قادم اثناء رحلتنا عبر السهل ادعى المحافظ بأن سكان المنطقة لم يكونوا مرتاحين من كون الكُردية لغة التعليم في الابتدائية وانه تلقى طلبات بإعادة التعليم بالعربية.

عند وصولنا عقرة وجدنا نحو ١٠٠ شخص مصطفين امام بناية حاملين الاعلام واللافتات معظمهم من الشباب الكُرد الذين بدأوا بالهتاف لحظة ترجلنا من السيارة. كانوا يهتفون للبعث بالعربية والكُردية. كان

هذا مشهداً اخر لطيفاً يشكر عليه المحافظ!

وفي صبيحة التاسع والعشرين من آب غادرنا الموصل متوجهين الى دهوك. قضينا فترة الظهيرة على صخرة العمادية الجبارة المطلة على وادٍ جميل لاحظت وبدون خبث ان قلعة العمادية كانت في يوم من الايام عاصمة إمارة كُردية. الموظفون الحاضرون ايدوا هذه الملاحظة وهم يعرفون تأريخ هذه المدينة ولكن مرافقنا «آ» له رأي مختلف عبر عنه بربط تأريخ العمادية بالمناورات الاستعمارية ضد العراق. استولى الغضب عليّ كيف يكون تاريخ القرون الوسطى من صنع الامبريالية في القرن العشرين . لماذا يمنع الكُرد في العراق من اكتشاف الافتخار بتاريخهم الذي هو تاريخ العراق القديم.

سألت المرافق «آ» ان كان يعرف ان دولة العراق تأسست فقط في ١٩٢١ من قبل الانكليز الذين ربطوا هذا القسم من كُردستان بها؟ وهل يعتقد ان الكُرد شعب بدون تاريخ. اضطر «آ» في النهاية على التنازل واعترف بأن للكُرد تاريخ خاص بهم ولكن ما يدونه الموظفون في الكتب المدرسية يكتب في بغداد.

وفي بغداد كان معنا بومعزة في المرتين اللتين التقينا بطارق عزيز احد اعضاء القيادة القطرية للبعث وحضر ايضاً اجتماعاتنا مع نعيم حداد وزير الشباب وسكرتير الجبهة الوطنية التقدمية ومع الدكتور زيد حيدر وهو العضو السوري في القيادة القومية لحزب البعث و المسؤول عن مكتب الشؤون الخارجية فيه. استقبلونا بكل ترحاب، طلبنا منهم وقف تهجير الكُرد ووضع نهاية لحملة التعريب و السماح للكُرد المهجرين بالعودة الى مناطقهم في كُردستان. وطلبنا منهم توسيع منطقة الحكم الذاتي لتشمل مناطق كُردية حتى وإن كان علينا قبول تسوية حول كركوك.

حاول طارق عزيز الدفاع عن سياسة التهجير معللاً ذلك بالضرورة الملحة في حقول النفط ولمتطلبات امن الحدود ولحاجة السوق الداخلية للأيدي العاملة وفي معرض تبريره لبرامج الحزب في التعريب قال «السليمانية لاتزال عراقية وهي جزء من وطني واذا اردت الاقامة هناك فإنك لن تستطيع منعي من ذلك. وبخصوص موضوع الحكم الذاتي وتوسيع رقعته قال «المهم في الموضوع هو الحقوق التي اقرت ولا يمكنك قياس الحكم الذاتي بالاميال ومثل اقرانه اقر طارق عزيز بأن المسألة لا زالت بعيدة من درجة الكمال وشدد على ان التحسينات هي دائماً ممكنة. اتفقنا على لقاء اخر كي نزود الحزب والحكومة بمقترحاتنا المكتوبة حول الوضع.

استقبلنا نعيم حداد بحرارة، عندما التقينا بلأول مرة عاملنا على أننا اخوان وكان يخاطبنا كمعارف مقربين. اما بخصوص المشاكل فقد اخبرنا بأن لاداعي للقلق فإن كل شيء سيكون على مايرام. التعليم بالكُردية سيثبت في مدارس خانقين والتنقلات بين السكان هي وقتية وقال انه كان قبل فترة قصيرة في ايران وعنده انباء سارة. لقد استطاع اقناع ٥٠,٠٠٠ كُردي بالعودة الى العراق خلال شهرين. وبعد شهرين من هذا اللقاء علمنا بأن الذي تحدث عنه كان عملية إجبارية وليست طوعية.

لفت طارق عزيز انتباهنا الى ان العراق دستورياً اعترف بالكُرد وحقوقهم مضمونة في مبدأ الحكم الذاتي واخبرنا بأننا لن نجد مثل هذه الحقوق لا في ايران ولا تركيا، مع وجود اعداد اكبر للكُرد فيهما، وقال ان وضعهم في سوريا ليس بأحسن منه في تلك الدولتين رغم كل دموع التماسيح التي يذرفونها على كُرد العراق. في هذه المرحلة تجدر

الاشارة الى الامور الآتية:

أ- انه لأمر مهم حقاً بأن جمهورية العراق اعترفت دستورياً بحقوق الكُرد القومية وصحيح ايضاً ان اية دولة مجاورة لم تمنح حقوقاً مماثلة لسكانها الكُرد،

ب-إن أي شيء اعطي للكُرد في العراق كان قد اكتسب بالقوة وان الحكم الذاتي والحقوق القومية الثقافية واللغوية كانت وبشكل رسمي وعد بها من قبل عصبة الامم في العشرينيات من القرن العشرين ولكن كان على الكُرد ان يقاتلوا لمدة نصف قرن قبل ان يكسبوا قسماً صغيراً من الحقوق المعترف بها. الانتداب هو الذي خول جعل الدراسة الابتدائية في السليمانية واربيل بالكُردية.

ج-على الرغم من هذا الجانب الايجابي الذي اكد عليه البعثيون فانه لاجدوى من الاعتراف بالحقوق للكُرد في نصف كُردستان بينما تغفل وتنتهك في النصف الاخر منها. هل يبرر هذا الحكم الذي اعطي لنصف الشعب الكُردي في العراق تدمير النصف الآخر منه؟

د- وكان واضحاً ايضاً ان الحكم الذاتي الممنوح الى نصف الشعب الكُردي كان مخادعاً ووهمياً. فهو لايملك حق اصدار القرارات او ميزانية محددة ولا يمثل ارادة الكُرد.

هـ- ان التطوير الاقتصادي خطط لإغناء القسم العربي على حساب الكُرد، ان سدي دربنديخان ودوكان الموجودان في كُردستان استخدما لتزويد بغداد بالكهرباء، قائمة المشاريع في كُردستان ليست بالمؤثرة حيث يوجد مصنع او مصنعان للسكاير في اربيل والسليمانية ومعمل للسمنت واخر لصنع السجاد وحقل للدواجن وآخر للأغنام واخر لإستخراج المرمر.

بحلول نيسان ١٩٧٦ كان قد تم ترحيل ٢٠٠,٠٠٠ كُردي من قراهم في كُردستان. رحل معظمهم الى الجنوب ووزعوا على شكل مجموعات مؤلفة من ٥ عوائل بين القرى العربية في الفرات الاوسط (ذي قار والقادسية والمثنى والرمادي (ميسان). وتم اسكان ٤٠,٠٠٠ منهم في كُردستان. ويمكن تصنيف الكُرد المرحلين على النحو الآت.

١- الذين هم من مناطق كُردية غير مشمولة بالحكم الذاتي مثل خانقين وكركوك وعين زالة و سنجار.

٢- القوات الكُردية التي استسلمت عند إعلان العفو العام ولكنهم من مناطق ليست داخل الحكم الذاتي فهي بذلك خاضعة للتعريب.

٣- اللاجئون من ايران الذين اعيدوا كرهاً او طوعاً مدنيون وعسكريون ولكنهم من مناطق خاضعة للتعريب،

٤- سكان منطقة الحكم الذاتي وخاصة هؤلاء في المناطق الحدودية او من مناطق ستراتيجية في بارزان واتروش وزاخو، كما تم ترحيل الالوف من سهل مخمور.

في ١٨ تشرين الثاني استقطع البعث كلار وجمجمال وهما منطقتان اعترفت الحكومة بكُرديتهما من محافظة كركوك والحقتهما بالسليمانية كمناطق مكملة للحكم الذاتي. اما ما يتبقى في كركوك فيكون خاضعاً للتعريب. اما كفري (٥٠,٠٠٠ نسمة) فانها لم تكن اقل كُردية عن المناطق الاخرى فإنها الحقت بمحافظة ديالى مثل خانقين. ما تبقى من المحافظة الكُردية الرئيسة فقد قطعت اوصالها بمرسوم من مجلس قيادة الثورة في ٨ شباط ١٩٧٦، قلّص المرسوم المحافظة المكونة اصلاً من ست اقضية الى محافظة مكونة من قضائين فقط هما قضاء المركز و قضاء حويجة. واعطي لكركوك اسماً اخر هو التأميم. اما القضاء

السادس طوز ذات الغالبية الكُردية وفيها اقلية تركمانية وعربية فقد الحقت بالمحافظة المستحدثة حديثاً والتي استقطعت من بغداد وضمت تكريت و بلد و سامراء وبيجي وسميت بمحافظة صلاح الدين على اسم البطل الكُردي محرر القدس وجعلوا تكريت عاصمتها المحلية.

بإضافة جمجمال (٥٧,٠٠٠ نسمة) ومساحة ٩٠٨م٢ وكلار ٣٣,٠٠٠ نسمة ومساحة ١,٠٧٠م٢ اصبح سكان منطقة الحكم الذاتي ١,٤٧٥,٠٠٠ في آذار ١٩٧٥ وكان قبل ذلك ١,٣٨٥,٠٠٠ نسمة. ان هذا العدد من النفوس يمثل ٥١٪ من مجموع سكان كُردستان العراق و ٤٧,٦٪ من مجموع جميع كُرد العراق. ازدادت مساحة الاقليم من ١٤,٤٥٤م٢ الى ١٦,٤٣٤م٢ وهي مسافة تمثل ٥٧٪ من مساحة كُردستان.

الغت الحكومة وزارة شؤون الشمال وحذفت كل اشارة الى تاريخ وجغرافية كُردستان من الكتب المدرسية وجمّد نشاط المعهد الكُردي الذي كان يهتم بالثقافة الكُردية.

وتم التخلي عن التعليم بالكُردية في خانقين وبعدها في كركوك وفي عقرة وبقية مناطق بهدينان و لم تعد اللغة الكُردية اللغة الثانية في العراق بعد اللغة العربية وتم غلق قسم الدراسات الكُردية من جامعة بغداد. ولم تكن جامعة السليمانية في منحى من هذه التغيرات حيث تم نقل ٨٠ من الكوادر التدريسية فيها الى وظائف في القسم العربي من العراق وملئت هذه الشواغر بعناصر بعثية.

اما على الصعيد الدولي و رغم الجهود المكثفة فإن الأمم المتحدة رفضت بإستمرار بحث المسألة الكُردية في العراق وأعلنت ان المسألة هي مسألة عراقية داخلية لا يحق لها التدخل فيها . قامت السلطات العراقية

من جانبها بتقديم تقرير رسمي حول استعادة الأمن والاستقرار والوحدة بعد حل المسألة الكُردية في شمال البلاد. قدم التقرير الى لجنة الامم المتحدة لإنهاء التمييز العنصري في جنيف في الثاني من نيسان ١٩٧٦، المدهش في الامر كله ان الأمم المتحدة اثنت على العراق في بيان جاء فيه أنّ اعضاء اللجنة و بشكل جماعي يؤيدون ان التقرير بشكل خاص مُرضي وكامل ويأتي مطابقاً لشروط المادة ٩ من الميثاق واثنوا على قانون الحكم الذاتي.

انه شيء لايصدقه العقل ان تقوم هذه اللجنة الملحقة بلجنة حقوق الانسان رسمياً بتهنئة العراق على سياسته حيال الكُرد في الوقت الذي كانت الحقوق تنتهك فيه بشكل مستمر.

حرب العصابات

منذ بداية مايس ١٩٧٦ كانت هنالك معارك بين وحدات من الجيش العراقي والمقاتلين الكُرد المواجهات الرئيسة وقعت في بهدينان وبشكل خاص في مناطق العمادية وزاخو و دهوك. وحدثت مصادمات في بالك و رانيا و سيدكان وسورداش شمال السليمانية. وقام الطيران الحربي العراقي بغارات على مناطق في رواندوز في بامو ميدان وقره تو بين السليمانية وخانقين .

ومع ان كُردستان كانت برمتها تحت السيطرة العسكرية فإن الكفاح استمر وفي منتصف حزيران اضرم المقاتلون النار في منشآت نفطية في جمبور وفجروا مخزناً للسلاح في كركوك. ان المقاتلين الذين حملوا السلاح فعلوا ذلك دون استشارة او تنسيق مع تنظيمات سابقة، وحاولت مجموعتان سياسيتان تولي القيادة وملأ الفراغ الحاصل عن الانسحاب

الى ايران. وكلتا المجموعتين هي تنظيمات يسارية لينينية – ماركسية.

اولاهما كانت الاتحاد الوطني الكُردستاني (P.U.K) والمجموعة تدار من دمشق من قبل جلال الطالباني وزملائه اما الثانية فكانت «القيادة المؤقتة» K.D.P. وهي مجموعة نظمت من قبل اعضاء في القيادة السابقة الذين غادروا ايران الى اوربا.

اما P.U.K فقد انطلق في انتقاد قيادة K.D.P القديمة.

اتهمها بادارة الثورة بأساليب عشائرية وبالتعاون مع الامبريالية وعملائها ولم تسلم القيادة المؤقتة من هذا التهجم بسبب احتفاظها بعلاقات مع شاه ايران. تبنت القيادة المؤقتة نهجاً راديكالياً.

في حزيران ١٩٧٦ زار صدام حسين كُردستان ووعد بوقف عمليات ترحيل السكان بعد ان استتب الأمن واصبحت الوحدة متماسكة.

معنويات حزب البعث

مرّت ٥ اشهر على كتابة الاسطر السابقة في أواخر آب ١٩٧٦. وفي ٧ تشرين الاول ١٩٧٦ حاولت بغداد اغتيالي في منزلي في لوزان . عندما قدمت حكومة بغداد الدعوة لي لزيارة العراق في ١٩٧٥ لا شك انها كانت تأمل في كسبي الى جانبها . عندما لم يتحقق ذلك لجأت الى الجريمة لإسكات الاصوات المعارضة لها ولتخويف الآخرين. في ٢ تشرين الاول ١٩٧٦ وفي منزلي في لوزان تلقيت نداءً عجيباً من نبيل التكريتي الذي كان في يوم ما قنصلاً عاماً للعراق في جنيف و رقي الان الى مستشار للشؤون الخارجية فيها بدرجة سفير. ادعى نبيل بأنه في زيارة قصيرة الى الأمم المتحدة في جنيف و اقترح اللقاء بي مرة اخرى كصديق، نبيل التكريتي مثل ابن عمه صدام نائب الرئيس العراقي ومثل احمد حسن البكر جميعهم ينحدرون من تكريت. صادف وأن تحادثنا بعد رحلتي في العراق في ١٩٧٥، وعندما باءت الرحلة بالفشل السياسي وعد نبيل بطرح المسألة على حكومته على أمل إعادة المياه الى مجاريها.

وافقت على مقابلته وأثنين آخرين من العراقيين الذين وصفهم نبيل بأنهم اعضاء في وفد تجاري عراقي. وفي اليوم الثاني وهو الثالث من تشرين الاول وعند الساعة الثالثة وصل نبيل التكريتي وصاحباه الى منزلي وكان معي في المنزل اثنان من كُرد المنفى في لوزان وهما الدكتور كُردو نورجان والدكتور اف رضا. دعوتهما كي يكونا شاهدين لما سيقال في اللقاء. قبل مغادرتهم ذكر نبيل هدية جلبها لي من بغداد وهي

صندوق من التمر قد تركها بالصدفة في جنيف وأنه سيرسلها لي وقال انه عائد الى بغداد.

وفي ٧ تشرين الاول طرق احد اللذين سماهما نبيل بأضاء الوفد التجاري الباب و دعوته الى الدخول ووضعت الهدية على المائدة في غرفة الاستقبال سألته إن كان يريد قهوة او مشروباً. القاتل الذي يعرف مخطط الدار طلب القهوة، ذهبت الى المطبخ لإعداد القهوة له. وعندما هممت بفتح زر الطباخ الكهربائي دوي صوت اطلاقه. الدبلوماسي اطلق رصاصة من عيار ٧,٦٥ملم الى رأسي، اطلق اخرى وراء الاذن اليسرى والثالثة حطمت فكي الاسفل، وفي التقرير الطبي جاء بأن الضحية نجا من الموت بأعجوبة.

استعمار الشعب المسكين

ضمن الحدود الاصطناعية التي صنعها الاستعمار فأن كثيراً من دول العالم الثالث يعاني من ممارسة استعمار الشعب الصغير. إنه استعمار موجه ضد اقليات ذات ثقل سكاني وهو يعتبر اشد قسوة من الاستعمار التقليدي. وفي الشرق الأوسط الكُرد هم أحد ضحايا هذا النوع من الاستعمار الاستغلالي. الحركة الكُردية دعت دائماً الى حق تقرير المصير. في العراق كان K.D.P يأمل في حل للمسألة الكُردية ضمن إطار الدولة العراقية ولم يذهب ابعد من الفدرالية. ان حق الكُرد في تقرير مصيرهم امر لاجدال فيه ويتضمن قيام كُردستان مستقلة وموحدة. ان هذا الحق لايمكن التنازل عنه من قبل اي حزب سياسي او جيل من الاجيال. و لايمكن لأي حاكم اجبار الكُرد على التنازل عن هذا الحق . انه حق يعود الى كل الشعب الكُردي وليس قسم منه. كل قسم

من شعب كُردستان حر في قول كلمته في الاستمرار كجزء من الدولة التي تشمله او ينفصل عنها ليكون مستقلاً او ليتحد مع الاقسام الاخرى منه.

إن ممارسة هذا الحق من قبل الشعب الكُردي لايعني الانفصال بشكل آلي. هنالك حلول عديدة بما فيها الاستقلال او الفدرالية التعددية او الحكم الذاتي ضمن اطار الدولة.

ولكن يجب القول ان الحكم الذاتي وبالشكل الذي طالب به K.D.P لا يحل المسألة الكُردية حيث تبقى الهياكل الاحادية القومية قائمة من دون تبديل ولن يحصل الكُرد على القاعدة الثنائية الدستورية وتحت هذه الظروف لن يشعر الكُرد بالمساواة مع سكان القسم العربي من العراق.

اذا كانت الدول المجاورة لاترغب في حدوث اضطراب وخلل امني فيها عند قيام كُردستان مستقلة فان عليها ان تبرهن للكُرد بأنها جديرة بالعيش بوئام مع الشعب الكُردي. بدلاً من الانتفاع من محنته بالوقوف مكتفية بالتفرج. يمكنها كسب ثقة ومحبة الشعب الكُردي بالإعتراف بهويته القومية وما يترتب على ذلك من حقوق، يجب التخلص من سياسة استعمار الشعوب الفقيرة التي تفرضه الطبقات الحاكمة على الكُرد. إن خيار الكُرد رهن بطبيعة سلوك وسياسة هذه الحكومات. وإنهم لامحال بالغون هدفهم بتحقيق مصيرهم والاطاحة بالحدود التي تقسمهم.

الفصل السادس

الكُرد في سوريا

مصطفى نازدار

إن قدراً كبيراً من المعلومات عن كُرد سوريا والجزيرة يمكن الحصول عليها مبعثرة هنا وهناك في كتابات العرب والمسلمين في القرون الوسطى، أما الآن فان المعلومات حول الموضوع لا ترقى الى اكثر من حفنة من المقالات. لاتوجد احصاءات رسمية عن اعداد الكُرد في سوريا وحتى ان وجدت فأنها عملياً لايمكن الوثوق بها. وعليه يضطر الباحث الى عنصر التخمين. وعلى هذا الاساس يستطيع الواحد منا ان يقول انه في ١٩٧٦ كان في سوريا ٨٢٥,٠٠٠ كُردي وهم يشكلون نسبة ١١٪ من مجموع السكان البالغ ٧,٥مليون وتوزيعهم على المناطق هو كالآتي:

المنطقة	عدد السكان
جبل الكورد	٢٩٠,٠٠٠
جبل سامان وعزاز	٣٠,٠٠٠
عين العرب	٦٠,٠٠٠
الجزيرة الشمالية	٣٦٠,٠٠٠
الجزيرة الجنوبية	١٠,٠٠٠
حلب	١٠,٠٠٠
حماة	٥,٠٠٠
دمشق	٣٠,٠٠٠
مناطق اخرى	٣٠,٠٠٠
المجموع	**٨٢٥,٠٠٠**

ان ثلث الكُرد الموجودين في دمشق يعيشون في احياء المدينة المختلفة اما الثلثين الاخرين فيقيمون في محلة الاكراد عند سفح جبل قاسيون. اذا وضعنا جانباً الكُرد الذين يعيشون في البلدات العربية فإننا سنجد ثلاث مناطق كُردية وخاصة في الشمال من البلاد. ان ٧٤٠,٠٠٠ الذين يعيشون هناك يمثلون ١٠٪ من مجموع السكان.

منطقة كُرد داغ ومعناها جبل الكُرد وتقع شمال غرب حلب على حدود سهل انطاكية والاسكندرية. كُرد داغ بكثافتها ٣٦٠ قرية هي الاقليم الغربي لكُردستان وهي المنطقة الجبلية الوحيدة في سوريا. الحبوب والاعناب والتين والتوت تنمو في هذه المنطقة، وقليلاً نحو الشمال كما هي الحال في كُردستان هنالك غابات البلوط ولقرب البحر المتوسط من المنطقة فهنالك اشجار الزيتون. بالإضافة الى ٢٩٠,٠٠٠ كُردي في هذه المنطقة فان هناك ٣٠,٠٠٠ كُردي في جبل سامان وعزاز عبر وادي عفرين. ومن الطرف الشمالي تنتهي كُردداغ بجبال طوروس في كُردستان تركيا.

اما منطقة عين العرب فأنها تقع شمال شرق حلب تماماً شرق المنطقة التي يدخل فيها نهر الفرات الاراضي السورية. توجد فيها ١٢٠ قرية. وفي القرون الوسطى لم يعتبرها الجغرافيون العرب والمسلمون جزءً من سوريا (الشام) على الاطلاق. انهم اعتبروها بداية للجزيرة التي تقع بين الفرات ودجلة وهم بذلك اعتبروها جزءً مكملاً لميسوبوتاميا العليا. اما العراق وهي الكلمة العربيةً للدلالة على القسم السفلي او الصحراوي لميسوبوتاميا فانها استخدمت لتعيين منطقة تنتهي بين بغداد وتكريت تاركة جميع كُردستان الجنوبية (كُردستان العراق) جزءً محسوبا على العجم (ايران).

ان القسم الشمالي من محافظة الجزيرة بسكانها البالغ عددهم ٤٥٠,٠٠٠ نسمة يحوي اكبر عدد من الكُرد حيث يبلغ عددهم ٣٦٠,٠٠٠ كُردي. ان هذه المنطقة ذات الغالبية الكُردية تمتد لمسافة ١٧٥ ميل على امتداد القسم العراقي من الحدود وهي متباينة في عرضها الذي يترواح بين ١٢ الى ٣٦ ميلاً وتشكل معظم منطقة منقار البط في الشمال الشرقي من سوريا. هنالك حوالي ٧٠٠ قرية في المنطقة والعرب فيها هم من الرحل وفي العهد العثماني كانت قبائل شمر وطي وبكر تقوم برعي أغنامها وجِمالها الى جنب العشائر الكُردية شبه الرحل مثل مللي ودكوري وهفركان التي كانت تنزل من سفوح طوروس لقضاء الشتاء في هذه المنطقة. ومنذ ١٩٢٠ استقرت العشائر الكُردية في هذه المنطقة مع عدد من أهل المدن الذين هربوا من تركيا بعد فشل ثورة الشيخ سعيد بيران ضد الكماليين وتدريجياً تكيفوا للعيش مع العشائر العربية التي بقيت رحلاً ولكنها قبلت بسحب قطعانها من الاراضي الزراعية. وبفضل نشاط الفلاح الكُردي سرعان ان ظهرت القرى و البلدات الصغيرة بين حقول القمح التي جعلت من الجزيرة سلة الحبوب السورية.

ان القسم الجنوبي من محافظة الجزيرة بما فيها مدينة حسكة لايحوي اكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة و أغلبهم من العرب الرحل ويعيش بينهم نحو ١٠,٠٠٠ كُردي و ٥٠٠٠–٧٠٠٠ منهم هم من الأيزيديين الذين يقطنون حول بحيرة خاتون وهذه الاقلية تمثل امتداداً لجبل سنجار في الاراضي السورية.

هل ان هذه المناطق الثلاث كُردداغ وشمال الجزيرة وعين العرب جزء من كُردستان؟ هل أنها تشكل كُردستان سوريا؟ او انها مجرد مناطق

في سوريا صادفت وان اصبحت مأهولة بالكُرد؟

لندع التعريفات للجغرافيين العرب والمسلمين جانباً، هذه المناطق بمفهوم الدولة جزء من سوريا مثلما هي دمشق . ولكن في المفهوم الانثربولوجي (البشري) فان هذه المناطق امتداد لكُردستان تركيا.

ان الاجزاء الكُردية من الجزيرة تشكل الحدود مع العراق ايضاً. ان اتفاقية لندن في ٩ أذار ١٩٢١ بين فرنسا (سوريا كانت تحت الإنتداب الفرنسي) والنظام الكمالي في تركيا لم تثبت الحدود التركية السورية بشكل دقيق على اساس حدود بين الكُرد والعرب. اعطيت ثلاث مقاطعات كُردية الى سوريا في حين ترك جيب عربي في الشمال جنوب حران كجزء من كُردستان تركيا وكذلك كانت الحال مع المنطقة الواقعة جنوب كيليس بسكانها الكُرد والعرب وفي ١٩٣٨ احتلت تركيا الكمالية لواء الاسكندرونة بما فيها سهل انطاكية بسكانه الكُرد والعرب والترك وهو معروف اليوم باسم هتايا. أما في سوريا فإن هذه المناطق الثلاث مفصولة الواحدة عن الاخرى بمناطق يسكنها عرب. وهكذا فان كُردستان سوريا اصبحت اقليماً مجزءً و الافضل لنا الآن ان نتحدث عن المناطق الكُردية في سوريا. المهم في الأمر أن ١٠٪ من سكان سوريا هم من الكُرد وهم يحيون حياتهم على طريقتهم الخاصة بهم في مناطق محددة المعالم شمال سوريا. ولكن الشيء الذي يجب ان يثير الاهتمام هو ان هؤلاء أُنكر عليهم حقهم الشرعي في أن تكون لهم هويتهم القومية وحقوقهم الثقافية.

كُرد سوريا بشكل عام يعتمدون في معيشتهم على الزراعة وطريقة الزراعة عندهم هي الزراعة المكثفة وفي جبل كُرداغ وهي انتشارية (مساحة واسعة مع جهد اقل) في المنطقتين الاخريين. والكُرد في هذه

المناطق يمتلكون قطعان الغنم والماعز وينتجون الالبان وزيت الزيتون وكميات من فحم الخشب الذي عادة يصدر الى حلب. اما كُرد المدن فان نسبتهم لا تتجاوز ٢٠٪ من عدد السكان الكُرد في كل سوريا وعادة يعتمدون في كسب الرزق على التجارة والحرف اليدوية.

هنالك ست مدن صغيرة في سوريا والاربع الرئيسة تقع في الجزيرة وهي قامشلي (٤٠,٠٠٠) نسمة وعامودة (١٥,٠٠٠ نسمة) و درباسية (١٥,٠٠٠ نسمة) وهي قريبة على الحدود التركية. وهنالك بلدة ديرك (٦,٠٠٠ نسمة) وتقع قريبة من الحدود العراقية وهنالك عين العرب (٨,٠٠٠ نسمة) وهي مدينة في منطقة تحمل نفس الاسم. وهنالك بلدة عفرين (٢٠,٠٠٠ نسمة) وتقع في كُردداغ.

الكُرد في العصور الوسطى

في دراسته الموسومة « الطوبوغرافية التأريخية لسوريا القديمة في القرون الوسطى » لاحظ رينيه دوسود بأن كُرددا غ والسهل القريب من انطاكية كانا مأهولين بالكُرد منذ القدم، وفي اطروحته لنيل درجة الماجستير يذكر كلود كاهن استاذ الدراسات الاسلامية في سوربون ان مدينة حماة كانت اقطاعية كُردية يسيطر عليها علي بن وفا المعروف بـ «علي» الكُردي والذي مات في ١١١٤م واصبح إبناه ناصر وكُردان شاه (ملك الكُرد) تابعين الى توغ تكين السلجوقي امير دمشق، اصبحت عائلة علي الكُردي سادة رافانيا وحماة والمنطقة الجبلية التي تفصلها عن طرابلس، وفي كتاباته عن نورالدين الامير المسلم المشهور زمن الصليبيين يصف نيكيتا اليسيف استاذ الدراسات الاسلامية في جامعة ليون الهياكل الاجتماعية في سوريا آنذاك «اذا نظرنا الى السكان فاننا نجد الارستقراطية العسكرية التركية» او الكُردية في القمة وهم يعيشون في المدن ومعهم الموظفون وجامعو الضرائب بالاضافة الى هؤلاء الغرباء كانت هنالك مجموعة لها امتيازاتها الدينية وتدعي انتسابها الى النبي. على عكس الكُرد كان اتباع نورالدين الزنكي من الترك الوافدين مؤخراً الى المنطقة، اما العرب الذين كانوا يشكلون الاغلبية فقد كانوا يمرون في فترة من الانحلال العسكري وسلموا مهمة الدفاع عن البلاد في وجه الصليبيين الى الامراء الترك او الكُرد.

ان حصن كراك دي شافلية (حصن الاكراد) المشهور والذي استولى

عليه الصليبيون لايزال قائماً بشموخه يتحدى الدهر على مقربة من «مصيف» بني من قبل الكُرد يقول كلود كاهن انه نتيجة لقيام اتحادات سياسية بشكل متكرر بين شمال سوريا والجزيرة فقد استقر الامراء الكُرد هناك وفي القرن الحادي عشر قامت احدى هذه المستعمرات الكُردية ببناء حصن الاكراد الذي استولى عليه الصليبيون في وقت لاحق.

قبل الاستيلاء على القدس تمركز الصليبيون دون كثير عناء على امتداد الساحل وخاصة في طرابلس و انطاكية، كان المسلمون في سوريا منقسمين على انفسهم كان العرب الرحل والترك والكُرد يقاتل الواحد الاخر والصراع السني الشيعي كان مستمراً ولكن ظهر أمامهم عدو مشترك هم الفرنجة من الخارج والغساسنة من الداخل. اما الخليفة العباسي في بغداد فكان له نفوذ معنوي فقط. اما امراء ميسوبوتاميا وايران فقد جاؤوا لنجدتهم ولكن السوريين كانوا يخشون من ان يسيطروا على البلاد لأنفسهم. ولم يتردد الامراء التركمان في حلب ودمشق في عقد تحالف عسكري مع الفرنجة لمنع حصول مثل هذا التحالف بين السوريين وامراء ميسوبوتاميا وايران.

جاء اول انتصار للمسلمين على الفرنجة في ١١٤٨ . تولى الامير نور الدين الزنكي امير الموصل امر الجهاد ضد الفرنجة. وكان في امرة الامير الشاب كثير من الامراء الكُرد والترك. كان هذا الجيش التركي الكُردي غريباً على اهل الشام. ارسل نورالدين الجيش الى سوريا وبقي هو شخصياً في الموصل. وتولى قيادة الجيش اخوان كُرديان ينحدران من عشيرة راوند وهما نجم الدين ايوب و شيركو وهما على التوالي والد و عم القائد المشهور صلاح الدين الأيوبي بطل المعارك المقبلة والذي كان

بصحبة والده وعمه. سيطر شيركو ونجم الدين على حلب وطردا توغ تكين من دمشق. تم تعيين نجم الدين نائباً لامير سوريا واصبح شيركو قائداً للجيش، و بأمر من نورالدين توجه الاخوان للإستيلاء على مصر و القضاء على الخلافة الفاطمية هناك. توفي شيركو في القاهرة واصبح ابن شقيقه صلاح الدين قائداً للجيش الأمر الذي اغاظ الامراء التركمان المقربين الى نور الدين كان صلاح الدين يومئذ ٣٧ سنة من العمر ونصب نفسه منافساً لنورالدين ولم يعد جيشه يوصف بأنه تركي – كُردي حيث اصبح كُردياً – تركيا مع السيطرة للامراء الكُرد، عاد صلاح الدين الى سوريا وحصل على لقب السلطان من الخليفة العباسي وتغلب على الفرنجة في حطين ١١٨٧ م وقضى على مملكتهم في القدس في وقت سابق كان قد استولى على ليبيا والسودان و الحجاز واليمن واصبح امراء دياربكر والموصل من المتحالفين معه. وفي فلسطين قاوم الحملة الصليبية الثالثة. بقيادة فيليب اوغسطس ملك فرنسا و ريجارد قلب الاسد ملك انكلترا وفريدريك بار باروسا امبراطور المانيا بنجاح. في ٤ تشرين الاول ١١٨٩ وفي معركة اكر Acre كان جيش السلطان صلاح الدين يحتوي على اربعة عشر اميراً وكان نصفهم كُرداً . استطاع اخر ملوك الكُرد في سلالة صلاح الدين على مصر و سوريا وهو طوران شاه من اسر ملك فرنسا سانت لويس ، انتهى حكم الأيوبيين بإغتيال الملك طوران على يد احد مملوكيه في عام ١٢٤٩م.

الاسس القانونية والفكرية للإضطهاد

اثناء الحقبة العثمانية كانت العلاقة بين العرب والكُرد علاقة جيدة في اطار مفهوم الامة الاسلامية عندما خرجت القوات الفرنسية واصبحت البلاد مستقلة كانت العلاقة العربية الكُردية لاتزال جيدة.

ولكن سوريا مستقلة تحكمها البرجوازية العربية سرعان ان تبنت الفكر القومي ورفضت الاعتراف بالكُرد وحقوقهم كأقلية قومية. لقد تم تجاهل الكُرد مثلما حصل لكل الاقليات القومية والدينية في الدول العربية الاخرى. البربر في شمال افريقيا والاقباط في مصر والمارونيين في لبنان والدروز العلويين في سوريا. ولكن الكُرد في سوريا لم يكونوا الهدف المباشر للقمع . من ١٩٤٦ الى ١٩٦٢ كان الشاعر الكُردي جكەر خوين حراً في طبع نتاجه الشعري بحروف لاتينية وبلغته الكُردية. وفي المدن الكُردية مثل قامشلي وعامودة وعفرين كانت لغة التعليم العربية ولكن الكتب المدرسية باللغة الكُردية كانت متداولة بحرية.

في ١٩٥٧ قام عدد من المثقفين والعمال و الفلاحين بتأسيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني في سوريا على نهج K.D.P العراقي. كان برنامجه يدعو الى الاعتراف بالكُرد كمجموعة قومية لها هويتها الخاصة بها وثقافتها ودعا الى احداث اصلاح زراعي واقامة حكومة ديمقراطية.

في ١٩٥٩ تم اعتقال العديد من قادة الحزب وكان ذلك في زمن الوحدة مع مصر تحت حكم عبدالحميد السراج الذي كان يتلقى الاوامر من عبدالناصر رئيس جمهورية مصر العربية.

وفي أيلول ١٩٦١ انفصلت سوريا عن مصر واستولت البرجوازية بقيادة فاضل القدسي والعظم على السلطة شددت الحكومة الجديدة من قمعها واضطهادها القومي ضد الكُرد الذين اتهموا بمعاداة العرب. واتهم الكُرد ايضاً بالاتصال مع كُرد العراق الذين بدأوا لتوهم الثورة في أيلول ١٩٦١ مطالبين بالحكم الذاتي.

وفي ٢٣ أب ١٩٦١ اصدرت الحكومة مرسوماً تحت رقم ٩٣ لإجراء احصاء في محافظة الجزيرة حيث قيل أن الكُرد في تركيا يتسللون بشكل غير قانوني لغرض التأثير ديموغرافياً على المنطقة. جرت عملية الاحصاء هذه في تشرين الثاني من تلك السنة وعندما اعلنت النتائج تم تجريد ١٢٠,٠٠٠ كُردي من جنسيتهم السورية واعتبروا اجانباً في بلدهم . وفي ١٩٦٢ ولمجابهة التهديد الكُردي وانقاذ العروبة في المنطقة باشرت الحكومة بما يسمى «الحزام العربي» وبموجبه يتم طرد الكُرد من منطقة الحدود مع تركيا واحلال العرب مكانهم . ولا شك ان اكتشاف النفط في قرية قره جوك من قلب المنطقة الكُردية اثر على سياسة الدولة.

في آذار ١٩٦٣ جاء حزب البعث العفلقي الى الحكم ساءت احوال الكُرد. في تشرين الثاني ١٩٦٣ نشرت الحكومة دراسة عن محافظة الجزيرة بأبعادها القومية والاجتماعية والسياسية قدمت من قبل رئيس الشرطة في المنطقة محمد طلب هلال. كوفىء هلال هذا على عمله بأن اصبح محافظاً على حماة وبعد ذلك وزيراً في حكومة الزوين وهو منصب احتفظ به لسنوات متعاقبة.

حاول هلال ان يبرهن علمياً وعلى اسس انثروبولوجية ان الكُرد لايكونون امة واستنتج ان الكُرد ليس لهم تاريخ ولا حضارة او لغة او اصل واحد محدد و ان شخصيتهم تكونت وتجبلت بميلهم للعنف والتدمير

وانهم يعيشون على تأريخ وحضارة الشعوب الاخرى ولم يكن لهم نصيب في صنع هذه الحضارات .

اقترح هذا القومي الغيور على مصير شعبه العربي خطة ذات اثنتي عشرة نقطة توضع موضع التنفيذ في البداية ضد كُرد الجزيرة:

١- سياسة البتر وتشمل على ترحيل وتشتيت الشعب الكُردي.

٢- سياسة التعتيم (الظلامية) وتهدف الى منع الثقافة والتعليم من الوصول الى الكُرد حتى وان كان ذلك باللغة العربية.

٣- سياسة التجويع وتهدف الى حرمان المشمولين بها من العمل.

٤- الطرد والابعاد، وتهدف الى اعادة اولئك الذين بقوا على قيد الحياة بعد الانتفاضات في تركيا ولجأوا الى سوريا الى السلطات التركية.

٥- سياسة فرق تسد، وترمي الى تأليب الكُردي ضد الكُردي .

٦- تطبيق حزام مشابه لذلك المقترح في ١٩٦٢.

٧- سياسة الاستيطان وتشمل زرع العرب في المنطقة لمراقبة الكُرد لحين اتمام عملية التشتيت.

٨- السياسة العسكرية، وتكون بوضع قوات عسكرية في منطقة الحزام.

٩- بناء مزارع جماعية للعرب الذين سيتم تزويدهم بالأسلحة ايضاً.

١٠- منع كل شخص لايعرف العربية من الاشتراك في الانتخابات .

١١- نفي علماء الدين الكُرد الى الجنوب واحلال رجال الدين عرب مكانهم.

١٢- اطلاق حملة توعية ضد الكُرد بين العرب.

كثير من المقترحات التي ذكرناها وضع قيد التنفيذ، الكُرد الذين تم تصنيفهم على انهم اجانب قاسوا الامرين، ومع انهم عوملوا على انهم اجانب ومشتبه بهم في وطنهم فانهم كانوا خاضعين للخدمة العسكرية وارسل الكثير منهم الى الخدمة في هضبة الجولان. لم يكن باستطاعتهم الزواج بشكل قانوني في المحاكم ولم يكن لهم حق المعالجة في المستشفيات او تسجيل اولادهم في المدارس.

إن خطة إقامة مزارع الدولة في محافظة الجزيرة والحزام العربي لم يتم وقف العمل به في السنوات التي تلت صدور القرار بهما. تحت غطاء الاشتراكية والاصلاح الزراعي كان مقرراً طرد ١٤٠,٠٠٠ فلاح كُردي ليحل محلهم العرب وكانت النية متجهة الى التوسع فيها لتشمل كُردداغ ايضاً رفض الكُرد المشمولون ترك اراضيهم .

وفي ١٩٦٧ ابلغ الفلاحون في الجزيرة ان الحكومة ارسلت فرقاً لاقامة المزارع النموذجية الى أن جاءت الحرب مع اسرائيل لتضع وقفاً لهذه الاجراءات بشكل مؤقت.

وبعد إنشاء سد طبقة على الفرات كان المقترح ان العرب الذين ستغمر المياه قراهم يعاد توطينهم في الجزيرة الكُردية. في ١٩٧٥ بنت الدولة ٤٠ مزرعة نموذجية في الحزام العربي بين عامودة في الغرب وديرك في الشرق بما في ذلك منطقة قامشلي. تم استيطان ٧,٠٠٠ عائلة فلاحية وتسليحهم. جرى تطبيق الخطة تدريجياً كي لا يثير تطبيقها انتباه العالم

الخارجي. خضع الكُرد للمضايقات من قبل الدولة وهجمات الشرطة وعمليات المصادرة . صودرت الاعمال الادبية الكُردية وتسجيلات الاغاني الكُردية وتم تعريب الاسماء الكُردية فمدينة ديرك اصبح اسمها المالكية واعتقل قادة K.D.P بعد ان اتهموا بمعاداة العروبة بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ تم طرد نحو ٣٠,٠٠٠ كُردي من الجزيرة ليبحثوا عن العمل في مدن سورية او في لبنان، وبسبب العصابات المدعومة من الحكومة اضطر عدد من الكُرد الى ترك المنطقة والاقامة في حلب.

صحيح ان المجلس الوطني ضم عدداً من الكُرد ولكن لم يكن بإستطاعتهم عمل ذلك إلاّ بقبول زن جميع المواطنين السوريين هم عرب، في كل التشريعات السورية لم يرد ذكر للكُرد او اية قومية اخرى غير عربية. بما ان الجمهورية هي عربية فعلى الكُرد ان يكونوا كذلك.

في ١٩٧٦ اوقف الرئيس حافظ الاسد اي تطبيق اخر لمخطط طرد الكُرد من مناطقهم وقرر الابقاء على الوضع الراهن. لم يعد فلاحو الجزيرة يعانون من المضايقات وتوقفت عملية اقامة القرى العربية ولكن بقيت القرى العربية التي سبق لها وان شيدت.

بدأت الاذاعة ببث الموسيقى والاغاني الكُردية وتنفس الكُرد الصعداء ولكن اهي حقاً بداية مرحلة جديدة في التعامل مع الكُرد؟ ام هي مجرد مناورة حكومية تقوم على التنافس الموجود بين بغداد و دمشق؟ .

الفصل السابع

الكُرد في الاتحاد السوفيتي

ان الحدود السوفيتية لا تحوي مناطق كُردية معينة على تماس بأرض كُردستان. ان معاهدة ١٩٢١ بين الحكومة الكمالية والسلطات السوفيتية في ارمينيا السوفيتية اخذت بنظر الاعتبار التركيبة القومية للمناطق ذات الاهتمام عند رسم الحدود بينهما. ان المنطقة المسلمة الكُردية «كارس» اصبحت تحت السيطرة التركية والحقت «كومرو» بالاتحاد السوفيتي.

ومع انه لا توجد اقاليم كُردية في الاتحاد السوفيتي فان هنالك تجمعات كُردية او بكلمة اخرى عدة مستوطنات مشابهة لتلك التي تقوم في الاناضول التركية مبعثرة في القوقاس وجمهوريات اسيا الوسطى في أرمينيا و أذربيجان و جورجيا وكازخستان و القرغيز و تركمنستان .

ان هذه المستوطنات المتباعدة التي غرست في بيئات ثقافية وجغرافية مختلفة جديرة بالامعان فيها لسببين مهمين. اولهما وعلى الرغم من صغر احجامها فإن الكُرد السوفيت وعلى الاخص كُرد ارمنياً لعبوا دوراً مهماً في الحياة الثقافية الكُرد وكانوا محط انظار اقرانهم في كُردستان اما السبب الثاني فهو ان التحولات التي طرأت على هذه المجموعات والتي كانت في يوم ما اكثر من الكُرد تأخراً هي جديرة بالملاحظة.

السكان

طبقاً لإحصاء ١٩٧٠ كان هنالك ٣٧.٤٨٦ كُردي في ارمينيا وثلثهم يقيمون في ايريفان و الباقي كانوا يقيمون في ٢٢ قريةً في منطقة تالين وخوز وكانت هنالك قرى مختلطة كُردية و اذربيجانية وبدرجة اقل كُردية

وارمينية، وكان هنالك نحو ٢٠.٩٦٠ كُردي في جورجيا و خاصة في بتليس في حي خاص بهم والكُرد في جورجيا وارمينيا في غالبيتهم من الايزيديين. اما في اذربيجان فالامور تبدو مختلفة. ان ٥٠ قرية وبلدة في كلبجار و لجاين و كوباتلي و نكيلار ونخجيفان كانت مأهولة بشكل تام بالكُرد حتى نهاية الثلاثينيات لتصبح بعدها مختلطة بشكل تدريجي. ان الاحصاءات الرسمية حول الكُرد مليئة بالتناقضات. فمثلاً في ١٩٢٦ تم تسجيل ٤٢.٠٠٠ كُردي في المنطقة وفي ١٩٥٩ هبط العدد الى ٣٠٣ فقط.

وفي ١٩٧٥ قفز العدد الى ٥.٤٨٨ كُردي ان هذه الاعداد لا تتفق والنمو الطبيعي للسكان حتى ولو افترضنا بأن الكُرد قاموا بالتزاوج مع الاذربيجانيين فان ارقام الاحصاءات هذه تبقى غير منطقية.

كانت السلطات الاذربيجانية والى ١٩٦٥ وبشكل متكرر تتحدث عن تركيا العظمى بصورة شوفينية وكانت تحاول بنشاط تمثيل الكُرد، في ١٩٢٩ ادى هذا التعصب القومي الى حل جمهورية كُردستان ذات الحكم الذاتي التي تأسست في ١٩٢٣ في لاجين وكلبجار ونخجيفان. واسباب تصفيتها لا تزال غير معروفة.

في غياب احصاءات رسمية فانني اقدر عدد الكُرد في اذربيجان بحوالي ١٥٠,٠٠٠ الى ٢٠٠,٠٠٠ كُردي وهنالك مشهد مشابه لهذا في تركمستان احدى الجمهوريات الاسلامية التركية في الاتحاد السوفيتي، في احصاء ١٩٢٦ كان هنالك ٢٢,٠٠٠ كُردي فيها ولكن بعد مرور ٣٠ سنة على هذا الاحصاء جاءت التقديرات الرسمية لتعطي ٢٠,٠٠٠ نسمة وانخفض العدد في ١٩٧٠ ليصبح ٢.٩٣٣ نسمة فقط، الكُرد في هذه البلاد لم يتعرضوا الى حملات ابادة او تهجير وعملية الصهر. والزواج

لايمكن ان تكون هي السبب في هذا الانخفاض الحاد. من المحتمل جداً ان السلطات التركمانية كانت تتبع سياسة قومية عنصرية وانها كانت فعالة على الصعيد الثقافي ولم تكن هنالك آليات تستطيع من خلالها القومية الكُردية التعبير عن نفسها والثاني فهو على الصعيد الاداري حيث كان الكُرد يسجلون على انهم ترك في التسجيل الرسمي. ان نفوس الكُرد حسب تقديرات المصادر الكُردية هي ٥٠,٠٠٠ كُردي في اجخباد العاصمة وفي بيرم علي وكافكاك وكاراكالا وتيزين . اما في كازاخستان فان الكُرد يقيمون في جيمكند وجمبول والما اتا وحسب احصاء ١٩٧٠ كان عددهم حوالي ١٢,٣١٣ كُردي اما في قرغيزيا فكان هنالك ٧,٩٧٤ كُـردي و خـاصـة في او شـيء والملفت للانظار هو ان الكُرد في وسط الاستبس (الحشائش الطويلة) اختاروا العيش في المناطق الجبلية حيث يرعون قطعانهم. وفيما يلي جدول بأعداد الكُرد في الاتحاد السوفيتي:

الجمهورية السوفيتية	عدد السكان الكورد فيها
ارمينيا	٣٧,٤٨٦
أذربيجان	١٥٠,٠٠٠
جورجيا	٢٠,٦٩٠
كازاخستان	١٢,٣١٣
قرغيزيا	٧,٩٧٤
تركمانستان	٥٠,٠٠٠
المجموع	٢٧٨,٤٦٣ المجموع

هنالك أسباب تاريخية لهذا التشتت. منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأت عدة عشائر كُردية بتوسيع رقعة الرعي لها. زحفت على سهل ايريفان اولاً وبعد ذلك استمر التغلغل الرعوي الى داخل اذربيجان وصولاً الى باكو.

اثناء هذا التوسع البطيء اقيمت القرى الكُردية هنا وهناك. رحبت السلطات القيصرية بهذه التوغلات الكُردية الى حد ما لأنها كانت تأمل في الاستفادة يوما ما من الصفات القتالية المعروفة لدى الكُرد في اي نزاع مستقبلي ينشب بينها وبين الدولة العثمانية او الفارسية. لاحقاً وبسبب الحروب بين الروس وتركيا العثمانية (١٨٢٨-١٨٢٩) و (١٨٥٣-١٨٥٦) و (١٨٧٧-١٨٧٨) و بسبب الثورات الكُردية في القرن التاسع عشر تضخمت اعداد الكُرد لقدوم افواج منهم وهم يبحثون عن الملاذ في روسيا. جاء الى روسيا اعداد من الكُرد الايزيديين بسبب قمع السلطات العثمانية والزعماء الكُرد لهم لديانتهم التي تحمل عناصر زرادشتية إزدادت الهجرة في اوائل القرن العشرين وقبيل الحرب الاولى كان هنالك نحو ١٥٩ . ٤٠ كُردي في ايريفان وحدها وكان ٦٨.٥٪ منهم من الرحل. اما الباقون فقد استقروا في المدن وبلدات صغيرة.

لعبت العوامل الدينية دورها في قرارات المهاجرين في الاستقرار في هذا المكان او في اخر من الامبراطورية القيصرية. الايزيديون الذين عانوا كثيراً من ممارسات المسلمين بما فيها عدد من المذابح الحقيقية فضلوا الاقامة في أرمينيا المسيحية و جورجيا حيث لا تثير طقوسهم الدينية عداءً لهم من المجتمع اما الكُرد المسلمون ففضلوا العيش في اذربيجان المسلمة وفي مستعمرات صغيرة في ارمينيا. حتى في ظل النظام السوفيتي لعبت الروابط الدينية دوراً مهماً في سلوك وتطور

المستوطنات الكُردية المسلمة والايزيدية. وعلى الرغم من اعدادهم الصغيرة بذل الكُرد الايزيديون الكثير للدفاع عن هويتهم الكُردية وحماية خصوصياتهم ومقاومة كل محاولة لتمثيلهم في او امتصاصهم في المجتمع الجورجي او الارمني. التمثيل والاذابة كان لهما تأثير أكبر على الكُرد المسلمين الذين رغم عددهم الاكبر لعبوا دوراً ثانوياً في تطوير الحياة الثقافية السوفيتية.

بعد ١٩١٥ تقلصت اعداد المهاجرين بشكل ملحوظ فإن تقلبات الحرب الاولى والرعب الذي احدثته الحكومة العنصرية الطاشناقية التي استولت على الحكم في ارمينيا الى ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ والفوضى الناجم عن الحرب الاهلية الروسية كل ذلك اثار الخوف في نفوس الكُرد، كما ان الدعاية الكمالية المؤيدة للسلطان اكد للكُرد ان البولشفية تعني القضاء على القيم العائلية والاجتماعية وعلى الدين والاخلاق. هرب كُرد كثيرون وفي ١٩٢٢ لم يبق منهم في ايريفان سوى ٨.٦٥٠ كُردي.

ان قيام النظام السوفيتي الجديد جلب معه تغييراً ثقافياً في حياة كُرد القوقاس. اولاً حدث انفصال عن نمط الحياة القديم. تم توطين البدو وتحويلهم الى عمال زراعيين. بدأ الاطفال بالذهاب الى المدارس وبدأت المستعمرات المبعثرة بتطوير حياة وطنية خاصة بها. حدث انقطاع كلي بينهم وبين كُرد كُردستان اصحبت الحدود الان مانعاً امامهم. اما عن الكُرد في وسط اسيا فانهم جميعاً من المسلمين ولكنهم ليسوا من اصل واحد ومكان واحد. هؤلاء الذين في توركمنستان ينحدرون من العشائر الكُردية التي وضعتهم السلطات الفارسية بالقوة في خراسان في القرن السادس عشر لحماية حدود الامبراطورية الشرقية. اما كُرد افغانستان وعددهم يبلغ عشرات الالوف فانهم من المصدر السابق نفسه اي من

الكُرد في خراسان. اما عن كيفية وصول الكُرد الى كازخستان وقرغيزيا فان القصة مختلفة في ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وجه اليهم الاتهام بإحداث قلاقل في منطقة الحدود فأمرت السلطات الستالينية بنقل عدة آلاف منهم الى هذه الجمهوريات النائية.

الحالة الاجتماعية والاقتصادية

على عكس اقرانهم في كُردستان كان كُرد الاتحاد السوفيتي في السبعينيات من القرن العشرين من اكثر المواطنين السوفيت ازدهاراً . كانوا عمالاً نشطين في السوفخوز و الكلخوز (المزارع الجماعية) وكان لهم قطعانهم من الغنم . المناخ كان مؤاتياً وكانوا على العموم يتمتعون بوضع جيد.

هذا الازدهار كان واضحاً في نوعية المسكن حيث لديهم بيوت عصرية مبنية من الحجر او الطابوق و مجهزة عادة بالتدفئة المركزية واحياناً يكون لديهم جهاز هاتف. وفي فناء الدار يوجد تنور الذي هو الفرن الطيني التقليدي لعمل الخبز مستوى الخدمات المقدمة لهم كان جيداً. القرى لها شوارع واسعة ومضاءة بشكل جيد وتربط هذه القرى بالمدن طرق قصيرة جيدة. في كل قرية يوجد مشروع الماء الصافي للشرب ومشروع للكهرباء وخدمات ومخزن لبيع المواد الغذائية و مدرسة ثانوية و موظف زراعي و طبيب وطبيب بيطري وصيدلية ونادي اجتماعي وثقافي يحتوي على مكتبة وصالة لعرض الافلام واحياناً قاعة للرياضة.

لم يكن الكُرد معرضين لأي نوع من انواع التميز ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي لم يكونا بأي شكل من الاشكال دون مستوى مراكز اقرانهم من مواطني القوميات الاخرى. وحتى في جمهورية مثل ارمينيا كانت

نسبة عدد المثقفين الكُرد عالية وهي ليست اقل من نسبة المثقفين الأرمن في ارمينيا وحيث نسبة الكُرد الى مجموع السكان هي ١٪ كان احد الكُرد عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الارمني وكان هنالك مندوبون كُرد في السوفيت الاعلى وفي سوفيت القوميات، كان الكُرد نواب وزراء (النقل والعدل والاقتصاد) لم يكن الوضع يختلف في الجمهوريات الاخرى.

رغم قلة عددهم وصل الكُرد الى اعلى المناصب. في كازخستان كان وزير الري كُردياً وكان عدد من الكُرد يدرسون في الجامعات الكازخستانية الحياة الثقافية.

على المستوى الثقافي كانت المستوطنات الكُردية معزولة الواحدة عن الاخرى بمسافات شاسعة وبما أنها كانت في بيئات مختلفة فانها مرت بمراحل نمو مختلفة ولكن كانت بينها اشياء مشتركة. اول هذه الامور أن الامية قضي عليها في الثلاثينيات. فبعد ١٩١٧ مباشرة كان ١٪ من الكُرد يعرفون القراءة والكتابة فقط، بذلت جهود كبيرة لتعليم كل الاطفال في سن الدراسة والكبار الاميين القراءة والكتابة. في البداية تلقى المعلمون تدريباً لمدة ٦ اشهر. وبعد اعداد الكادر التعليمي المؤهل فرض التعليم الاجباري لمدة ٤ سنوات ومددت الفترة بعد ذلك الى ٧ سنوات ثم الى ١٠ سنوات.

بلغت الحملة التعليمية ذروتها بين ١٩٣٠ -١٩٣٧ ولاشك ان هذا النشر للتعليم وديمقراطيته يعتبر دون اي شك من منجزات النظام السوفيتي البارزة التي له الحق ان يفتخر بها. ولكن لم ينفذ البرنامج في كل الاماكن بنفس الهمة وبنفس الطريقة في ارمينيا وجورجيا والى حد ما في اذربيجان جرت العملية للكُرد بالكُردية.

تم تطوير الفباء كُردية في ١٩٢١ على أساس الحروف الارمنية وبدأت تدرس في نحو ١٠ مدارس كُردية الى عام ١٩٢٩ عندما تم استخدام الحروف اللاتينية كونها اكثر ملائمة مع اللغة الكُردية.

في ١٩٣١ افتخرت ارمينيا السوفيتية بأن فيها ٢٧ مدرسة كُردية ومعهد لتعليم اللغة الكُردية في ايريفان. بإشراف الاكاديمي اوربلي بدأت احدى الكليات بالقرب من معهد لينتغراد للدراسات الشرقية بتدريب الكُرد على الدراسات الكُردية لأول مرة واستمر الطلاب في تطوير تراثهم.

في الثلاثينيات كانت المواضيع جميعها تدرس باللغة الكُردية في المدارس الكُردية ومعظم الكتب المدرسية البالغ عددها ٣٠ كتاباً كانت تطبع في ارمينيا وشملت الجغرافية والفيزياء والحساب والزراعة والتاريخ الطبيعي والاقتصاد الحيواني. كما كانت هنالك قصص مترجمة الى الكُردية من الأدب الروسي والأرمني و كان هنالك مختصر حياة ماركس ولينين ونسخ من المنهج الشيوعي والقاموس الأرمني الكُردي وأول عمل ادبي من قبل كُردي سوفيتي عرب شمو بعنوان «الراعي الكُردي» صدر في ١٩٣٥ وجاء بعده في ١٩٣٦ «الفلكلور الكُردي» وفيه تم جمع القصص الشعبية والاغاني وبعض الاساطير.

وفي أذربيجان وأيام جمهورية الحكم الذاتي في الفترة من ١٩٢٣ الى ١٩٢٩ لم يطبع ولو كتاب واحد بالكُردية ولم تؤسس مدرسة كُردية واحدة. وبرامج محو الامية كانت تجري بالاذربيجانية وبشكل ثانوي بالكُردية واول كتاب كُردي طبع في باكو في ١٩٣٠ كان الف باء كُردية. بعد ذلك بدأ طبع الكتاب الكُردي بمعدل كتاب او كتابين باللغة الكُردية الى ١٩٣٧ عندما (وبشكل استثنائي) تم طبع ١٢ كتاباً كُردياً .

اما في توركمنستان فإن محو الامية اعتمد على اللغة الرسمية كما كانت الحال في اذربيجان . وجدير بالذكر انه لم يصدر اي كتاب باللغة الكُردية لا في توركمنستان ولا اذربيجان بعد ١٩٣٨ ولم توجد اية مدرسة كُردية في اية منهما .

أما في أرمينيا التي اصبحت مركزاً للحياة الثقافية للكُرد السوفيت فلم يطبع أي كتاب كُردي في الفترة من ١٩٣٧ الى ١٩٤٦ ربما بسبب تعليق السياسة الخاصة بالقوميات، وعندما وضعت الحرب اوزارها هبط الانتاج الثقافي للقوميات غير الروسية الى مستويات متدنية مقارنة بما كان يجري قبل ١٩٣٨، استطاع الكُرد ان يطبعوا كتاباً او كتابين في السنة الواحدة و جميعها متعلق باللغة والادب والفلكلور الكُردي. إن الالفباء السيريلاكية هي المستخدمة كي لا تؤثر على استيعاب الطالب الكُردي الذي يتعلم الجورجية او الارمنية تبعاً للمنطقة التي يقيم فيها، كانت اللغة الكُردية والادب الكُردي فقط يدرسان بالكُردية في المدارس الكُردية اما بقية المواضيع فقد كانت تدرس اما بالروسية او الجورجية او باللغة الارمنية.

بعد ذلك وعندما جاء خروشوف الى الحكم تم تحديد سياسة القوميات لغرض تصحيح الاخطاء والمظالم التي وقعت في عهد ستالين. في ١٩٥٧ تم طبع ١٢ كتاباً باللغة الكُردية بما في ذلك قاموس روسي كُردي يحوي ٣٠,٠٠٠ كلمة نظمه وجمعه فاريزوق و كان عملاً رائعاً اذا ما قورن بإنتاج السنة السابقة ١٩٥٦ حيث طبع فيها كتاب واحد عن قواعد اللغة الكُردية.

ان المجموع الكلي للإنتاج بين ١٩٢١ و ١٩٦٠ هو ٢٣٨ عملاً بالكُردية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي قد لايكون هذا شيئاً كبيراً ولكنه يبقى

شيئاً اذا ما تذكرنا ان الملايين من كُرد تركيا مثلاً لم يستطيعوا خلال نصف قرن من طبع عشرة الى ١٢ كتاباً.

في عام ١٩٧٦ تمتع كُرد ارمينيا و جورجيا و كازخستان والقرغيز بحقوق ثقافية. اللغة الكُردية والاداب الكُردية كانت تدرس بالكُردية في المدارس الكُردية فيها . وفي القرى المختلطة يحق لأولياء أمور الطلاب ان يطالبوا بتدريس لغتهم وآدابهم اذا كان عدد الطلاب الكُرد في الصف الواحد خمسة طلاب او اكثر. كل الكتب كانت تطبع في دور الطبع الارمنية التي طبعت ايضاً اعمال الشعراء والكتاب الكُرد المرتبطين بإتحادات الكتاب والشعراء الارمن والجورجيين. كان الشعر هو الموضوع المهيمن على هذه المطبوعات ولكنها ضمت بعضاً من القصص والمسرحيات والفلكلور.

كانت جريدة ذات اربع صفحات «ريا تازه» الطريق الجديدة والتي كانت لسان حال الحزب الشيوعي الارمني كانت تصدر بالكُردية في ايريفان مرة كل اسبوعين. كانت تصدر بالحروف السيريلاكية منذ ١٩٤٦ وارتفعت اعدادها من ٦٠٠ الى ٥,٠٠٠ في ١٩٧٦ ، ومنذ ١٩٥٦ كانت اذاعة ايريفان تبث برامج كُردية رائعة يومياً اجتذبت اليها جمهوراً واسعاً في كل ارجاء كُردستان وساعدت على توحيد كُرد الاتحاد السوفيتي . في ١٩٧٦ اصبحت مدة بث هذه البرامج ٩٠ دقيقة في اليوم.

ولكن التسهيلات الثقافية التي كانت تقدم للكُرد السوفيت لم تكن الوحيدة المقدمة اليهم. ففي معاهد موسكو وايريفان ولينينغراد للدراسات الشرقية وبدرجة اقل من باكو و بتليسي وطاشقند كان طلاب التأريخ الكُردي واللغة والادب الكلاسيكي ينتجون اعمالاً رائعة. كان عدد كثير

منهم كُرداً. ساهم الكفاح المسلح لكُرد العراق في تشجيع البحث في هذا الموضوع. كان هنالك اكثر من ١٠٠ طالب في الدراسات العليا يشتركون في هذا المجهود في السبعينيات في القرن العشرين.

بعد ٦٠ سنة من العزلة قد يتساءل الواحد منا ماهو القاسم المشترك بين الكُرد في الاتحاد السوفيتي والكُرد في الاجزاء الاخرى من كُردستان؟ بدون شك عبر هذه الفترة ظهر مجتمع قومي له تقاليده وله ابطاله من امثال «فريق بولاتبيكوف» الذي كان احد ابناء رئيس عشيرة ارسل الى النفي في سيبيريا. اصبح هذا الشاب شاعراً ثورياً ثم اصبح قائداً في الجيش الاحمر وقتل وبقي غير معروف في كُردستان. والشيء نفسه يقال عن عدد من الكتاب والشعراء الذين حققوا شهرة كبيرة في الاتحاد السوفيتي.

عمل التراث القديم كأداة ربط قوية بين هذا المجتمع وبين الوطن الام. أولاد واحفاد المهاجرين و المنفيين كانوا يعرفون اسماء القرى واماكن الرعي لأسلافهم عن ظهر قلب. انهم يعرفون الى اية عشيرة ينتمون واحتفظ بعض هؤلاء الاكراد بعاداتهم وزيهم الذي كان مألوفاً عند الكُرد الرحل في بداية القرن العشرين. ان تمسكهم بهذه العادات والتقاليد حال دون انصهارهم كليا في هذه المجتمعات.

ومع ان الكُرد السوفيت كانوا ممتنين وكانوا مخلصين للنظام فإنهم استمروا متعلقين بكُردستان وما يجري فيها. الحركة القومية الكُردية في العراق اعطت زخماً جديداً لهذه الامال. كُرد الاتحاد السوفيتي كانوا يستمعون بلهفة الى اذاعة صوت كُردستان الحرة و هي تبث من قبل الثوار الكُرد وكانوا ايضاً يتصلون بالطلاب الكُرد من العراق و سوريا الذين كانوا يوفدون الى الاتحاد السوفيتي للدراسة. لقد كانوا على

اطلاع جيد بما يجري في كُردستان.

من جورجيا الى انقرغيز على حدود الصين وجدت صور البارزاني في بيوت كُردية كثيرة بما فيها منازل كوادر متقدمة في الحزب الشيوعي،

«اننا نعرف ان البارزاني ليس ثورياً ولكنه اكثر من محافظ». قال ذلك احد الكُرد الشيوعيين ولكنه بالنسبة لنا هو رمز كُرديتنا . عندما يزورنا احد الغرباء فإنه يستطيع ان يتعرف علينا ككُرد. اثناء زيارتك لنا لاشك وانك سمعت انه عندما انهارت الانتفاضة في كُردستان العراق فان كل واحد منا لبس السواد.

من الإنصاف القول ان كُرد الاتحاد السوفيتي (السابق) وهم احفاد اولئك الذين كانوا من اكثر المجموعات اضطهاداً اصبحوا اليوم من اكثر شرائح الشعب الكُردي ازدهاراً و ثقافة.

التطور الاقتصادي والثقافي لم يؤدِ الى انصهارهم في المجتمع السوفيتي او الى ضياع هويتهم القومية التي عبرت عن نفسها بكل صدق في كل من ارمينيا و جورجيا .ان وضع الكُرد في الاتحاد السوفيتي سيتحسن كثيراً اذا ما اتخذت السلطات في كل من اذربيجان وتوركمنستان خطوات مماثلة لتلك التي اتخذتها جورجيا وارمينيا.

الفصل الثامن

كُرد ايران في ظل حكم الخميني

بعد سقوط الشاه في ١٩٧٩/١١/١٠ واجه كُرد ايران وضعاً جديداً. شارك الكُرد وبشكل فعال في المظاهرات التي اجبرت النظام البهلوي يجثو على ركبتيه وخاصة في سنندج و كرمنشاه و مهاباد. هذه المظاهرات كانت بقيادة الحزب الديمقراطي الكُردستاني بزعامة عبدالرحمن قاسملو وكان برنامج الحزب مبنياً على مبدأ الحكم الذاتي في اطار دولة ايرانية ديمقراطية وفدرالية وعلمانية ان امكن.

إن الفراغ السياسي الذي حصل بعد الاطاحة بالملكية تم استغلاله بسرعة من قبل الكُرد. تم اختيار مجالس ثورية لادارة الشؤون المحلية وتم تشكيل ميليشيات شعبية جرى تسليحها بالسلاح الذي استولوا عليه من المخازن والمستودعات العسكرية ازدهرت الحياة الثقافية وظهرت المطبوعات الكُردية بعد غياب دام ثلاثة عقود.

في ٣ اذار بعد ٣٢ سنة من العمل السري اعلن K.D.P الايراني الذي تأسس في مهاباد اعلن عن شرعيته بنفسه وسعى الى اعتراف السلطات الايرانية الجديدة بالحكم الذاتي المنشق الذي اقيم في كُردستان وبعد اسابيع قليلة حذا التركمان والعرب حذوهم حيث طالبوا بحكم ذاتي لهم ايضاً.

ايران التي كانت تعرف ببلاد فارس حتى ١٩٣٤ كانت امبراطورية متعددة الاجناس يسيطر عليها العنصر الفارسي الذي يمثل ٤٠٪ من مجموع سكان ايران. من ٣٦ مليون هنالك ١٣ مليون اذربيجاني و ٦

ملايين كُرد و ٢ مليون عرب وعدد اقل من البلوشي. ان سلالة البهلوي التي ترجع الى ١٩٢٦ عندما توج ضابط في الجيش هو رضا خان والد الشاه المعزول امبراطوراً على ايران. تبنى رضا خان سياسة «المركزية» في الحكم التي انطوت على توطين البدو بالقوة والسيطرة على الاقليات القومية.

في ٢٨ اذار ١٩٧٩ توجه وفد كُردي الى مدينة قم لتقديم مطالب الكُرد الى آية الله خميني الذي رد عليهم بأن طلب الحكم الذاتي غير مقبول، وفي الشهر الاخر حدثت مصادمات بين الحرس الثوري والمقاتلين الكُرد في مدينة نغدة. و حدثت مصادمات اخرى طوال فصل الصيف. في هذا الوقت نظم K.D.P نفسه ونسق نشاطه. لأول مرة كانت للكُرد قيادة عصرية. الاستفتاء على الجمهورية جرت مقاطعته في كُردستان حيث امتنع ٨٥-٩٠٪ من السكان من الادلاء بأصواتهم، في الوقت الذي كانت المفاوضات مع الحكومة تسير ببطء شديد دعا K.D.P الى مؤتمر لجميع القوميات المضطهدة في ايران ليعقد في ٢٥ أب ودعي اليه العرب والاذربيجانيون والبلوش ولكن في ١٧ آب وعلى حين غرة اخذ الخميني هذه الاقليات بأن اصدر اوامره الى الجيش بشن هجوم على مدن كُردستان. بعد مقاومة لا تذكر وخاصة في مهاباد تم الاستيلاء على المدن الكُردية الرئيسة وبحلول ٥ ايلول كانت جميعها في قبضة الجيش الايراني، بدأ الحرس الثوري حملة القمع وخاصة في سقز وقرنا غ وانسحبت القوات الكُردية الى الجبال بعد ان تكبدت في صفوفها خسائر طفيفة. اكتفى الجيش بالسيطرة على المدن و البلدات ومراكز الاتصالات . كان الجيش في واقع الامر منقسماً وغير متماسك. كان فيه مؤيدون للخميني وكذلك مناوئون له . استغل الكُرد هذا الضعف الذي اصاب

الجيش فقاموا بإحتلال جميع مدن كُردستان .

اكتنف نظام خميني المبني على المذهبية الشيعية الغموض فهو من جهة اسلامي ومن جهة اخرى هو فارسي امبراطوري. الى منتصف كانون الاول كان النظام يرفض باستمرار الاعتراف بمبدأ الحكم الذاتي للاقليات.

ولكن بعد منتصف الشهر قامت طهران التي كانت على علم بوجود حالة التوتر والاحتقان بنشر خطتها المكونة من ١٤ نقطة لمنح الحكم الذاتي المحدود للاقليات. كان هذا كما يبدو انتصاراً للكُرد والتركمان و البلوشي والعرب وان كان شيئاً وقتياً.

أما موقف الاذربيجانيين فقد كان يلفه بعض الغموض رغم ظهور بعض الميل لديهم نحو الحكم الذاتي.

ان خطة خميني ذات الاربع عشرة نقطة فقد كانت اقرب الى حكم محلي منها الى حكم ذاتي حقيقي. غير انها خطة قد تصلح للإنطلاق منها فالحقوق الثقافية للاقليات جرى الاعتراف بها بشكل واضح رغم ان الخطة لم تحتوي على مفهوم للحكم الذاتي الذي يمكن في نهاية المطاف ان يؤدي الى ظهور الفدرالية. المشروع لم يتطرق ايضاً الى مسألة حدود الاقاليم وبذلك فهو لم يحدد من سيتمتع بالحكم الذاتي ومن لا يتمتع به. الكُرد طالبوا بأربع محافظات هي كُردستان و اذربيجان الغربية وكرمنشاه و عيلام.

رفضت الحكومة هذا المقترح والانكى من ذلك انها عزمت على تقسيم محافظة كُردستان الى وحدتين اداريتين منفصلتين احداهما في مهاباد والاخرى في سنندج.

قد تكون هذه الخطة تنازلاً تكتيكياً من قبل الحكومة دون رغبة منها

وتكون قابلة للاقتطاع الى ان تصبح غير مقبولة من قبل الاقليات وخاصة من قبل الكُرد. في الحقيقة ان K.D.P قد اوجد دولة ضمن دولة وهذه حالة لن تقبل بها اية حكومة، ان مواجهة لجس النبض اصبحت امراً واقعاً.

انهار نظام الشاه لعدة اسباب وخاصة بسبب النمو الاقتصادي غير المتوازن بين ١٩٧٥ و ١٩٧٨ الذي وسع التناقضات بين شرائح المجتمع المختلفة. كان الشاه مصمماً على تنفيذ مشروعه في اقامة الحضارة العظيمة في سنوات قليلة - حضارة كان يريد ان يجعل بها من ايران خامس دولة صناعية وعسكرية في العالم . ولكن خطة تسريع النمو كان كارثياً. اخطأ الشاه في تقديراته لمصادر المال وطاقات البلاد التقنية والثقافية. على ضوء المستوى الجديد للسيولة النقدية بسبب واردات النفط في ١٩٧٤ جرت مراجعة الخطة الاقتصادية الخامسة وقرر رفع معدل النمو السنوي من ٤, ١١٪ الى ٢٥٪ . هبط معدل النمو بسبب تضخم بلغ ٣٥٪ من ١٩٧٥.

ان زيادة الواردات بنسبة ٤٠٪ احدث اختناقاً على كل المستويات ابتداءً من الموانىء. على الرغم من وجود عشرات الالوف من التقنيين الامريكيين فان النقص في الخبراء اصبح حاداً. المركزية ابرزت الخلل. المصروفات على التسلح اصبحت باهظة و مكلفة. ارتفع سعر ارض البناء في المدن الى عشرة اضعافه خلال ثلاث سنوات كان وقع الازمة شديداً على الريف الامر الذي تسبب في زيادة الهجرة الى المدينة رغم تدني مستوى المعيشة فيها. ان هذا التسريع في التطوير احدث خللاً في المجتمع وهمّش الجماهير المحرومة، هذه هي الاسباب الرئيسة لقيام الثورة. الدين الذي يصلح ان يستخدم كآيدولوجية للمقاومة ورمز للهوية

عبأ الجماهير التي عارضت عملية لم يكونوا هم طرفاً فيها.

ولكن التـأييـد الذي اعطي الى اية الله من قـبل الجـمـاهـيـر يـجب ان لايحجب الرؤية عن وجود طبقة وسطى فلاحية، سار الوضع الاقتصادي من سيء الى أسـوأ وفي ١٩٨٠ كان ٢٠٪ من القـوى العاملة تعـاني من البطالة.

اصبحت ايران تعيش وهـي في عزلة اقليمية عن جميع الدول العربية السنية والمحافظة في المنطقة و كانت تشعر بعدم الارتياح ازاءها كما تبين عند غـزو العـراق لإيران فـي ايلول ١٩٨٠ وابان حـرب الثـمـانـي سنوات. ايران الرازحة تحت وطأة مشاكلها العسكرية والاقتصادية لم تكن في وضع يمكنها من منح الاقليات حكماً ذاتياً وبذلك فلا عجب ان قامت طهران بسحق الحركة الكُردية مرة اخرى.

الفصل التاسع

حرب الخليج والكُرد على المسرح العالمي

١٩٧٩ - ١٩٩٢

للكُرد تعبير مشهور يقال عن الحدث الذي يتوقف فجأةً وبدون اي مبرر منطقي مفهوم. التعبير هذا هو «آش بطال» ويعني «الطاحونة توقفت». ومختصر القصة هو ان الطحان عندما يأخذ منه التعب مأخذاً كان يوقف الطاحونة ويخرج الى باب المطحنة و لخيبة القرويين الذين ينتظرون دورهم لطحن حبوبهم يصرخ بأعلى صوته «الطاحونة توقفت» هذا ما قيل عن اعلان القيادة الكُردية في وقف النضال المسلح عند ابرام اتفاقية الجزائر بين العراق وايران في ٦ آذار ١٩٧٥ دون اعطاء اي سبب منطقي،

كان رد فعل القيادة الكُردية والتي كانت تملك نحو ١٠٠,٠٠٠ مقاتل تجاه الاتفاقية العراقية- الايرانية شيئاً لم يسبق له مثيل في تأريخ النضال الكُردي حلت الحركة نفسها في غضون اسبوعين من الزمن بقرار من قيادتها بسبب تهديد ايراني - عراقي مشترك بالقضاء عليها ان هي رفضت وقف عملياتها العسكرية. كان وقع القرار اليماً على المقاتلين والمدنيين في المناطق المحررة وعلى عشرات الالوف من اللاجئين في ايران. غادر معظم المقاتلين والمدنيين المنضمين الى ثورة كُردستان واستغل قسم آخر العفو العام الصادر من مجلس قيادة الثورة. استثني من العفو كل من ملا مصطفى البارزاني ونجلاه مسعود وادريس والشيخ محمد خالد، اما بالنسبة للبارزاني فقد كان الموقف اكثر ايلاماً وابلغ

اثراً. بعد عودته من الجزائر رفض الشاه مقابلة البارزاني الذي كان ينتظره منذ السابع من آذار. تعمد الشاه تأخير اللقاء الى يوم الحادي عشر من آذار لأنه في مثل هذا اليوم وقبل خمس سنوات عقد البارزاني اتفاقية صلح مع صدام رغم إلحاح الشاه بعدم الاقدام على مثل هذه الخطوة.

اتفاقية ١١ آذار لسنة ١٩٧٠ اعطت الكُرد الحكم الذاتي واعترفت بهويتهم القومية وفتحت لهم جامعة في السليمانية و سمحت لهم بالتدريس باللغة الكُردية. ولكن في غضون السنوات الاربع الاولى من عمر الاتفاقية بدأت بغداد بتقليص التزاماتها بوتيرة متصاعدة. قانون الحكم الذاتي الذي اعلن في ١١ آذار سنة ١٩٧٤ اخضع جميع قرارات المجلس التشريعي للحكم الذاتي لموافقة بغداد وصار لزاماً على الكُرد قبول الدور الريادي لحزب البعث.

في وقت لاحق للقائه مع الشاه علقّ البارزاني على هذا اللقاء قائلاً انه وجد شيئاً جديداً في سلوك و محيا الشاه. بالاضافة الى الكبرياء الامبراطوري المعهود فيه كان هنالك انشراح ظاهر متكلفاً على محياه وذلك لتجريح شعور البارزاني.

في ١٣ آذار عاد البارزاني الى حاج عمران حيث مقر قيادته وكنت احد الحاضرين عند اجتماعه بأعضاء القيادة والقادة العسكريين. كان في نبرات صوته وهو يستعرض تأريخه البطولي ومآثره ما يوحي بالوداع. طلب من الحاضرين عدم الاستسلام لليأس واعاد الى اذهانهم انه بدأ الحركة ضد بغداد ومعه سبعة اشخاص ووعد بأن يستمر في خدمة الشعب الكُردي ولكنه قال انه اليوم رجل طاعن في السن انهكه المرض والتعب.

كانت هذه في الحقيقة نهاية القائد الرمز الاسطورة الذي ستوافيه المنية بعد فترة بسبب السرطان.

في آذار ١٩٧٦ غادر البارزاني ايران حيث كان يقيم منذ انهيار الحركة الكُردية طلباً للمعالجة من السرطان في الولايات المتحدة حيث وافته المنية في احدى مستشفياتها في ١٩٧٩.

كانت الهزيمة من الضخامة بدرجة لم يتوقع معها حتى المتفائلون من الكُرد قدرة الحركة على استعادة قواها في فترة قصيرة. كان من بين المثقفين والنشطاء الكُرد العائدين من يرى عدم جدوى الكفاح المسلح وان لا مندوحة من قبول الوضع القائم والتعايش مع السلطة في بغداد. لقد برهن اتفاق العراق وايران ان الاول مستعد لدفع اي ثمن الى ايران مقابل تخليها عن مساندة الكُرد في العراق. بدأ المثقفون بدراسة الوضع ، ووضع ستراتيجية العمل بعد هزيمة اذار ١٩٧٥.

كانت هنالك دعوات لتشكيل جبهة كُردية موحدة لكل كُردستان تمنع عقد صفقات بين كُرد العراق ودول المنطقة التي تضطهد الكُرد وكان هنالك رأي أخر يدعو الى ربط الحركة الكُردية بقوة بالقضية العراقية والعمل مع العراقيين المعارضين لنظام البعث. وجادل البعض الآخر انه كان الأجدر بالقيادة الكُردية تجنب الصراع المسلح في اذار ١٩٧٤ والقبول بشروط البعث لتطبيق اتفاقية ١١ آذار لسنة ١٩٧٠ وذهب البعض الى ابعد من ذلك عندما قالوا أنه كان يجب الاعتراف بحزب البعث كحزب قائد لجميع العراقيين له الحق لوحده بالتنظيم في صفوف القوات المسلحة واجهزة الامن. وحدث خلاف ايضاً حول ترسيم حدود الاقليم وحول مطلب القيادة بشمول المناطق المعروفة تقليدياً بأنها كُردية والواقعة في المحافظات الشمالية ومن بينها الموصل وكركوك.

تبخرت الآمال في التعايش السلمي بسبب ممارسات السلطة الرهيبة التي ادخلت الرعب في نفوس الكُرد واصبحت احداث السبعينيات لاشيء اذا ما قورنت بتلك التي وقعت في الثمانينيات.

بعد انقضاء اسابيع قليلة على العفو العام الذي اصدره صدام و عودة الكثيرين الى بيوتهم بدأت حملات ترحيل الكُرد الى جنوب العراق و وسطه وبلغ عـــدد من رُحل ١٢٠,٠٠٠ الى ٣٠٠,٠٠٠ كُــردي وبقي معظمهم في المنفى لأكثر من سنة قبل السماح لهم بالعودة الى مناطقهم. كانت الحكومة تزودهم بالمؤن وشجعت الزواج بين الكُرد والعرب واعطت منحاً لغرض دمج الكُرد في المجتمع العربي.

فقدت منطقة الحكم الذاتي كركوك بأكملها وعدة مئات من القرى الحدودية التي دمرت وتم ترحيل سكانها البالغ عددهم ٧٥٠,٠٠٠ الى مجمعات سكنية بنيت خصيصاً لهم. جلبت الحكومة العائلات العربية واسكنتهم في قرى كُردية.

كانت تبريراتهم لهذه الاجراءات هي ان الامن الستراتيجي يتطلب ذلك. لم يكن الأمن الستراتيجي يتعلق بقرى الحدود فقط بل امتد ليشمل مناطق إنتاج النفط ايضاً.

الترحيل وإقامة قرى جديدة والتعويضات الى المرحلين كلف الدولة مئات الملايين من الدنانير، بعد ١٩٧٥ . ان الخسارة التي لحقت بالمنطقة من جراء تدمير الهيكل الاقتصادي والبنية التحتية بلغت مليارات الدولارات.

الحل النهائي للمشكلة الكُردية ضمن اطار الامن الستراتيجي تضمن ازالة التهديد الكُردي المحتمل دائماً لمستقبل العراق وذلك بحرمان الكُرد من عمق ستراتيجي وذلك بتدمير قاعدة هذا التهديد في الريف ومنع اي

إتصال بينهم وبين كُرد تركيا وايران وسوريا وفرضية البعث هي ان الكُرد لا يمكن الوثوق بهم وانهم اعداء محتملون للعراق. وهذا يفسر سبب اتهام الكُرد بأنهم ادوات في ايدي الاجنبي ويمكن استخدامهم ضد مصالح العراق والشعوب العربية.

كل هذا مضافاً اليه ملاحقة المناضلين الكُرد و خاصة المعلمين والطلبة وسجنهم وتعذيبهم وقتلهم يفسر اسباب تجدد المقاومة المسلحة ولو على نطاق ضيق في البداية. في الحقيقة بدأت الاحزاب بتنظيم نفسها بعد اشهر من انهيار الحركة وبدأ العمل المسلح في حزيران من تلك السنة من قبل مجاميع صغيرة تسللت من ايران وسورية.

ظاهرياً بدأت ايران تطبيع علاقاتها مع العراق وكانت مع سوريا و تركيا تغض الطرف عن عمليات التسلل عبر الحدود. ان جارات العراق وكما يبدو كانت قلقة من تزايد قوة العراق على كل حال حافظت ايران وسوريا على علاقات جيدة بشكل او بآخر مع المعارضة العراقية. كانت علاقات K.D.P العراقي في هذا الوقت اقوى مع ايران بينما كان الاتحاد الوطني في طريقه لعقد روابط مع سوريا. كما ان الكُرد العراقيين حافظوا على اتصالاتهم السرية مع التنظيمات الكُردية في ايران وتركيا للحصول على دعمهم في اقامة قواعد لهم للعمل العسكري والسياسي ضد النظام العراقي.

في هذا الوقت بدأت المقاومة الداخلية بشكل سري في المدن. وجاء التطور الحاسم منتصف ١٩٧٦ عندما انشق ٣ قادة كانوا قد عينوا في مناصب ادارية في الجنوب وهربوا الى الشمال ومعهم حوالي ٢٠٠ مقاتل احد هؤلاء كان عمر مصطفى وهو احد مؤسسي P.U.K واصبح عضواً في المكتب السياسي و مات في اربيل اثناء انعقاد مؤتمر الاتحاد

الوطني في ١٩٩٢. اما الاخر فهو علي عسكري وهو قائد بيشمركة ساند جلال الطالباني في خلافه مع البارزاني عام ١٩٦٦. اما الثالث فهو مامند رسول مؤسس الحركة الديمقراطية الاشتراكية التي كانت احد التنظيمين الرئيسين المنظوين تحت لواء الاتحاد الوطني الكُردستاني. قتل علي عسكري ومعه خالد سعيد الذي هو ايضاً من مؤسسي الحركة الديمقراطية الاشتراكية على ايدي قوات موالية للحزب الديمقراطي الكُردستاني.

تأسيس الاحزاب

ان الفراغ السياسي الذي حصل نتيجة لإنهيار الحركة الكُردية في ١٩٧٥ وبعد الانهيار وفاة قائد الحركة ملا مصطفى البارزاني، أدى الى صراع عنيف بين الاحزاب والحركات والشخصيات القيادية في كُردستان وحتى داخل K.D.P ظهرت تيارات مناوئة لقيادة البارزاني وعائلته. كان K.D.P القائد المعترف به للحركة الكُردية للفترة من ١١ آذار ١٩٧٠ والى انهيار الحركة في ١٩٧٥. ادى الصراع الداخلي الى تشكيل القيادة المؤقتة بقيادة مسعود البارزاني ومع سامي عبدالرحمن سكرتيراً له واستمر هذا التنظيم الى ١٩٧٩ عندما عقد الحزب مؤتمره التاسع لينشق عليه سامي عبدالرحمن ليؤسس حزب الشعب الديمقراطي الكُردستاني. اما بالنسبة الى K.D.P فقد اختار مسعود البارزاني زعيماً له و بقي شقيقه ادريس عضواً في المكتب السياسي واعتبر الرجل الاقوى في الحزب الى ان وافته المنية في ١٩٨٧.

في اوائل ١٩٧٦ شكل الدكتور محمود عثمان حزباً باسم الحزب الديمقراطي الكُردستاني - اللجنة التحضيرية- وكان في وقته عضواً في المكتب السياسي لـ K.D.P ايام مصطفى البارزاني ومستشاره في العلاقات الخارجية. زار الولايات المتحدة بصحبة ادريس البارزاني في ١٩٧٣ لعقد اول إرتباط بأمريكا من خلال CIA المخابرات المركزية انتقل محمود عثمان الى سوريا بعد تشكيل تنظيمه اللجنة التحضيرية وانضم اليه اخرون ومن هؤلاء قادر جباري و شمس الدين المفتي واستمر في

قيادة التنظيم الى ١٩٧٩ عندما قام ومع مامند رسول واخرين انشقوا على الحركة الديمقراطية الاشتراكية التي هي احدى تشيكلات P.U.K بتأسيس الحزب الاشتراكي الكُردستاني الذي اصبح احد اطراف الجبهة الكُردستانية.

الحزب الشيوعي في العراق هو اقدم الاحزاب العراقية حيث تأسس عام١٩٣٤ وكان فرعه في كُردستان نشطاً في الحركة الكُردية منذ الستينيات . ولكنه في ١٩٧٤ اصبح عضواً في الجبهة الوطنية التقدمية التي شكلها البعث وقادها وقامت تشكيلاته المسلحة بمقاتلة الحركة الكُردية في تلك السنة. واستمر الحزب في دعم الحكومة الى ١٩٧٨ عندما شن البعث حملة رهيبة ضد الشيوعيين في محاولة لتصفيتهم. وجاءت القطيعة في ١٩٧٩ وعاود نشاطه المسلح في صفوف الحركة الكُردية.

تميزت الفترة التي تلت هزيمة ١٩٧٥ بسيطرة الافكار اليسارية وخاصة الماركسية والماوية. ثم تأسيس عدد من الحركات والتنظيمات اليسارية مثل حزب العمال الكُردستاني. من قبل ابراهيم خليل وكانت افكاره جذابة عند الشباب الذين انضموا إليه بأعداد غفيرة، قاد الحزب عمليات سرية في مدن وبلدات كُردستان وشنت القوات الامنية حرباً شعواء ضدهم، تم القاء القبض على شهاب نوري احد قادة الحزب واعدم في ١٩٧٦ وجرى اعتقال مؤسس الحزب نفسه و انهار اثناء التحقيق معه وكشف عن تشكيلات وتنظيمات الحزب الأر الذي ساعد الحكومة على سحق الحزب تماماً.

اصعب ولادة الاحزاب كانت ولادة P.U.K، عندما انهارت الحركة الكُردية كان جلال الطالباني ممثلاً للبارزاني في سوريا.

إلتـأم شمل الاثنين (البـارزاني و جـلال) منذ اتفـاقيـة ١١ آذار ١٩٧٠، عاد الطالباني الى مقر البارزاني في حاج عمران. قرر الزعيم الكُردي ان يصفح عن «ابنه» حيث كان البارزاني دائماً يعامل ويخاطب جلال بهذا الاسم. عفا البارزاني عن جلال بعد ان انشق عليه في ١٩٦٦ وبعد ان اسس حزباً ديمقراطياً كُردستانياً بديلاً عن K.D.P وانضم الى الحكومة في مقاتلة البارزاني.

ان الصـراع الذي ادى الى الانشـقـاق بدأ في ١٩٦٤ عندمـا اتهم البارزاني بالاستبدادية والنزعة العشائرية في الحزب. وبعد مكوث قصير في حاج عمران غادر الطالباني الى بيروت حيث عقد علاقات مع بعض المنظمات الفلسطينية ليستقربه المقام في اخر المطاف في دمشق ممثلاً للبارزاني.

بعيد انهيار الحركة في ١٩٧٥ جرت محاولات لتوحيد جماعتين كُرديتين وهما رابطة عمال كُردستان والحركة الديمقراطية الاشتراكية وتوجت المحـاولات بميـلاد الاتحـاد الوطني الكُردسـتـاني P.U.K. كـان هنالك الطالباني ونوشيروان مصطفى وشهاب نوري و شاسوار جلال (مات في معركة) وكان عضـواً مؤسسـاً للرابطة العمـالية. من بين قادة الحـركة الديمقراطية الاشتراكية كان هناك علي عسكري وخـالد سعيد وعمر مصطفى ومامند رسول ووقع الاختيار على جلال الطالباني ليقود التنظيم الجديد P.U.K و قدم استقالته من رابطة العمال للبرهان على حياديته. وبسبب شخصيته الجذابة فقد انضم الكثيرون من خارج التنظيمين الى الحزب.

اعتبر المراقبون الكُرد ان تجربة P.U.K قد تمت على غرار النموذج الفلسطيني في منظمة التحرير الفلسطينية والتي خرجت في هذه الفترة

كقوة مقاتلة يحسب لها الحساب في الشرق الاوسط. عقد الطالباني علاقة مع بعض القادة الفلسطينيين من امثال جورج حبش من الجبهة الشعبية و نايف حواتمة من الجبهة الديمقراطية وعمل لبعض الوقت في جريدة الهدف لسان حال الجبهة الشعبية. وفي نفس الوقت انضم عدد من المقاتلين الكُرد اليساريين الى هذين التنظيمين الفلسطينيين لتأمين مصدر للسلاح والاتصال بالسوريين، ومن مساوىء هذا التقارب هو ان التوتر في العلاقة بين السوريين والفلسطينيين انعكس على العلاقة بين الكُرد والسوريين.

كانت فترة ما بين ١٩٧٥ و ١٩٧٦ فترة إقامة او إعادة تنظيم الأحزاب والحركات والتنظيمات الكُردية بدأ الكفاح المسلح نهاية هذه الفترة وشنت العمليات من قبل K.D.P و P.U.K في وقت واحد. كانت الظروف في غاية القسوة والخطورة بالنسبة للمجموعات المسلحة الصغيرة العدد التي كانت تتسلل عبر الحدود من سوريا وايران وكان عليهم في بعض الاوقات دخول الاراضي التركية المعادية قبل الوصول الى العراق. رغم محدودية نشاط هذه المجموعات فانها ساعدت على رفع معنويات الناس في وجه الارهاب المستمر والترحيل والتعريب.

وهنا يجدر بنا التنويه انه ومنذ بداية الحركة الكُردية المسلحة في ١٩٦١ لم يكن من السهل التمييز بين الأوجه العسكرية والتنظيمية لهذه التنظيمات المتعددة. و لا اظنني ابالغ اذا قلت ان جميع الحركات الكُردية باستثناء K.D.P الذي تأسس في ١٩٤٦ (المؤلف يذكر ١٩٤٥) ولدت في ارض المعركة وساحات النضال.

تدهورت الأمور بسبب القتال بين الأحزاب بعد رحيل البارزاني القائد التاريخي للحركة الكُردية. القتال المحدود ضد الحكومة قابله قتال داخلي بين الكُرد انفسهم .

استمر هذا الوضع الى ١٩٧٨ التي جلبت معها مرحلة جديدة للحركة الكُردية في العراق حيث لعبت العوامل الخارجية دوراً اكبر. ومع ان العمل المسلح لم يشكل اية خطورة على الحكومة فان محاولتين لاجراء المفاوضات جرت في ١٩٧٨ و ١٩٧٩ الاولى مع K.D.P – اللجنة التحضيرية – والثانية مع P.U.K، كلتا المحاولتين باءتا بالفشل نظراً لأصرار الحكومة على الاستسلام الكامل للاطراف الكُردية علماً ان الكُرد لم يطالبوا بأكثر من وقف الترحيل والتعريب والاعتقال الكيفي ومطالب حول قانون الحكم الذاتي.

الحرب الايرانية - العراقية

ان نشوب الحرب بين العراق وايران هيأ للكفاح المسلح الكُردي فرصة للتوسع كثيراً حيث اصبح لزاماً على بغداد سحب قسم كبير من قواته من الشمال لدعم الجبهتين الوسطى والجنوبية مع ايران.

بالاضافة الى مئات البشمركة الذين بقوا في الخارج مع قيادتهم بعد هزيمة ١٩٧٥ وعادوا بعد فترة ليحاربوا ضد بغداد فقد كان هناك الالوف من سكان المجمعات السكنية الجديدة الذين التجأوا الى الجبال. الكُرد كرهوا العيش في مثل هذه القرى الجديدة التي كانت لهم بمثابة معسكرات اعتقال.

كان التوتر شديداً بين الحركة الكُردية في الفترة بين ١٩٧٩ و ١٩٨٠ الى درجة جرى تقسيم كُردستان الى قسمين. احدهما بهدينان و يشكل القسم الشمالي والشمالي الغربي من كُردستان العراق وسيطر عليه K.D.P، الثاني هو سوران ويشكل القسم الشرقي والجنوبي من كُردستان العراق وسيطر عليه P.U.K، وكل طرف دافع عن قاطعه دفاعاً مستميتاً في وجه الطرف الاخر وكانت تجري مصادمات كلما تجرأ طرف على خرق حدود الطرف الاخر حتى وان كانت الغاية في هذا الخرق الحدودي تنفيذ عملية ضد قوات بغداد.

كان نطاق المواجهة محدوداً في البداية بسبب محدودية الطاقة القتالية للمتخاصمين، ولكن مع استمرار الحرب بين العراق وايران نمت وتطورت الطاقات القتالية لدى الاطراف المتخاصمة وبدأت الاحزاب الكُردية

تؤسس جيوشاً في البشمركة واشتد القتال بينها ضراوة يوماً بعد يوم و تزايدت معها مخاوف القيادات من هذا التصعيد الخطير. وفي اوائل الثمانينيات تم التوصل الى اتفاق بين K.D.P و الحزب الشيوعي العراقي والاشتراكي الكُردي واحزاب عراقية اخرى لتشكيل جبهة ديمقراطية وطنية، ولكن الاهم من ذلك هو عقد اجتماع في صيف ١٩٨٢ في بشت آشان بين K.D.P و P.U.K بالقرب من حاج عمران. مثل P.U.K فريدون عبدالقادر ومن K.D.P ملا محمد لاجاني. تم التوقيع على اتفاقية بينهما و الغي بموجبها كل حق للسيطرة على منطقة و اصبحت كُردستان مفتوحة امام جميع المجموعات المقاتلة بغض النظر عن الحزب الذي تنتمي اليه المجموعة ولكن القيادات فشلت فيما بينها في تشكيل قيادة عسكرية مشتركة.

حاولت كل من سوريا وليبيا تقريب وجهات النظر بين الاطراف العراقية المختلفة. في ٦ شباط ١٩٨٣ وقع ١٩ حزباً وتنظيماً عراقياً اعلان طرابلس تعهدوا فيه العمل بهمة في جهة موحدة غايتها تدمير البعث واقامة حكومة شعبية ديمقراطية محل حكم البعث.

واحتوى الاعلان بنداً يدعو الى منح كُردستان الحكم الذاتي مع ضمان حقوق التركمان والاقليات في الاقليم. وطالب البيان بضرورة وقف حملات الدعاية والخلافات والمصادمات بين الاطراف الموقعة على الاعلان.

جرى عقد الاجتماع برئاسة عبدالسلام جلود الرجل الثاني بعد القذافي في القيادة وحضره ايضاً محمد حيدر عضو القيادة القومية لحزب البعث السوري وقادة فلسطينيون. اما المجموعات العراقية التسع عشرة فقد ضمت K.D.P و P.U.K والحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الشعبي الكُردستاني والتنظيم التركماني الوطني

الديمقراطي غير ان الاحتفال المهيب والتعهدات المقطوعة لم تدم طويلاً حيث استؤنفت حملة الاتهامات والاتهامات المضادة بعد فترة وجيزة من انفضاض المؤتمر.

سبب الخلاف بين اطراف المعارضة كان ولا يزال هو اختلافها الايدولوجي والديني والقومي توزعت المعارضة على اربع كتل هي الشيعة والكُرد والقوميون العرب الموالون لسوريا والناصريون والشيوعيون. المجموعة الاخيرة هي الوحيدة التي اعترفت بالحقوق القومية للكُرد بما فيها حق تقرير المصير.

اما في كُردستان فقد بدأت الاحزاب بالتحرك وبلغت الأزمة الذروة عندما شنت الجبهة الديمقراطية المؤلفة من K.D.P و I.C.P والحزب الاشتراكي الكُردي هجوماً على مواقع P.U.K في منطقة باليسان ، رد P.U.K بهجوم مضاد على مواقع الحزب الشيوعي و K.D.P في بشت آشان و كاماكو وعلى مواقع الحزب الاشتراكي في اش كولكه لحقت بالشيوعيين خسائر جسيمة بلغت حوالي ١٠٠ قتيل وتم اسر قياديين فيه مع تدمير مقراته واذاعته.

تم ارسال كريم احمد عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي على عجل للاجتماع مع جلال الطالباني الذي يكن للأول احتراماً خاصاً حيث انه كان معلمه في كويسنجق في الخمسينيات اصدر الاثنان بياناً في الخامس من نيسان موجهاً الى طرفي النزاع طالباً وقف الاعمال العدائية في الحال مع دعوة الى الحوار لتوحيد الصفوف والجهود لمحاربة الدكتاتورية وعمل تحالف وطني ديمقراطي قادر على تحقيق الاستقلال للعراق والحكم الذاتي الحقيقي للكُرد. وانتهت الاحداث هذه بازالة كل وجود للجبهة الوطنية في منطقة نفوذ P.U.K، غير ان حملات الدعاية بين

الطرفين لم تتوقف و تصاعدت في ١٩٨٣ و ١٩٨٤ كل طرف يتهم الاخر بالخيانة والعمالة للبعثيين و للأجنبي.

على الرغم من القتال الداخلي شدد كل من K.D.P و P.U.K من ضغطهما على القوات الحكومية وتطورت قدراتهما العسكرية الى درجة ان بعض مناطق عملياتهما اصبحت مناطق محررة واصبح بإمكان مجموعات صغيرة تنفيذ عمليات خاطفة في المدن والبلدات واضطرت الحكومة في اوقات كثيرة الى سحب بعض القوات من الجبهة مع ايران لمواجهة الخطر الكُردي المتزايد.

في الفترة بين ١٩٨٣ و ١٩٨٤ شهدت كُردستان نمو الظاهرة التي طالما رافقت الصراع الكُردي مع الحكومات المركزية في العراق، انها ظاهرة المركزية في المجتمع الكُردي.

ان عملية تجنيد المرتزقة المعروفين باسم الفرسان من قبل الحكومة و بالجحوش من قبل الكُرد اتسعت بشكل كبير بسبب ضغوطات الحرب مع ايران. لعب رؤساء العشائر الكُردية دوراً في احتواء هجمات البشمركة لقاء الحصول على المال والسلاح والامتيازات من الحكومة. ان محاولات تدمير اقتصاد ريف كُردستان و الحياة الاجتماعية فيها من خلال طرد السكان وتدمير القرى وصلت مستويات جديدة. المناطق التي لم تكن اهدافاً مباشرة للهجوم حرمت من كافة الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية لإجبار سكانها على تركها والنزوح الى المدن وخير مثال على ذلك غلق ٧٤٨ مدرسة ابتدائية في عام ١٩٨٥ في دهوك واربيل و السليمانية وحرم نتيجة ذلك ١٥.٠٠٠ تلميذ من تلقي التعليم. والتبرير الذي اعطي لغلقها انها تقع في مناطق امنية حساسة لايمكن للسلطات التعليمية العمل فيها ومنع اولياء الطلاب من تسجيل أولادهم في بلدات وقرى مجاورة.

في ١٩٨٣ حدث شيء ينبىء بحدوث امور مرعبة تم اعتقال ٨٠٠٠ شخص من البارزانيين بين الاعمار ١٢-٨٠ واخذوا الى جهة مجهولة وكان هؤلاء البارزانيون يقيمون في مجمع قوش تبه على مسافة ٦ اميال جنوب اربيل. قامت وحدة من الحرس الجمهوري بتطويق المجمع ليلاً واعتقلوا جميع الذكور بين ١٢-٨٠ سنة ولازال مصير المعتقلين مجهولاً وكان جواب الحكومة غير مرضي عن مصيرهم في المفاوضات التي جرت في اعقاب انتهاء حرب الخليج ويسود الاعتقاد بأنهم جميعاً أُعدموا.

الجبهة الكُردستانية

ان الضغط العسكري الايراني على بغداد في اوائل ١٩٨٤ جعل النظام يعرض المفاوضات على P.U.K الذي اصبح في هذا الوقت قوة قتالية مرعبة. استمرت المحادثات لمدة سنة تقريباً ولكنها انتهت بالفشل. دفع هذا الحدث الى قيام حوار معقد وشاق بين الكُرد انفسهم وتوج الحوار في نهاية الامر بميلاد الجبهة الكُردستانية في ١٩٨٧.

ويعود سبب الاتصالات بين جلال الطالباني وبغداد الى صداقة الاول مع عبدالرحمن قاسملو رئيس الحزب الديمقراطي الكُردستاني الايراني وأحد المساهمين في اخراج هذا الكتاب. كان قاسملو حليفاً للعراق في الحرب ضد ايران وجرت اولى اللقاءات في ١٩٨٤ في ١٩٨٩ اراد الطالباني رد الجميل الى قاسملو ولكن النتيجة كانت مأساوية. نظمت اللقاءات بين قاسملو والايرانيين في فينا وانتهت باغتيال قاسملو على ايدي عملاء ايرانيين.

ان بداية المفاوضات بين الطالباني وبغداد شهدت تصعيداً في الحرب الكلامية بين الطرفين الكُرديين الرئيسيين P.U.K والجبهة الوطنية

والديمقراطية التي تضم K.D.P و I.C.P والحزب الاشتراكي الكُردستاني بعد بدء المفاوضات باسبوعين عاد الطالباني الى مقره لشرح موقفه والدفاع عنه أمام زملائه. وفي لقاء له مع بعض المثقفين طرح السؤال: أليس من الأفضل ان تبدأ المصالحة داخل البيت الكُردي بين P.U.K و K.D.P قبل الدخول في صلح مع بغداد ؟ كان هذا مدخلاً الى المفاوضات الداخلية التي لعب الحزب الشيوعي دوراً فعالا فيها. استمرت الهجمات على P.U.K وطالبت الجبهة الوطنية والديمقراطية بوقف المفاوضات مع بغداد. لم تتوقف المفاوضات الكُردية - الكُردية.

في هذا الوقت عقد جلال الطالباني اتصالات سرية مع علي اكبر هاشمي رفسنجاني رئيس البرلمان الايراني والذي اصبح بعد ذلك رئيساً للجمهورية . شرح الطالباني للإيرانيين الأسباب التي جعلته يتفاوض مع بغداد واخبرهم بأنه يريد حلاً للمسألة الكُردية في غياب البعث ولكن الحركة الكُردية غير قادرة على الاطاحة به لعدم امتلاكها الوسائل الضرورية لذلك.

وهكذا وجد الطالباني نفسه يتفاوض على ثلاثة محاور في وقت واحد. مع بغداد وطهران ومع الكُرد وفشل المفاوضات مع بغداد اعطى زخماً للمفاوضات مع الطرفين الاخرين الكُردي والايراني الى درجة انه في ١٩٨٦ وبعد وصول وفد ممثل K.D.P و I.C.P والحزب الاشتراكي الى مقر الاتحاد في باخسمار انتهى اللقاء بصدور بيان يدعو الى الوحدة ضد نظام البعث في بغداد.

اما عن المفاوضات مع الجانب الايراني فقد كانت من نتائجها الاولى الهجوم الجرىء الذي قام به P.U.K في تشرين الاول عندما قام بقصف المنشآت النفطية في كركوك بالمدفعية التي زودته بها ايران. بعد سنوات

طويلة من محاولاتها الحثيثة لبث الفرقة بين الاطراف الكُردية بدأت ايران تعمل بحماس لتحقيق الوحدة بينها وربما الباعث على قيامها بذلك هو شعور طهران ان الحرب تسير في غير صالحها مع العراق وكانت تأمل في ان جبهه كُردية موحدة وقوية ستجعل بغداد تسحب بعض قواتها في جبهات الوسط والجنوب لمواجهة الضغط الكُردي في الشمال لهذا السبب اعطت ايران الكُرد حرية اكثر للتحرك عبر الحدود واقامة قواعد قريبة من الحدود.

وصلت العلاقات الايرانية الكُردية ذروتها عندما دعا رفسنجاني كلاً من جلال الطالباني وادريس البارزاني الى لقائه في طهران حيث اخبرهما ان الوحدة الكُردية تعني مزيداً من الدعم من ايران وبعد فترة قصيرة من اللقاء توفي ادريس البارزاني وكانت وفاته ضربة مؤلمة لشقيقه مسعود البارزاني ولكنها تركته زعيماً لـ K.D.P بدون منازع.

وفي ٧ مايس ١٩٨٧ اعلن رسمياً عن قيام الجبهة الكُردستانية بهدف تصعيد الكفاح وزيادة المقاومة ضد حرب الإبادة التي يشنها النظام العراقي على الكُرد. وشكلت قيادة مشتركة للإشراف على مجمل الانشطة العسكرية السياسية و طالبت الجبهة من بغداد الاعتراف بحقوق الكُرد القومية داخل العراق.

وقعت ستة احزاب على البيان وهي K.D.P و P.U.K و I.C.P والحزب الاشتراكي الكُردي وحزب الشعب الديمقراطي الكُردستاني وحزب كُردستان الاشتراكي وانضم اليها بعد ذلك حزب كادحي كُردستان والاتحاد الاشوري.

الاسلحة الكيماوية والانفال

في المراحل الاخيرة للحرب مع ايران اظهر العراق تفوقاً عسكرياً بحيث انه وجد نفسه قادراً على زيادة قواته في الشمال وان يُصعّد من حربه ضد الكُرد وابتداء من ربيع ١٩٨٧ عمد العراق الى استخدام السلاح الكيماوي بدون تمييز بين المقاتلين والمدنيين في القرى والبلدات الكُردية تقول المصادر الكُردية ان النظام لجأ الى استخدام السلاح الكيماوي في منتصف نيسان ١٩٨٧. ولكن وردت تقارير اخرى بأن اول تأريخ لاستعمالها يعود الى السنة السابقة عندما قامت المدفعية بقصف منطقة قريبة من ياكاشامر دون ان يوقع اصابات.

على كل حال هنالك اتفاق على ان اولى الهجمات بالغازات الكيماوية حدثت في ١٥ نيسان ١٩٨٧ عندما قامت الطائرات وفي يوم واحد بإستعمال ما وصفه الكُرد بقنابل غير معروفة لديهم على قرى هلاويين وبركلو وسيروان و اوزك ونوجيكا وجنارة وكاني تو ولوتار وسيدار واوجه وجلوله وسركلو وجميعها قرى في السليمانية ومع نهاية الشهر تكون ٣٠ قرية بالاضافة الى مواقع للبشمركة قد تعرضت لمثل هذه الهجمات وعند منتصف السنة اصبح إستخدامها روتيناً يومياً.

في المرحلة الاولى لإستعمالها والى بدء عمليات الانفال السيئة الصيت في شباط من السنة المقبلة كان غاز الخردل هو العنصر الشائع ومع بدء عمليات الانفال بين شهري شباط وتشرين الاول ١٩٨٨ اضيف اليه عنصر اخر هو غاز الاعصاب . انفال كلمة عربية تعني غنائم المعركة وهي اسم لسورة في القرآن تبين قواعد الحرب وحق الانتصار. اما بالنسبة للبعث فقد كانت عنواناً وشاهداً على تدمير كُردستان بدون رحمة. نفذت الحملة على اربع مراحل .الاولى بدأت في شباط ١٩٨٨

واستمرت الى اذار. اماالمرحلة الثانية منها فقد بدأت في نيسان الى شهر مايس والثالثة من مايس الى آب والرابعة من آب الى ايلول . شملت الحملة غارات جوية اعقبتها هجمات برية دمرت خلالها القرى والاراضي الزراعية . وفي الايام الاولى للحملة وعلى وجه التحديد في ١٦ اذار ١٩٨٨ اخذت حلبجة مكانها في التأريخ المأساوي للكُرد عندما خلّف هجوم بالغازات عليها ٥٠٠٠ شهيداً.

وفي المراحل الاخيرة منها اخذت الحملة ابعاداً خطيرة ورهيبة حيث أنها وصلت مستوى الابادة الجماعية، استهدفت الهجمات منطقة بهدينان حيث قتل الالاف من المدنيين وتم تشريد عشرات آلافآخرين. تم تعذيب وقتل الكثيرين في معسكرات الاعتقال ونجح نحو ٦٠,٠٠٠ منهم في الفرار الى تركيا - وبقي نصف هؤلاء هناك الى ١٩٩٢، تبادلت بغداد وطهران التهم حول مسؤولية ما حصل في حلبجة، قالت ايران ان صدام عاقب اهل المدينة لأنهم ابتهجوا لقدوم الايرانيين اليها، اما بغداد فانها قالت بأن الايرانين قاموا بقصفها تمهيداً للاستيلاء عليها.

اما الرواية الامريكية فانها تقول ان الطرفين استخدما السلاح الكيماوي ضدها، ولكن يبقى شيء واحد مؤكداً وهو ان حلبجة قصف بالغازات وان الضحايا هم كُرد، اما القيادة الكُردية فكانت عاجزة عن القيام بأي شيء لمنع الهجوم وأنها أرسلت نداءات يومية الى الأمم المتحدة والى الرأي العام الدولي والقوى المؤثرة دولياً ولكن لخيبتهم لم يحرك العالم ساكناً ولم يستنكر هذا العمل الوحشي أي أحد باستثناء تحركات محدودة نبيلة من قبل مجموعات حقوق الانسان العالمية. وصحفيون اصدقاء للكُرد حاولوا ايقاظ الانتباه العالمي الى المأساة. ولكن القوى الاقليمية والعالمية كانت منشغلة في كيفية الانتفاع من

الظرف الجديد بعد ان خرج صدام زعيماً منتصراً.

كان الوضع في كُردستان ميؤوساً منه لا تنفع معه مقاومة مسلحة او غير مسحلة، وعند نهاية ١٩٨٨ اضطرت القيادة الكُردية ومعها البشمركة الى ترك المنطقة وعبور الحدود الى ايران وسوريا وبذلك استطاع النظام المضي في مخططاته الامنية الستراتيجية بكل يسر في المناطق الحدودية.

المنفى

كانت الايام الاولى للجبهة الكُردستانية في المنفى فرصة للتأمل والمراجعة. في التاريخ الذي هو سلسلة من المآسي فان تجربة ١٩٨٧-١٩٨٨ هي الأمرّ والأسوأ على الاطلاق. لقد دأب مصطفى البارزاني على القول بأن الجبل هو الصديق الوحيد للكُرد الذي يلوذون به، الآن ادرك الكُرد بأن صديقهم الجبل لم يعد قادراً على حمايتهم في وجه السلاح الكيماوي وان لاشيء ينفع مع الحرب الكيماوية، لقد علمهم التاريخ انه يعيد نفسه في سلسلة من الكوارث ان ما حدث للحركة الكُردية في خريف ١٩٨٨ هو بشكل او بأخر نسخة لما حدث لها في ربيع ١٩٧٥ في كلتا المرتين رسم مصير الكُرد بإتفاقية بين ايران والعراق.

علينا ان نعرف ايضاً ان البارزاني وثق بوعود امريكا في دعم الكُرد ضد بغداد وكان هذا عاملاً مهما في رفض الكُرد لقانون الحكم الذاتي والى اندلاع الحرب في ١٩٧٤ وانهيار الحركة في ١٩٧٥.

ويقول قادة كُرد عملوا بشكل وثيق مع البارزاني ان الامريكيين كانوا في جلسات خاصة يعطون وعوداً بتقديم المساعدة لايجاد حل فدرالي لنزاعهم الطويل مع بغداد تلاشت هذه الامال عندما اتضح ان هدف

امريكا من هذه السياسة التي خطط لها كيسنجر هو استخدام الكُرد كورقة ضغط ضد بغداد لقبول مطالب ايران و لإبعادها عن الاتحاد السوفيتي.

ولكن لايمكن تبرئة القيادة الكُردية بشكل تام مما حدث من المآسي. صحيح ان الحاجة الى تأييد اقليمي ودولي هي التي دفعت بالكُرد الى مصيرهم ولكن يجب ان نعرف ان القيادة في كلتا المرتين فشلت في فهم تطور المواقف والاحداث وتبعاً لذلك ارتكبت اخطاءً جسيمة.

عرف البارزاني قبل ربيع ١٩٧٥ ان ايران والعراق يعملان على التوصل الى اتفاق وانه ناقش هذا الاحتمال عدة مرات مع القيادة ولكن لضيق الأفق السياسي لدى اعضاء القيادة فإنها فشلت في ادراك المضامين ورفضت قبول فكرة ان ايران ستذهب بعيداً الى حد قطع المساعدة عن الحركة الكُردية وتهدد بتدميرها ان هي امتنعت عن الرضوخ لمشيئة بغداد.

لقد ارتكب نفس الخطأ في ١٩٨٨ عندما استبعدت القيادة أية نهاية للحرب بين العراق وايران قبل تدمير النظام البعثي في بغداد. حصلت هذه القناعة لدى القيادة لأن خميني تعهد بأن يفعل ذلك، ولكن جاءت لحظة مواجهة خيار القبول بوقف اطلاق النار او زوال الجمهورية الاسلامية وكما وصف الموقف «عليّ تجرع كأس السم» واعطى اوامره بوقف اطلاق النار.

هنالك دلالات ان القيادة قد تعلمت من هاتين التجربتين او على الاصح التجارب الثلاث. ظهر هذا الشيء في الموقف الحذر الذي اتخذته القيادة في فترة نشوب حرب الخليج الثانية واثناء الانتفاضة التي اندلعت في الجنوب وفي كُردستان والتي اخمدت بوحشية من قبل النظام نهاية آذار

١٩٩١ اوضح عدد من القادة الكُرد انهم ليسوا على استعداد للقتال و التضحية بالشعب الكُردي من اجل مصالح الاخرين، وحتى ان الدكتور محمود عثمان الناطق باسم الجبهة الكُردستانية طالب بتقديم المصالح الكُردية على كل مصلحة اخرى وحتى التفاوض مع صدام اذا برهن انه مستعد بإعطاء الحقوق الكُرد. ومع ان البشمركة تحشدوا على الحدود العراقية الايرانية والسورية منذ نشوب ازمة الخليج فان عدداً من القادة بقوا مترددين في القيام بأي عمل عندما نشبت القلاقل في الجنوب والشمال.

لم تمض على القيادة في المنفى اكثر من سنتين ولكن خلاف ما حدث في ١٩٧٥ فان القيادة في هذه المرة لم تتفكك وبقيت الجبهة قائمة و مسعود البارزاني نفسه وصف النكبة في ١٩٧٥ بأن لاسابقة لها في التاريخ الكُردي وحجمها كان من الضخامة بحيث انها قضت على كل الخلافات والمنافسات الطموحة بين القادة، الكل ادرك ان لانجاة إلا بالوحدة وان الخروج على وحدة المقاومة سيكون خطأ قاتلاً وركزت الجبهة على حملات واسعة في الغرب لشرح القضية الكُردية وفضح جرائم النظام.

على المستوى السياسي كانت هنالك دعوات لمزيد من التوحيد بين اطراف الجبهة. وفي مقابلة صحفية قال البارزاني ان الجميع اتفق على قيادة سياسية موحدة ولجنة تنفيذية لإدارة وتمشية الامور اليومية ومركزاً للمعلومات وتأسيس جريدة ومكاتب في الخارج.

عملياً لم ينفذ اي من هذه الامور بإستثناء القيادة المشتركة وحققت نوعاً من السيطرة على كُردستان. اصبحت القرارات تتخذ بإتفاق الاراء ولكل طرف حق الاعتراض (الفيتو) ومع ان اي طرف من الاطراف لم

يمارس هذا الحق الا انه من المحتمل ان يكون مصدراً لاثارة المشاكل عند اتخاذ القرارات المهمة وهذا سبب في الاسباب التي دفعت بالجبهة الى الاسراع في اجراء انتخابات في كُردستان المحررة التي هي ليست تحت سيطرة النظام في بغداد.

ومع كل هذا فقد بقي تأثير الجبهة العسكري والسياسي محدوداً جداً. على الرغم من شن هجمات متفرقة عبر الحدود فلم تكن هنالك عملية كبيرة منظمة وقفت عليها. على الصعيد السياسي فإنها بقيت تعاني من العزلة الاقليمية والدولية بإستثناء سوريا التي استمرت في دور المضيف للمعارضة العراقية بشكل عام. وفي زيارته الى لندن في اذار ١٩٩٢ كان البارزاني موضع اهتمام وسائل الاعلام والترحيب الرسمي حيث انه التقى برئيس الوزراء جون ميجر وبزعيم المعارضة البريطانية نيل كينوك على النقيض من زيارته السابقة في ١٩٨٩ عندما استقبل من قبل موظف صغير في مكتب الشؤون الخارجية في وزارة الخارجية واشترط في اللقاء ان يكون في احد المطاعم وليس في الوزارة.

على عكس هذه العزلة الدولية فان الانسجام بين اطراف الجبهة ساعد الكُرد على التقرب من المعارضة العراقية التي هي على اربعة اصناف هي الكتلة الاسلامية وتشمل حزب الدعوة الاسلامي والمجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق و منظمة العمل الاسلامي ثم كتلة الديمقراطيين وشملت الحزب الشيوعي وعدد من التنظيمات اليسارية وكتلة القوميين العرب وحزب البعث الموالي لسوريا وكتلة الجبهة الكُردستانية.

العلاقة بين هذه الكتل بقيت فاترة بسبب الخلافات الآيدولوجية والسياسية وبسبب التأثيرات الايرانية والسورية والليبية على اطراف

الجبهة، الدعوة الى توحيد صفوف المعارضة لم تكن ناجحة رغم المحاولات المتكررة في الثمانينيات.

احدى هذه المحاولات لتوحيد المعارضة كانت من قبل سوريا قبل حرب الخليج الثانية في ١٩٨٩ ومثل الكُرد فيها كل من جلال الطالباني ومسعود البارزاني.

بعد ثلاثة اشهر من الجهود المضنية فشلت المحاولة لأنه في اخر لحظة غيرت الكتلة الاسلامية في رأيها اما بالنسبة للكُرد فان المشكلة كانت دائماً مع الاسلاميين والقوميين الذين كانوا يرفضون مطالب الكُرد في الحكم الذاتي وحق تقرير المصير. بالاضافة الى ذلك فان الجانب الاسلامي لم يكن قادراً في يوم من الايام على إعطاء رأي صريح لحل ديمقراطي للمشكلة العراقية . اما الفتور الايراني نحو المعارضة العراقية فقد وصلت حداً طلبت معه ايران من المعارضة مغادرة سوريا.

اما المعارضة الكُردية المتمثلة في الجبهة الكُردستانية فانها بدأت تستعد لشتاء طويل من دون ظهور بارقة امل في أن يدب الوهن في كيان النظام العراقي، حتى تستطيع إعادة تنظيم نفسها في كُردستان اما النظام فكان يشعر بالقوة الى درجة انه ارسل مبعوثين الى قادة المعارضة بما فيهم الكُرد في ١٩٨٩ و ١٩٩٠ يطلب منهم العودة الى الحظيرة الوطنية مع شرط القبول بقيادة البعث. ضمن هؤلاء المبعوثين كان مكرم الطالباني وهو شيوعي كُردي سابق عمل وزيراً لفترة واحتفظ بإحترام المعارضة له وخاصة المعارضة الكُردية.

لم تجد الدعوة هذه صدوداً من الكُرد والشيوعيين الذين اعلنوا انهم لن يصروا على تدمير البعث مقابل العودة الى المفاوضات لايجاد ارضية مشتركة للمفاوضات. لم يكن صدام حسين مستعداً لإبداء أية مرونة.

على المعارضة الاعتراف بخطئها علناً والعودة الى بغداد بدون شروط ثم ينظر البعث في مطالبها.

حرب الخليج الثانية

كان من المستحيل ايجاد مخرج من هذا المأزق، ان غزو العراق للكويت في ٢ اب ١٩٩٠ قلب الأمور رأساً على عقب بالنسبة للعراق والشرق الاوسط. اكتشفت العواصم الاقليمية والدولية من جديد وجود المعارضة العراقية وخاصة الكُردية. كانت هنالك تحركات سعودية وسورية وايرانية مشتركة لتوحيد المعارضة التي عادت الى طلبها السابق بالاطاحة بصدام حسين.

في خريف ١٩٩٠ تحركت الجبهة الكُردستانية عبر الحدود وعقدت اتصالات سرية مع زعماء العشائر الكُردية الموالين لبغداد. كان لدى هؤلاء الزعماء الاف المقاتلين المسلحين -انهم الجحوش المحتقرون في السابق والذين سيلعبون الأن دوراً مهماً في الانتفاضة ضد النظام وبذلك سيسلخون عن انفسهم التسمية البغيضة «الجحوش» ويلبسون ثوباً جديداً هو ثوب الثوار المسلحين عرف هؤلاء ان نظام البعث يمر في مأزق حقيقي وخطير و وجدوا انه من الاصوب لهم التفاوض مع الجبهة. طلبوا من الجبهة اصدار عفو عام لكل الذين قاتلوا في صف النظام. وافقت الجبهة على الطلب وصدر العفو العام.

تكثفت الاتصالات بين اطراف المعارضة المختلفة في الفترة التي سبقت الحرب تم تشكيل لجنة تنسيق بإسناد من سوريا والسعودية وايران. كان لكل من الكُرد والاسلاميين ممثلين وواحد لكل من القوميين والجماعات الديمقراطية. قام عدد من زعماء المعارضة بزيارة السعودية ومن بينهم

كان جلال الطالباني وسامي عبدالرحمن وصدر بيان في ٢٧ كانون الثاني ١٩٩٠ في بيروت موقعاً من ٢٠ حزباً وحركة وجاء البيان مكملاً للقاء سابق عقد في دمشق شجبت المعارضة غزو الكويت ووعد بالكفاح من اجل الاطاحة بالبعث وضمان حقوق الكُرد.

ازدادت الجهود الرامية لتوحيد صفوف المعارضة تعقيداً بسبب التنافس بين الاطراف الاقليمية الراعية لهذه المحادثات وخاصة التنافس بين سوريا وايران. كما ان بريطانيا اصبحت هي الاخرى نشطة في هذا المضمار وسط تقارير ان واشنطن تركت المسألة بيد حليفتها لندن لمعالجتها.

مارست دمشق ضغوطاً كبيرة من اجل ان تعقد المعارضة العراقية مؤتمرها الاول تحت رعايتها في بيروت وهذا ماحدث في ١١ اذار.

وبنهاية كانون الثاني ١٩٩١ فتحت الجبهة الكُردستانية اتصالات سرية مع تركيا وهي الاول من نوعها منذ قيام الحركة الكُردية العراقية حضر المحادثات من الجانب التركي توركوت اوزال ومن الجانب الكُردي كل من البارزاني والطالباني.

بقي مسعود على اتصال بالتطورات من مقره على الجانب الايراني من الحدود وهو منهمك في اعداد البشمركة للدخول الى العراق. اما الطالباني فقد توجه الى اوروبا والولايات المتحدة للقاء بعض المسؤولين هناك قبل الذهاب الى دمشق ليقابل الرئيس حافظ الاسد، وفي ٩ اذار غادر الى انقرة لمقابلة بعض المسؤولين الاتراك وكان معه محسن دزيي ممثل البارزاني. وبعد يومين غادر الاثنان عن طريق البر الى دمشق وهم في طريقهم الى بيروت لحضور مؤتمر المعارضة المنعقد هناك.

بدأ المؤتمر اعماله يوم ١١ اذار متأخراً بيوم عن الموعد الاصلي لإتاحة المجال للطالباني لحضور المؤتمر. عند هذا التأريخ كانت الانتفاضة في الجنوب والشمال قد بدأت تماماً.

وفي غضون ايام قليلة سيطرت البشمركة الثوار على ثلاثة أرباع مساحة كُردستان بما في ذلك مدن السليمانية وكركوك واربيل ودهوك. وعند نهاية اذار عبر الطالباني الحدود من سوريا الى كُردستان العراق.

ربيع كُردستان لم يعمر إلاّ اسابيع محدودة حيث توجهت القوات العراقية نحو كُردستان بعد ان قضت على الانتفاضة في الجنوب لتصفية الحسابات مع الكُرد.

بدأ الهجوم على كركوك في ٢٩ اذار وخلال ايام قليلة انهارت الانتفاضة مع فرار ولجوء ٢ مليون كُردي نحو الجبال للعبور الى ايران وتركيا كان حجم المأساة الانسانية من الضخامة الى درجة اضطر الرئيس بوش تحت ضغط الرأي العام الى الموافقة على تعيينه منطقة ملاذ امن للاجئين الكُرد في شمال العراق. ان الجانب الانساني من المأساة دفع بالقادة الكُرد الى قبول عرض بغداد باجراء المفاوضات وتوجه وفد برئاسة الطالباني الى بغداد.

وعلى غرار المرات السابقة فشلت المفاوضات ولم يتم التوصل الى اية نتائج عملية ان انهيار الانتفاضة وفشل المفاوضات شكالا بداية مرحلة جديدة من حياة الحركة الكُردية. انها مرحلة لا تزال فصولها تكتب بشكل متواصل.

لم يكن اي حزب بمفرده قادراً على البقاء بعد انهيار الانتفاضة لولا هذه الوحدة القائمة بين اطراف الجبهة. بفضل هذه الوحدة السياسية و الادارية التي هيأتها الجبهة استطاع الكُرد ادارة مساحات واسعة بعد

انهيار الانتفاضة، ان الحماية الدولية كانت بالطبع السبب في عدم استطاعة النظام العودة الى هذه المناطق ولكن الجبهة من جانبها هي الاخرى عملت للحيلولة دون تفكك الوحدة الاجتماعية والاقتصادية.

الفصل العاشر

عملية توفير الراحة (الملاذ الآمن) - وعود كاذبة للكُرد

في الوقت الذي برهنت تدخلات ما بعد الحرب الثانية وحرب الخليج على نجاعتها في التجاوب مع احتياجات اناس اسيء التعامل معهم ولكنهم يحظون بإهتمام الرأي العام العالمي فإنها أي هذه التدخلات فشلت في الاعتراف بمجموعات مهددة ايضاً ولكنها اقل اهمية من الناحية الستراتيجية، فشلت هذه التدخلات في اقامة جهاز عادل يستطيع الوصول الى الجميع ويتجاوب مع حاجات هذه المجموعات الانسانية لا على اساس شعبيتها او النفع المرجو منها بل على مدى حاجة هذه المجموعات الى الحماية و المساعدات الانسانية.

ان أزمة اللاجئين في اعقاب حرب الخليج تعود في طبيعتها المأساوية الى فشل ميثاق الامم المتحدة للاجئين المبرم قبل ٤٠ سنة في تلبية حق الملاذ الامن او في تحجيم سلطة الدولة في التلاعب بتعريف اللاجيء بشكل ينسجم مع اهداف اخرى هي غير انسانية.

ان سبب هروب ١.٥ مليون كُردي عراقي في اذار ونيسان من عام ١٩٩١ يمكن إرجاعه الى عوامل عدة تشمل تاريخ النظام العراقي القمعي الرهيب وعدم ايلاء اية قيمة للانسان. في عملية توفير الراحة (الملاذ الآمن) بقيادة الولايات المتحدة اعد درع واقٍ لاناس هائمين على وجوههم في الجبال غير ان الامان الحقيقي في شكل لجوء لم يتوفر لهم.

ان المساعدة التي أتتهم كانت في حقيقتها دعماً لحلفاء الولايات المتحدة اكثر منها مساعدة للاجئين،

ان مـبدأ حق الحـصـول على لجـوء آمن هرباً من الاضـطهـاد هـو حق معترف به دولياً من خلال مبادىء حقوق الانسان. تركيا حليفه الولايات المتحدة بقيت بين اكثـر الدول الاوروبية تمرداً على تطبيق بروتوكول اللاجـئين. في الوقت الذي تخلصت الدول الاوروبيـة من التـقـيـيـدات بخصوص الميثاق فـان تركيا ومـعها يوغوسلافيا وهنغاريا احتفظت بتعريفها الخاص للاجىء لتعني به الأشخاص الهاربين من اوروبا، تركيا لم تعترف ولم تحمِ مئات الالوف من الايرانيين الذين هربوا من ايران الى تركيا في السنوات الاخيرة. كما ان اللاجئين العراقيين لم يمنحوا صفة لاجيء ولم يتمتعوا بحقوق اللاجئين. سياسة تركيا نحو اللاجئيين تتفق وسـيـاسـتـهـا القـمـعـيـة تجـاه الكُرد في تركـيـا. مئـات الالوف من الكُرد العراقيين هربوا من الجيش العراقي في ١٩٨٨ ومع ذلك رفضت تركيا اعطاءهم صفة لاجيء ورفضت في الوقت نفسه تسمية اماكن اقامتهم بمخيمات اللاجئيين لقد اطلقت على هذه الاماكن مناطق اقامة للعراقيين الذين سيعودون الى بلادهم اذ انهم لم يقرروا البقاء في تركيا ووجودهم شيء وقتي.

كـانت الظروف في ثلاثة مـعـسكرات للاجـئين الكُرد سيئـة للغـاية. لمدة ثلاث سنوات قبل نشوب حرب الخليج الثانية كانت المخيمات مسيجة بالأسـلاك الشـائكة ومطوقة بوحدات عسكرية. منع الزوار الأجـانب من الدخول الى هذه المعسكرات كما ان الدخول الى المعسكر او الخروج منه كان محدداً جداً. الاطفال مـحرومون من التعلم. ونتيجة لهذه الظروف الرديئة وفقدان الرعاية الصحيـة سقط المئات من نزلاء هذه المخيمات مرضى وحدثت حالات تسمم بالطعام في ١٩٨٩ و ١٩٩٠.

ان اصغر هذه المعسكرات كان هذا الموجود في موشي وكان يدار كما

تدار السجون حسب روايات المراقبين ونزلاء المعسكر. كانت الابنية مزدحمة باللاجئين ولاتتوفر فيها شروط الامان والصحة. والمخيم الاخر الكبير في دياربكر كان هو الاخر مكتظاً والماء الصالح للشرب غير متوفر فيه. وفي معسكر قزل تب في ماردين كان اللاجئون يجبرون على البقاء في الأبنية ومات عدد كبير من الاطفال بسبب سوء التغذية وعدم توفر الرعاية الصحية. في ١٩٩٠ تعهد مانحون دوليون بتقديم مبلغ ١٤ مليون دولار لغرض إعادة اسكان هؤلاء في ملاجيء دائمة في وسط الاناضول ولكن الحكومة التركية رفضت العرض دون تقديم اي إيضاح لذلك.

كما وردت تقارير ان السلطات التركية تعيد اللاجئين الى العراق قسراً ودون رغبة منهم وخاصة في فترات صدور العفو العام من قبل الحكومة العراقية. ومن بين الإساءات التي تنسب الى الحكومة التركية هي تأخير وتقليل الحصص التموينية واساءة معاملة اللاجئين وحتى ضربهم قررت انقرة ان لاتكرر خطاها الذي ارتكبته في ١٩٨٨ عندما وجهت اليها انتقادات غربية كثيرة لمعاملتها السيئة للاجئين الكُرد وتلقت عروضاً قليلة وشحيحة للمساعدة لإعادة توطين اللاجئين. عندما تدفقت افواج اللاجئين نحوها في آذار ونيسان ١٩٩١ فلم يكن امراً مستغرباً ان تتركهم تركيا لمصيرهم التعس على سفوح الجبال ووديانها.

ان مشاهد البؤس والمعاناة بين هؤلاء الهائمين على وجوهم في الجبال في اشد فصول السنة برداً وفي اوعر منطقة من كُردستان اثارت ضمير العالم الغربي فجاء القرار المشهور بإقامة الملاذ الآمن داخل الارض العراقية.

ان اقامة منطقة الملاذ الامن كانت بمثابة سيف له حد مثلم من الطرف التركي واخر بتار من جهة العراق القرار ٦٨٨ الصادر من مجلس الأمن

الدولي في الخامس من نيسان ١٩٩١ كان مهماً فهو يستنكر انتهاكات حقوق الانسان داخل العراق ولكنه يشدد ايضاً على الخطورة التي يشكلها هروب مئات الالوف من اللاجئين نحو الحدود الدولية على السلم والامن الدوليين.

الكيل بمكيالين:

ان المبالغ التي خصصت لايران في مايس ١٩٩١ لتغطية حاجات اللاجئين كانت نصف المبالغ التي خصصت لتركيا رغم وجود نحو ١،٣٠٠،٠٠٠ لاجيء كُردي فيها وهذا عدد يزيد ثلاثة مرات عن عدد اللاجئين في تركيا حيث قدر عددهم بنحو ٣٣٠،٠٠٠ لاجيء فقط. ايران تلقت ١٢٨،٩ مليون دولار على شكل معونات دولية بينما حصلت تركيا على اكثر من ٢٤٨ مليون دولار. مقابل كل دولار صرف على اللاجيء في ايران صرف اكثر من سبعة دولارات عليه في تركيا او على المعلقين على حدودها، اما عن المساهمة الامريكية فانه من مجموع٢٠٧ مليون دولار صرف على اللاجئيين ذهب ١٠٪ منه الى اللاجئين في ايران. لم تكن مهماً حاجة اللاجيء الى المساعدة، كان المهم الاتجاه الذي ذهب اليه اللاجيء – الى صديق للولايات المتحدة او الى عدو لها – عوقب من توجه الى ايران بسبب ضعف العلاقة الايرانية الامريكية وكوفيء من توجه الى تركيا .

قامت تركيا بعد غزو العراق للكويت بعدة توغلات عسكرية داخل العراق بذريعة مطاردة عصابات حزب العمال الكُردستاني التي تقول تركيا أنها اتخذت لها مقرات في شمال العراق. وفي ١١ تشرين الاول ١٩٩١ قصفت الطائرات التركية ٥ قرى عراقية بما فيها قرية بيكوفة داخل الملاذ الامن . إن مسلك العراق خلق فرصة لتحسين سياسة اللجوء ولكن هذه الفرصة بددت ولم تستغل بشكل جيد.

الفصل الحادي عشر

أوضاع الكُرد في تركيا بعد حرب الخليج

في ١٩٩٢ وفي فندق جيهان في مدينة شرنخ لم تكن هنالك إسالة ماء، مثله في ذلك مثل جميع البيوت واماكن العمل في المدينة الواقعة جنوب شرق تركيا .ان محلات شوي الكباب على امتداد الطريق كانت تمتلك خزانات ماء حتى يتمكن زبائنها مسح غبار السفر عن وجوهم وايديهم قبل تناول طعامهم. ولكن فندق جيهان له ميزة التفوق على هذه المطاعم في انه يمتلك على الرف في صالة الاستقبال بزجاجة عطر يمسح به الزائر وجهه ويديه.

ان النزاع المسلح بين القوات التركية والمقاتلين الاكراد حول قسماً كبيراً من المنطقة الجنوبية الشرقية الى ساحة معارك. في ١٩٩٢ كان لدى P.K.K من ٥٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ مقاتل وكان هنالك مئات بل ألوف اخرون يتلقون تدريبهم داخل العراق وفي وادي البقاع اللبناني الخاضع للسيطرة السورية. على الرغم من وجود ١٢,٠٠٠ جندي تسندهم الدبابات والمروحيات ونحو ٣٠,٠٠٠ مقاتل من الميليشيات الكُردية القوية فإن انقرة كانت عاجزة عن منع هجمات المقاتلين التي بدأت بصورة متفرقة ولكنها ازدادت عدداً وشدة لتحدث بوتيرة متصاعدة يومياً لتوقع نحو ٤,٤٠٠ قتيلاً بين جندي وشرطي ومن الميليشيات وفي صفوف حزب العمال ايضاً.

على مدى ١٥٠ سنة كانت الحركة الكُردية موجودة تتوهج نارها حيناً وتخمد حيناً اخر ولكن جذوتها لم تنطفىء في يوم من الأيام على

الاطلاق. يقول يلماز المحامي الكُردي من شرنخ والمدافع عن حقوق الانسان ان هذه النار هي موجودة في الشعب بشكل دائم.

وان عشرة من اقربائه هم في صفوف المقاتلين ان مدينة شرنخ تقع وسط محافظة بوتان وهي مثل القرى المحيطة بها تدعم حرب العصابات.

منذ تأسيس الجمهورية التركية في ١٩٢٣ حاولت الحكومات المتعاقبة محو القومية الكُردية. استخدام اللغة الكُردية وخاصة المكتوبة منها كان محظوراً بشكل رسمي احياناً وغير رسمي احياناً اخرى. تمت إزالة مئات القرى وإعادة اسكان الاهالي، وتم ايضاً تزييف التاريخ ليصبح الكُرد اتراك الجبل – اي انهم كانوا تركاً انسلخوا عن تركيتهم بسبب عزلتهم بين الجبال . كانت السياسة الغالبة هي الصهر والذوبان القومي . ولكن السياسة التركية لم تستطع التستر على المسألة الى الأبد. فهذا الباحث الاجتماعي الاكاديمي اسماعيل بيشكجي يقضي عشر سنوات في السجن لمحاولاته تدوين الحياة الاجتماعية والاقتصادية للكُرد في جنوب شرق تركيا.

وبعد حرب الخليج في ١٩٩١ اتخذت الحكومة خطوات للتودد الى الكُرد وتخفيف القوانين التي تطبق بحق الكُرد وخاصة بعد سنوات القمع الذي اعقب انقلاب ١٩٨٠ وفي نيسان ١٩٩١ ألغى البرلمان قانون العقوبات الذي منع الشيوعيين والاسلاميين من ممارسة اي نشاط وتم اطلاق سراح الالوف من السجناء والغي قانون منع استخدام اللغة الكُردية الذي استقبل من قبل الكُرد بالسخرية واعتبروه خدعة حكومية فالكُرد كانوا يتخاطبون بلغتهم رغم مضايقات الحكومة لهم. الكُرد يموتون لأنهم يريدون دولتهم ويتألمون لخرق حقوقهم. كان الجيش التركي مسؤولاً على نطاق واسع عن خرق الحقوق والتعدي على الحريات في

جنوب شرق البلاد. الحكومة حتى وان ارادت احداث تغيير في الوضع فإنها عاجزة عن القيام بذلك بسبب تدخل الجيش الذي لا يخضع لسلطة الحكومة المدنية في جنوب شرق البلاد. علاقة انقرة بالجيش كانت علاقة متوترة بشكل دائم فالجيش نصب من نفسه ضامناً لمبادىء اتاتورك وقام بثلاثة انقلابات لإثبات ذلك.

كما ان البرلمان اطلق الضمان للجيش بسنه قانون الإرهاب الذي دخل حيز التنفيذ في ١٢ نيسان ١٩٩٢. فإحدى مواد القانون منعت الدعاية الشفوية والمكتوبة ضد وحدة الدولة التركية. كما ان تعريف القانون للإرهاب سهل خرق الحقوق من قبل قوات الامن. بموجب القانون اغلقت كل صحيفة مؤيدة للكُرد وفرض حظر على الكتب التي تحوي كتابات عن الكُرد وجرى توقيف كل شخص مؤيد لحقوق الكُرد.

ان حكومة سليمان ديميريل التي جاءت بعد انتخابات ١٩٩١ وعدت بمراعاة وتحسين حقوق الانسان ولكن العنف ضد المواطنين الكُرد في جنوب شرق البلاد استمر. جرت مضايقة واعتقال المدافعين عن حقوق الانسان وتعذيب السجناء السياسيين وتم ترهيب الصحفيين العاملين في جنوب شرق البلاد ولقي البعض منهم مصرعهم. كما ان الكُرد الذين رفضوا الانضمام الى الميليشيات الحكومية وقعوا ضحية لممارسات رجال الأمن وجرى تخلية قرى بأكملها لرفض الرجال فيها حمل السلاح ضد P.K.K او لأن المقاتلين الكُرد كانوا يدخلونها او يتواجدون في اماكن قريبة من هذه القرى. وحتى المظاهرات السلمية لم تكن لتسلم من سطوة الشرطة وقمعها ففي يوم نوروز ١٩٩٢ قتل نحو ٧٠ شخصاً في المدن والبلدات الكُردية اثناء احتفال الكُرد بعيد رأس السنة الكُردية «نوروز».

واجتاحت جنوب شرق البلاد موجة من الاغتيالات ، حيث اغتيل نحو ٦٠ من النشطاء الكُرد بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٢ وشوهد العديد من هؤلاء الضحايا اخر مرة مع الشرطة ولكن السلطات أنكرت أي علم لها بهذه الاحداث.

ان إستمرار العنف عزز من تأييد الكُرد للمقاتلين. اما السيد هاتيب دجلة الرئيس السابق لجمعية حقوق الانسان في دياربكر وعضو البرلمان عام ١٩٩١ فقد تلقى عدة إساءات ومنها نسف مكاتب الجمعية في ١٩٩١ ويقول ان الحكومة فقدت السيطرة على جنوب شرق البلاد وهي تحاول حل المشكلة بالقوة. على الحكومة والكلام لا يزال للسيد هاتيب فتح باب قنوات سلمية وديمقراطية. عليها ان تتفاوض مع P.K.K ان هي تريد حلاً للمشكلة.

ان أحد الاسباب وراء هذا التأييد الواسع لـ P.K.K هو اقامته لشبكة من التنظيمات الفعالة التي تعمل في مجالات هي اكبر من المعارك مع القوات التركية.

من خلال تنظيماته في اوروبا وخاصة في المانيا التي هي بيت لمئات الالوف من الكُرد استطاع P.K.K من نشر جرائد وطبع كتب وتنظيم مجموعات من الشباب والنسوة بحيث تمكن من تعزيز الهوية الكُردية. وفي داخل تركيا نشط عدد من الجماعات في العمل بين الشباب في المدارس والمقاهي وغيرها من الاماكن.

كما استطاع P.K.K العمل في جنوب شرق البلاد من خلال المتعاطفين معه في دوائر الحكومة و في الاحزاب السياسية وفي منظمات الإغاثة. وبين اصحاب الحرف والمهن الحرة. عندما يقرر P.K.K القيام بعملية عسكرية ضد قاعدة عسكرية يجري تبليغ الاهالي بضرورة المكوث في

بيوتهم وعملية التبليغ هذه كانت تتم بسرعة فائقة الأمر الذي يبرهن على تغلغله في جميع مفاصل المجتمع.

حاول P.K.K التأثير على مجريات السياسة بتأييده لعدد من المرشحين لمناصب محلية و وطنية مثل الترشيح لمجلس النواب وفي كثير من الحالات كان يقوم بدفع تكاليف حملاتهم الانتخابية بشكل خفي.

بحلول منتصف عام ١٩٩٢ كان P.K.K يمارس بعض السيطرة على اجزاء من جنوب شرق تركيا وكان مقاتلوه يقومون بوضع حواجز على بعض الطرق ليلاً ويقتلون الجنود وحراس القرى الذين تجرؤوا على السفر بعد حلول الظلام.

تطور P.K.K

تشكل حزب العمال الكُردستاني P.K.K في ١٩٧٨ من قبل عبدالله اوجلان احد طلاب جامعة انقرة. في ١٩٨٤ شن الحزب هجومه الأول وكان تجاوب الكُرد معه فاتراً. بالنسبة الى الكثيرين من الكُرد كان منهج الحزب اللينيني الماركسي مخالفاً لعقيدتهم الاسلامية. كما ان سياسة الحزب في الهجوم على المتعاونين مع السلطة كان بدون تمييز حيث قتل اطفال ونساء لا ذنب لهم. اغضب هذا الشيء الكثيرين.

وجد الكُرد وخاصة اهل القرى انفسهم محاصرين بين مقاتلي P.K.K وبين قوات الجيش. كان جيش التحرير الشعبي الكُردستاني لايميز كثيراً حيث قام بإحراق مدراس ومستوصفات بحجة ان الجيش يستخدمها مخازن للسلاح وايواء القطعات العسكرية.

كما جرى قتل اقارب افراد الميليشيات المتعاونة مع الحكومة. اما تمويل انشطة P.K.K فقد كان يتم عن طريق فرض الضرائب على

المواطنين ومن تبرعات اللاجئين الكُرد في الخارج وخاصة كُرد المانيا. أقام الحزب قواعد تدريبية له في وادي البقاع الخاضعة للسيطرة السورية، وتدريجياً بدأ P.K.K يغير من اسلوبه حيث ادرك ان بعضاً من اعماله تنفر الكُرد عنه. وفي ١٩٩٠ اعلن P.K.K انه سيتجنب قتل المدنيين.

وفي ١٩٩١ اعلن عن عفو عام للميليشيات العاملة مع الحكومة واستمر لمدة عام ووعد بعدم معاقبة اي واحد يترك العمل مع هذه الميليشيات. لقد تضخم عدد الشبان والشابات الذين انضموا اليه الى درجة اكتظت بهم معسكرات التدريب التي لم تعد قادرة على استيعابهم الأمر الذي أثر على تدني القدرة القتالية لدى المتخرجين منهم. اختفت عمليات اختطاف الصبية وتجنيدهم القسري وحدثت هجمات ناجحة ضد القوات التركية الأمر الذي شجع الكثيرين على الالتحاق به.

بسبب تباطؤ وتلكؤ اليسار التركي والمثقفين في التجاوب مع المسألة الكُردية رأى الكثيرون بأن P.K.K هو خير من يدافع عنهم. قال أحد سواق الشاحنات ان الكُرد جميعاً مقاتلون والفرق الوحيد هو ان بعضاً منهم في الجبال والبعض الآخر هنا وقال بأنه سجن لمدة شهرين وعذب لحيازته تسجيلاً للأغاني الكُردية.

في عام ١٩٩٢ وفي مقابلة اجريت معه قال اوجلان ان المسألة الكُردية يجب ان تحل عن طريق الحوار مع منظمات شرعية وحكومية تمثل الشعب الكُردي ودعا الى وقف سفك الدماء وقال بأنه يقبل بوقف لإطلاق النار مقابل وقف السلطات قمعها للمواطنين وفتح حوار مع القيادات الكُردية . لم يكن اوجلان الوحيد في هذه الدعوة ففي ١٩٩٢ طالب ٢٢ نائباً كُردياً كانوا اعضاءً في حزب العمل الشعبي التركي المؤيد للكُرد

الحكومة بفتح باب المفاوضات مع P.K.K واجراء استفتاء حول شكل العلاقة المستقبلية بين الكُرد والترك.

واثناء اداء القسم البرلماني ردد احد الاعضاء القسم بالكُردية وكانت هذه حالة فريدة من نوعها عندما استخدمت الكُردية في البرلمان التركي. اقام البرلمانيون الترك الدنيا ولم يقعدوها وطالبوا بتجريد البرلمانيين الكُرد جميعهم من حصانتهم البرلمانية وتجريمهم لطلبهم بحقوق للكُرد.

وفي المقابلة نفسها قال اوجلان ان هدف الكُرد هو ليس تقسيم تركيا وانما المشاركة فيها ولاضرورة لاقتطاع اقليم من البلاد ولكن يجب ان يقرر الكُرد مصيرهم.

ان مناقشة اوجلان الحلول للمسألة الكُردية لا تصل حدود الاستقلال ويعتبر نضجاً سياسياً متزايداً.

حرب الخليج وما بعدها

ان حرب الخليج وبعدها الملاذ الآمن لكُرد العراق والذي اقامته دول التحالف بعد انهيار انتفاضة الكُرد كان لها اثر قليل على كُرد تركيا رغم انتفاع النضال المسلح لـ P.K.K من ذلك. استغل P.K.K الفراغ السياسي والعسكري الذي حصل في شمال العراق بان أقام له عدة قواعد في المنطقة وقام ايضاً بشراء السلاح الذي تركته القوات العراقية واصبحت له حرية التحرك عبر الحدود غير المحمية من جانب العراق.

تأثر كُرد تركيا بالحكم الذاتي الرمزي الذي اقيم في شمال العراق وبالاهتمام العالمي الذي حصل عليه كُرد العراق. كان كُرد تركيا يقدمون الدعم الى مختلف المجموعات الكُردية في العراق في اوقات مختلفة، ولكن حرب الخليج لم تغير من حقيقة ان الكُرد على طرفي الحدود كانوا

يقاتلون بشكل منفصل رغم اتفاقيات عديدة بين قادتهم.

جرت محاولات من قبل كل من جلال الطالباني ومسعود البارزاني لكسب ود الحكومة التركية. رغم اضطهادها للكُرد في تركيا حاول كل من جلال ومسعود النأي بأنفسهم عن P.K.K رغم ان القصف التركي لمواقع في شمال العراق زعمت السلطات انها مقرات تعود الى P.K.K ادى الى مقتل كُرد عراقيين. كان هذا التقارب من وجهة نظر الكثيرين من الكُرد في العراق وتركيا موقفاً سياسياً وليس شعوراً حقيقياً فأن آثار حرب الخليج كشفت عن خلافات حقيقية.

ساعد الموقف الجديد تركيا على التعامل مع الكُرد بشكل اشد قسوة. ضعف السيطرة على الحدود ساعد الجيش التركي على القيام بتوغلات متكررة. ان الحماية التي وفرها الحلفاء لكُرد العراق من صدام حسين لم تعن الكثير بالنسبة للكُرد في تركيا الذين بقوا تحت رحمة الجيش التركي.

وفي نفس الوقت فان تصريحات الطالباني والبارزاني بمساندة الحكومة التركية لم تقلل من حساسية تركيا نحو الحكم الذاتي في العراق رغم تعهداتهما باحترام وحدة تركيا. استمرت الحكومة التركية الاعتقاد ب٣٨١ن الحكم الذاتي في شمال العراق من شأنه تقوية دعوة كُرد تركيا في تقرير المصير وهذا امر لا تطيقه تركيا، تركيا لم تؤيد الانتخابات الكُردية في ١٩٩٢ واعربت عن عدم رضاها ازاءها . وقبل الانتخابات بأيام قليلة قامت الطائرات التركية بقصف مواقع في شمال العراق واصابت مركزاً انتخابياً تابعاً للبارزاني واصدرت انقرة بياناً ذكرت فيه ان الانتخابات ستؤدي الى فراغ للقوى الأمر الذي من شأنه إحداث المزيد من العنف وعدم الاستقرار في شمال العراق.

لقد كان التـأثير الاكبر لحرب الخليج على كُرد تركيا اقتـصادياً - لقد انهكت الحـرب منطقة هي على حافة الانهيـار بسبب عقـود من الاهمـال الحكومـي لهـا و بسـبب سنين من الحـرب فيـها عـانى الجنوب الشـرقي وبشكل مستمر من غياب الاستثمارات الخاصة وقلة المشاريع الصناعية بسبب ضعف البنية التحتية والمخاوف الامنية.

على كل حـال اسـتطا ع الكُرد ولفتـرة طويلة على إعـالة أنفسـهم ولو بمستوى متدني بالاعتماد على الزراعة وتربية الاغنام وعلى التهريب عبر الحدود مع ايران والعراق وعلى اسطول من الشاحنات التي تتحرك جيئة وذهاباً بين تركيـا والعـراق كل يوم . في الثـمانينيـات قـام الجيش بغلق مناجم الفحم الخاصة ومنع الكُرد الرحل من الرعي في الجبال.

وعندما التزمت تركيا بالحصار الاقتصادي الذي فرضه مجلس الامن على العـراق لغزوه الكويت ولمنعه لجان التفـتيش عن السـلاح من العمل تخلى السواق عن شاحناتهم على جوانب الطرق واصبح التهريب محفوفاً بالخطر سرعـان ان اغلقت المقـاهي والمطاعم والفنادق ومـحـلات تصليح السيارات أبوابها واصبحت الدكاكين التي كانت في يوم من الايام مليئة بالشـاي والسكاير الأجنبية فـارغة واصبح العمل الجـوال مـصدر الرزق الرئيس في غرب البلاد.

امـا الاسـتـثـمـار فلم يـتـخط حـدود العـمل في بنـاء ثكنات الجـيش وشق الطرق العـسكرية وبناء السـجون وهذه الاعـمـال تـأثرت كثـيراً بـعمليـات المقاتلين الاكراد. قلة الطرق ورداءَتها هي الاخرى كانت عاملاً في ضعف الاسـتـثـمـار وحركة نقل البضـائع. اغلقت عدد كبير من المدارس بسـبب هجمات P.K.K على المعلمين واتهامـهم بالتـجسس للسلطات ولم يكن في استطاعة السلطات توفير الحماية اللازمة لهم.

سـواءً اكـان المعلمـون جـواسـيس للسلطة ام لم يكونوا فـإن المدارس أغلقت أبوابها وحرم الطلاب من فرص التعليم.

رغم النقص الشديد في أعداد المعلمين لم يكن بوسع الكُرد من المعلمين التعيين في المنطقة الكُردية لعدم موافقة السلطات على ذلك وامعاناً في سياسة الصهر والتمثيل، مستوى التعليم في جنوب شرق البلاد كان واطئاً والطلاب فقراء والكتب قليلة.

رغم كل هذه الضغوطات ظل P.K.K يتمتع بقدر لا بأس به من الدعم واصبح جلياً انه لن يكون هنالك وقف لاطلاق النار مالم تبذل انقرة جهوداً حثيثة لوقف انتهاك حقوق الانسان.

تردّت الاحوال بين الترك والكُرد وفي كثير من المناسبات كان تشييع جثامين الجنود الذين قتلوا على ايدي عناصر P.K.K يتحول الى مظاهرات مناهضة للكُرد يطالب العنصريون الترك بانهاء أي اعتراف بوجود كُردي.

أما سليمان ديميريل الذي سبق له وأن اعترف بوجود كُردي في تركيا فقد وعد بإحداث إصلاحات اقتصادية في جنوب شرق البلاد وبحلول عام ١٩٩٢ كان على استعداد لإعطاء بعض الامتيازات للكُرد ولكن العقبة الكأداء كانت الجيش، ديميريل الذي اصبح رئيساً للوزراء ست مرات اطيح به مرتين من قبل الجيش الاولى في ١٩٧١ والثانية في ١٩٨٠ لم يكن راغباً في الدخول في مفاوضات مع P.K.K خشية قيام الجيش بالانقلاب عليه للمرة الثالثة، هدد رئيس اركان الجيش بسحق المتمردين.

بالاضافة الى التوغلات العسكرية داخل الاراضي العراقية قامت الطائرات بقصف مواقع جبلية داخل تركيا.

وصل الموقف الى نقطة الجمود. الكُرد يطالبون بضغط دولي على تركيا

ونجحوا في لفت نظر بعض المنظمات الأوروبية الى المسـألة الكُردية، غير ان حرب الخليج قلّلت من اهمية المسـألة الكُردية في تركيا لدى الولايات المتحدة وحليفاتها، الولايات المتحدة وهي الحليفة القوية لتركيا لم تعر آذناً صاغية لنداءات الكُرد رغم التأييد الواسع الذي حظي به كُرد العراق. ان الزعماء الاوربيين المتلهفين الى تعاون تركي للسماح ببقاء قواتهم على الاراضي التركية لتوفير الملاذ لكُرد العراق اسرعوا الى الصاق تهمة الارهاب بالمقاومين الكُرد. كما ان الولايات المتحدة وحلفاءها الأوربيين كانوا مهتمين بإستخدام تركيا كقوة تخدم الاستقرار في جمهوريات وسط اسيا في وجه النفوذ الايراني.

احدى اللافتات المعلقة في الشارع الرئيسي في شرنخ تقول سعيد من يعتبر نفسه تركياً وهذه احدى اقوال كمال اتاتورك زعيم الاستقلال و اول رئيس للجمهورية.

تروي زوجة يلماز قصة إبنها عندما كان تلميذاً في ازمير. طلب المعلم من الصغير ان يكتب «انا تركي» ولكن الصغير كتب « انا كُردي» و «أنا لا اكذب». ارسل المعلم الى والدة التلميذ وأتهمها بغسل دماغ ابنها وأنه إذا تكرر ذلك منه فإنه سيستدعي الشرطة. طلبت الأم من ابنها ان لايكرر ذلك. قال الولد «ألسنا كُرد في كُردستان؟» اخبرته امه انه اذا اصر على ذلك فان الشرطة ستأخذ والده الى السجن.

تواريخ مهمة

١- القرن السابع الميلادي: اول ذكر لكتابة كُردية على هيئة نص شعري يصور معاناه الناس اثناء الغزو العربي ثم تدمير المعابد المازدية و جرى اضطهاد اصحابها وكان الكُرد قد الغوا هذه الديانة منذ ايام الميديين.

٢- الفترة ما بين القرن السابع والتاسع الميلاديين: بعد اعتناق الكُرد للدين الجديد بدأوا بالمساهمة في الحضارة الاسلامية وخاصة في المجالات العسكرية والفن الموسيقي. الموسيقار الكُردي ابراهيم الموصلي (٧٤٣-٨٠٦) كان قد اشتهر في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد وسار على خطاه ابنه اسحق الموصلي وذهب احد تلامذتهم وهو زرياب الى بلاط القرطبة في بلاد الاندلس لنشر افكار وفن اساتذته في اسبانيا وبلاد المغرب.

٣- الفترة ما بين القرن العاشر والثاني عشر: ظهور الامارات الكُردية كانت في الشمال الشداديد (٩٥١-١١٧٤) عاصمتها كانت «غنجة» الى الجنوب منها فكانت امارة «حسانويد» (٩٠٩-١٠١٥) ومن ناحية الغرب كانت امارة «مروانيد» (٩٩٠-١٠٩٦) وعاصمتها كانت دياربكر.

٤- ١١٦٩ - ١٢٥٠ السلالة الايوبية وأشهر سلاطينها صلاح الدين، حكموا الشرق الاوسط برمته.

٥- القرنان ١٤ و ١٥ اعادة تنظيم الامارات بعد زوال الغزو المغولي عنها وازدهار الحياة الثقافية والفنية في بلاط امراء بتليس وهكاري وبوتان.

٦- ١٥١٤ الامراء الكُرد يتحالفون مع السلطان العثماني سليم الاول ضد شاه ايران. اندحار الجيش الفارسي في موقعة جالديران شمال كُردستان واعتراف السلطان باستقلالية الامارات الكُردية.

٧- ١٥٩٦ : شرف خان البتليسي يكمل موسوعته عن الكُرد «شرف نامه» وهو

اول كتاب عن تاريخ الكُرد.

٨- ١٦٩٥ : الشاعر احمدي خاني المولود في ١٦٥١ يؤلف رائعته «مه م و زين» يدعو فيها الى دولة توحد الكُرد.

٩- القرن التاسع عشر: بدأ الباب العالي التدخل في شؤون الكُرد وعندما شعر الامراء الاقطاعيون أن امتيازاتهم باتت مهددة انتفضوا في سلسلة من الثورات ضد العثمانيين بدءاً بعبدالرحمن باشا في السليمانية عام ١٨٠٦ و بلباس في ١٨١٨ مير محمد في رواندوز في ١٨٣٢ بدرخان بك في ١٨٤٣ - ١٨٤٦ وفي ١٨٥٣ - ١٨٥٥ من قبل يزدان شير وفي ١٨٨٠ من قبل الشيخ عبيدالله النهري. باستثناء ولايات قليلة استقطعت من قبل الفرس فان بقية الاقاليم الكُردية وقعت تحت السيطرة العثمانية.

١٠- ١٨٩٨ ظهور أول جريدة كُردية باسم كُردستان التي عملت على نشر الافكار القومية.

١١- ١٩٠٨: ثورة الشباب الترك واعلان دستور يكفل المساواة بين جميع القوميات ولكن وابتداءً من ١٩٠٩ بدأ الشباب الترك حملة قمع ضد جميع القوميات غير التركية من البان وارمن وكُرد وتم فرض حظر على المطبوعات والاتحادات الكُردية.

١٢- ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨: هدنة مودرس واستسلام الامبراطورية العثمانية الى الحلفاء.

١٣- ١٩ - ٢٦ نيسان -١٩٢٠ : مؤتمر سان ريمو وتم اعادة النظر في جميع الاتفاقيات المبرمة ابان الحرب على ضوء ميزان القوى الجديد. حصلت بريطانيا على حق الانتداب على القسم العربي من العراق (ميسوبوتاميا) وعلى ولاية الموصل بعد ان تنازلت عنها فرنسا مقابل سيليسيا. ودار حديث حول تأسيس دولة أرمنية وأخرى كُردية على الاقاليم التي كانت من نصيب روسيا.

١٤- ١٩١٩ - ١٩٢٠: اول ثورة كُردية لاقامة كُردستان حرة وموحدة اندلعت بقيادة شيخ محمود في كُردستان الجنوبية ضد الاحتلال البريطاني.

١٥- ١٠ أب ١٩٢٠: ابرام معاهدة سيفر مع الباب العالي التي تؤكد تقسيم الامبراطورية واحتوت بنداً حول إقامة دولة كُردية على المناطق الكُردية من

الامبراطورية.

١٦- ٢٠ تشرين الاول ١٩٢١: الفرنسيون والترك يوقعون اتفاقية، فرنسا تحصل على ولاية الجزيرة وكُرد داغ الكُرديتين.

١٧- ٢٣ أب ١٩٢١: يقوم السير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني بتقديم التاج الى الامير فيصل الذي هو نجل شريف مكة الذي طردته السلطات الفرنسية في سوريا. كُرد ولاية الموصل يقاطعون الاستفتاء حول تولي فيصل العرش في العراق.

١٨- ١٩٢٣: يقود الشيخ محمود ثورة ثانية ويعلن عن نفسه ملكاً على كُردستان ويقيم اتصالات مع سمكو قائد ثورة كُردية في ايران منذ ١٩٢٠. تم القضاء على الثورة من قبل الانكليز وارسل الشيخ محمود الى المنفى في الهند.

١٩- ٢٤ حزيران ١٩٢٣: توقيع معاهدة لوزان من قبل الحلفاء والكماليين. نسفت المعاهدة معاهدة سيفر وتمت سيطرة الحكومة الجديدة التركية على معظم المنطقة الكُردية.

٢٠- ٣ آذار ١٩٢٤: مرسوم تركي يحظر المدارس والتنظيمات والمطبوعات والمدارس الدينية الكُردية. تم حل اول برلمان كان يضم ٧٢ ممثلاً كُردياً.

٢١- شباط - نيسان ١٩٢٥: قيام الشيخ سعيد بيران بثورته في كُردستان تركيا.

٢٢- ١٦ كانون الاول ١٩٢٥: موافقة عصبة الأمم على إلحاق كُردستان الجنوبية بالانتداب البريطاني على العراق.

٢٣- أب ١٩٢٧ : تأسيس الرابطة الكُردية «خويبون» الاستقلال هدفها توحيد الاحزاب والتنظيمات الكُردية.

٢٤- ١٩٢٨: الادارة العسكرية والمدنية في كُردستان تركيا تصبح بيد المفتش العام- المندوب التركي العالي لكُردستان ونشوب التمرد في الاقاليم الكُردية.

٢٥- ١٩٣٠: تقوم الرابطة الكُردية «خويبون» بتنظيم ثورة في ارارات وتعقد تركيا وايران معاهدة لإخمادها في ١٩٣٢.

٢٦- حزيران ١٩٣٠: اغتيال سمكو الذي قاد ثورة ضد طهران منذ ١٩٢٠ وذلك اثناء المفاوضات.

٢٧- خريف ١٩٣١: اندلاع ثورة جعفر سلطان في ايران.

٢٨- ١٩٣٢ : بعد عودته من منفاه في الهند يقوم الشيخ محمود بثورة جديدة في كُردستان العراق، القي القبض عليه من قبل الانكليز ويرسل الى المنفى في بغداد. بعد ذلك انتفض الكُرد بقيادة الشيخ احمد البارزاني شقيق مصطفى البارزاني. ارسلت القوة الجوية الملكية البريطانية لمهاجمة القرى الكُردية.

٢٩- مايس ١٩٣٢ : انقرة تصدر قانوناً لترحيل وتشتيت مئات الألوف من الكُرد الى وسط وغرب الاناضول.

٣٠- ١٩٣٣ : الكُرد ينتفضون في العراق بقيادة البارزانيين.

٣١- ١٩٣٦ - ١٩٣٨ : ثورة الكُرد في ديرسيم (تونجلي)

٣٢- ١٩٤٣ - ١٩٤٥ : انتفاضة الكُرد بقيادة ملا مصطفى البارزاني الذي أجبر في النهاية على الإنسحاب الى ايران.

٣٣- ١٦ أب ١٩٤٥: قيام الحزب الديمقراطي الكُردستاني الايراني K.D.P. واقيم حزب مشابه له من قبل كُرد العراق بعد مدة من ذلك في ١٦ آب ١٩٤٦.

٣٤- ١٢ كانون الثاني ١٩٤٦: الإعلان عن اول جمهورية كُردية في مهاباد برئاسة قاضي محمد. تم القضاء عليها في ربيع عام ١٩٤٧. استطاع البارزاني على رأس عدة مئات من اتباعه شق طريق له عبر الحدود الايرانية التركية الى الاتحاد السوفيتي.

٣٥- أب ١٩٥٣ : عودة الشاه الى الحكم بعد انقلاب عسكري دبرته المخابرات الامريكية «C.I.A».

٣٦- ١٩٥٦: برعاية بريطانية وأمريكية عقد حلف بغداد بين العراق وايران وتركيا وباكستان، احد بنوده ينص على إخماد أي تمرد يقع في أي بلد من هذه البلدان. واول تطبيق له كان القضاء على تمرد عشيرة جوانرو الايرانية من قبل ايران و العراق.

٣٧- ١٤ تموز ١٩٥٨ : في انقلاب عسكري قاده الجنرال عبدالكريم قاسم تمت الاطاحة بالنظام الملكي في العراق واعلن عن قيام الجمهورية العراقية على اساس الشراكة بين العرب والكُرد. انسحب العراق من حلف بغداد

الذي غير اسمه الى الحلف المركزي (سنتو). البارزاني يعود الى العراق من منفاه في الاتحاد السوفيتي.

٣٨- ٩ كانون الثاني ١٩٥٨: الاعتراف رسمياً بالحزب الديمقراطي الكُردستاني.

٣٩- ٢٧ مايس ١٩٦٠: الاطاحة بحكومة عدنان مندرس في انقرة و جرت انتخابات لبرلمان جديد سن دستوراً ليبرالياً.

٤٠- ربيع ١٩٦١: تتهم الصحف والمطبوعات الكُردية بالنزعة الانفصالية وتغلق الواحدة تلو الاخرى.

٤١- ١١ ايلول ١٩٦١: إندلاع الثورة الكُردية في العراق وتحولت الى ثورة شعبية تحررية.

٤٢- ٨ شباط ١٩٦٣: الانقلاب العسكري البعثي في بغداد، وقف مؤقت لإطلاق النار. مقتل عدة آلاف من الشيوعيين ويهرب كثيرون منهم الى كُردستان.

٤٣- حزيران ١٩٦٣: يشن الجيش العراقي هجوماً ضد المقاتلين الكُرد وتأتي قوة برية وجوية من سوريا للقتال مع الجيش العراقي ضد الثوار الكُرد بعد أن جاء البعث الى الحكم في سوريا ايضاً وذلك في آذار ١٩٦٣.

٤٤- ١٨ حزيران ١٩٦٣: الاتحاد السوفيتي يعلن رسمياً عن تأييده للحركة الكُردية.

٤٥- ٩ تموز ١٩٦٣: يحذر وزير خارجية الاتحاد السوفيتي غرو ميكو كلاً من العراق وايران وتركيا وسوريا من القيام بتدخل عسكري مشترك في كُردستان العراق. تتخلى ايران وتركيا عن عملية «النمر» التي لها علاقة بالقوات السورية والعراقية التي تقاتل الكُرد.

٤٦- ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣: يقوم العقيد عبدالسلام عارف بإنقلابه على البعث ويعطي نفسه رتبة مارشال (زعيم).

٤٧- ١٠ شباط ١٩٦٤: الزعيم عارف يعلن وقف اطلاق نار مع الكُرد ويعترف بحقوقهم ويحدث انشقاق في صفوف K.D.P على خلفية الاتفاق مع عارف. يعلن المكتب السياسي بقيادة ابراهيم احمد وجلال الطالباني معارضتهما للبارزاني زعيم الحركة ويتحول الخلاف الى صدامات مسلحة وتنسحب مجموعة المكتب السياسي الى ايران ثم تعود الى بغداد وتساعد النظام.

يدب الخلاف والفوضى في صفوف الحركة الكُردية في كل مناطق كُردستان.

٤٨- آذار ١٩٦٥ : تبدأ العمليات العسكرية مرة أخرى وتستمر الى حين إعلان وقف اطلاق نار جديد في حزيران.

٤٩- خريف ١٩٦٥: السماح لأول مرة للاجانب بدخول كُردستان تركيا التي كانت محرمة زيارتها من قبل الاجانب منذ ١٩٢٥. واندلعت مظاهرات ضد البطالة و الفقر والتمييز العنصري.

٥٠- ١٩٦٧-١٩٦٨: إندلاع حرب العصابات في كُردستان ايران.

٥١- تموز ١٩٦٨ : بعد انقلابيين متتاليين في ١٧ تموز و ٣٠ تموز (المؤلف يذكر ١٩ تموز بدلاً من ١٧) يعود حزب البعث الى الحكم في العراق احمد حسن البكر الذي كان رئيساً للوزراء في حكومة البعث في ١٩٦٣ يصبح رئيساً للجمهورية. وتعود الحرب ضد الكُرد من جديد في كُردستان العراق.

٥٢- ١١ آذار ١٩٧٠: يوقع الكُرد والبعثيون اتفاقية الحكم الذاتي والتي كان يفترض فيها ان تنفذ في غضون أربع سنوات.

٥٣- ١٢ آذار ١٩٧٠: انقلاب عسكري في تركيا ومجيء حكومة قوية تفرض الحظر على الأحزاب اليسارية ويلقى القبض على عدة آلاف من الكُرد المتهمين بميول إنفصالية ويحاكمون امام محاكم عسكرية. واخيراً وفي تشرين الاول ١٩٧٣ يعود نظام الحكم البرلماني.

٥٤- ربيع ١٩٧٢: تغير التحالفات حيث ان الاتحاد السوفيتي الذي كان في السابق يؤيد الحركة الكُردية يوقع معاهدة صداقة وتعاون مع بغداد. ايران وبتشجيع من واشنطن تدعم الحركة الكُردية في العراق.

٥٥- ١١ آذار ١٩٧٤: تعلن بغداد قانون الحكم الذاتي من طرف واحد والذي هو نسخة معدلة بشكل كبير من اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، ترفض القيادة الكُردية القانون وتستأنف المعارك بشكل غير مسبوق.

٥٦- ٥ آذار ١٩٧٥: اتفاقية الجزائر بين شاه ايران ونائب الرئيس العراقي صدام حسين. ايران تقرر وقف مساعداتها للمقاتلين الكُرد وتغلق حدودها في وجههم.

٥٧- اواخر آذار ١٩٧٥: القيادة الكُردية تتخلى عن الكفاح وتقرر الانسحاب الى ايران. الحركة الكُردية تنهار.

٥٨- حزيران ١٩٧٦: حرب عصابات جديدة تبدأ في كُردستان.
٥٩- ١٩٧٧ - ١٩٧٨: اخلاء لسكان مئات القرى وتدميرها على امتداد الحدود مع سوريا وتركيا وايران واعلان منطقة محرمة بعمق ٨-١٢ ميل واطلاق النار على أي جسم متحرك فيها، تكثف بغداد حملة التعريب في المناطق الكُردية.
٦٠- أب ١٩٧٨ : حدوث مظاهرات غاضبة ضد الشاه في كل مدن كُردستان ويستولي الكُرد على ثكنات الجيش ومراكز الشرطة ويقيمون حكماً ذاتياً منشقاً ويتم اختيار مجالس ثورية لإدارة شؤون المواطنين.
٦١- ١٠-١١ شباط ١٩٧٩: بعد سنة من الصراعات و المظاهرات والمسيرات ينهار النظام الملكي في طهران.
٦٢-١ آذار ١٩٧٩ البارزاني يوافيه الأجل في الولايات المتحدة.
٦٣- ٣ آذار ١٩٧٩: في مهاباد وبعد ٣٣ سنة من العمل السري يعلن K.D.P ايران عن نفسه امام حشد جماهيري يبلغ ٢٠٠,٠٠٠ شخص في الساحة التي تم فيها اعدام قادة اول جمهورية كُردية في آذار ١٩٤٧. (الساحة هي ميدان جار جرا) المترجم.
٦٤- ١٨-١٩ آذار ١٩٧٩: اصطدامات في سنندج بين المقاتلين الكُرد وميليشيات وجنود مؤيدين لآية الله خميني، في ٢٢ آذار يرتب أية الله الطلقاني وقف اطلاق النار مع الكُرد ووعد بأن النظام الايراني الجديد سيمنح الحكم الذاتي الى القوميات. في ٢٣ آذار التقى وفد كُردي مع الخميني لعرض مطالبهم.
٦٥- ٣٠-٣١ آذار ١٩٧٩: الأقاليم الكُردية تقاطع عملية الاستفتاء على الجمهورية الاسلامية.
٦٦- ٢٠-٢٢ نيسان ١٩٧٩: مصادمات عنيفة في نغدة وفي أب يشن الجيش الايراني هجومه على المقاتلين الكُرد.
٦٧- ٢٦نيسان ١٩٧٩: حكومة بلند آجويد تخضع ١٣ ولاية كُردية تحت الحصار بعد حدوث اعمال عنف من قبل اليمين المتطرف. منع جميع المطبوعات والتنظيمات التقدمية.
٦٨- ١٧ أب ١٩٧٩: يعلن خميني الحرب على الكُرد وفي ٥ ايلول وفي هجوم

كبير تسنده الدبابات والمروحيات العسكرية يسيطر الجيش على المدن الرئيسية في كُردستان وتقوم محاكم الخلخالي في غضون أيام بإصدار احكام بالموت على اكثر من ٢٠٠ شخص وبدأ الحرس الثوري بقمع السكان.

٦٩- ٢٠ ايلول ١٩٧٩ يقوم الجيش العراقي بغزو ايران وتستمر الحرب الى نهاية تموز ١٩٨٨.

٧٠- ايلول-تشرين الاول ١٩٧٩: تبدأ حرب العصابات في كل كُردستان ايران.

٧١- ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٩: خميني يعين وفداً من أربعة وزراء للتفاوض حول ايجاد حل في كُردستان، تسيطر البشمركة على معظم المدن في كُردستان من جديد.

٧٢- صيف ١٩٨٢: يجتمع K.D.P و P.U.K عند الحدود الايرانية العراقية ويتفقان على إنهاء سيطرة واستحواذ كل حزب على مناطق معينة في كُردستان.

٧٣- ١٩٨٤: بدء المفاوضات بين الطالباني والحكومة العراقية كما يبدأ الحوار الداخلي بين الاحزاب الكُردية.

٧٤- ١٥ نيسان ١٩٨٧: الاعلان عن قيام الجبهة الكُردستانية.

٧٥- ٧ مايس ١٩٨٧: تأكيد حدوث استعمال الغازات ضد الكُرد من قبل النظام العراقي.

٧٦- نهاية ١٩٨٨: القيادة الكُردية تنسحب الى سوريا وايران.

٧٧-٢ أب ١٩٩٠: غزو صدام للكويت.

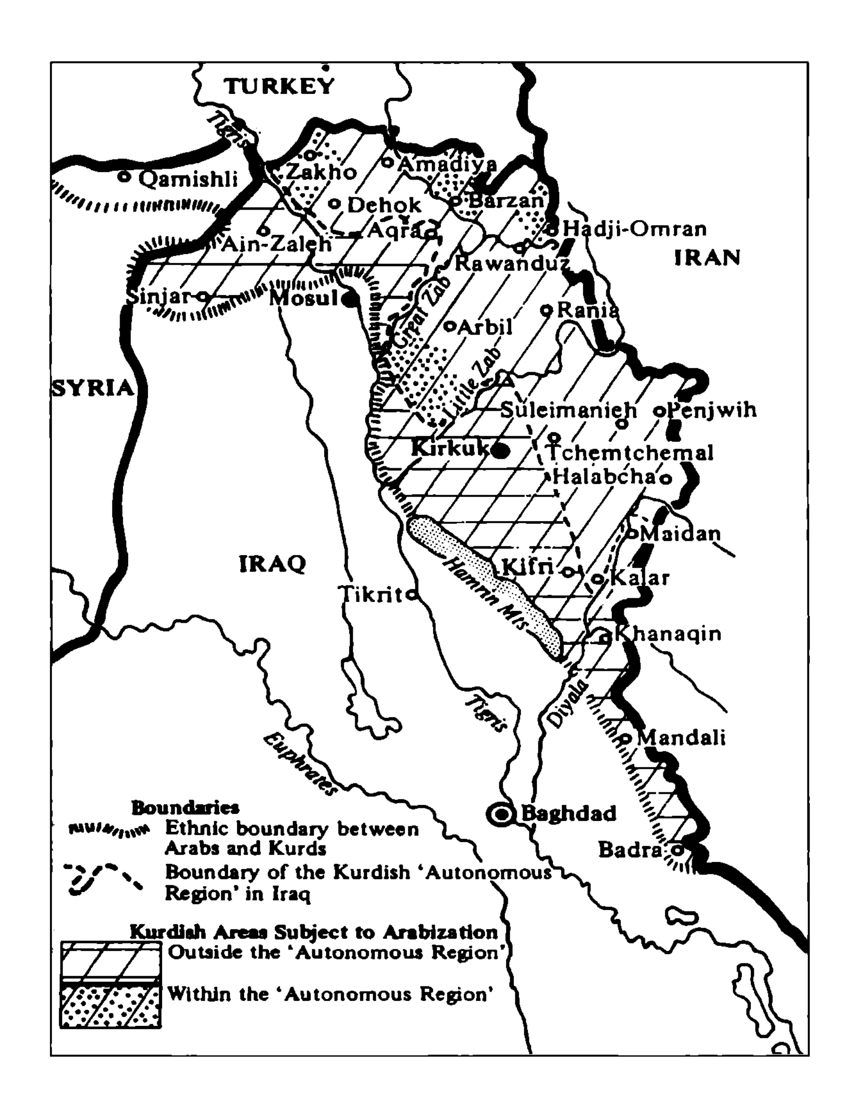
٧٨- اذار ١٩٩١: الانتفاضة في الجنوب والشمال والبشمركة يسيطر على ثلاثة ارباع كُردستان.

٧٩- اذار - نيسان ١٩٩١: إنهيار الانتفاضة والهجرة المليونية.

٨٠- ٥ نيسان ١٩٩١: مجلس الأمن يصدر القرار ٦٨٨ بخصوص حقوق الانسان في العراق.

٨١- نيسان ١٩٩١: تركيا تطلق سراح الالاف من المسجونين وتلغي قانون منع التكلم بالكُردية.

٨٢- مايس ١٩٩٢: اجراء الانتخابات الكُردية في كُردستان العراق.



TURKEY
Tigris
Qamishli
Zakho
Amadiya
Dehok
Barzan
Aqra
Hadji-Omran
Ain-Zaleh
IRAN
Rawanduz
Sinjar
Mosul
Great Zab
Rania
Arbil
Little Zab
SYRIA
Suleimanieh
Penjwih
Kirkuk
Tchemtchemal
Halabcha
Maidan
IRAQ
Kifri
Kalar
Hamrin Mts
Tikrit
Khanaqin
Tigris
Diyala
Mandali
Euphrates
Baghdad
Badra
Boundaries
Ethnic boundary between Arabs and Kurds
Boundary of the Kurdish 'Autonomous Region' in Iraq
Kurdish Areas Subject to Arabization
Outside the 'Autonomous Region'
Within the 'Autonomous Region'

Gerard Chaliand

A People Without a Country
The Kurds and Kurdistan

Translated by:
Abdulsalam Naqshbandi



مطبعة



أربيل - كردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil